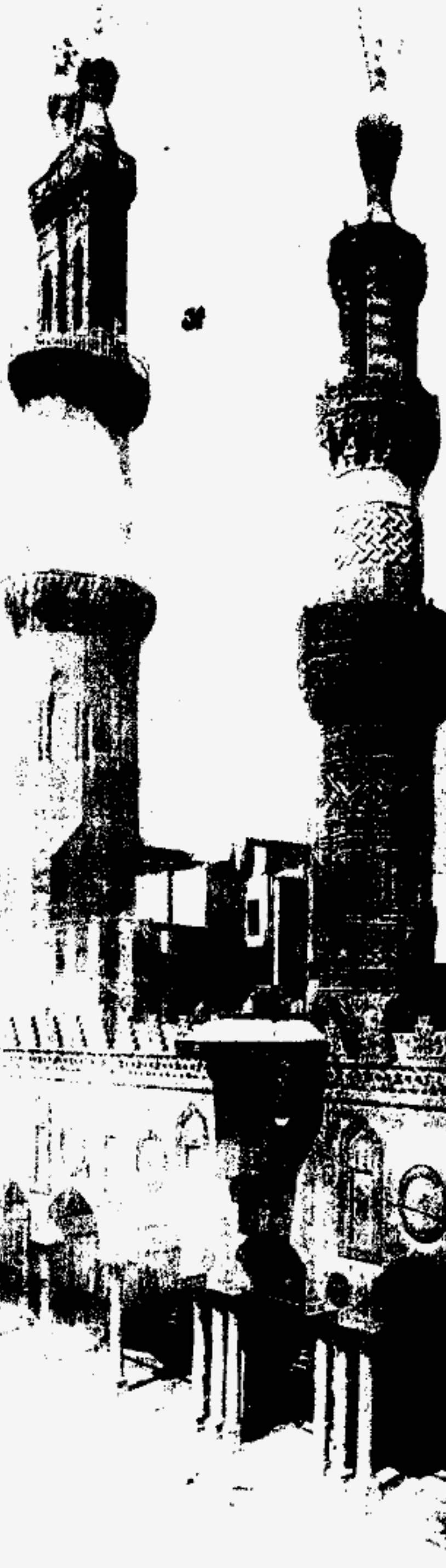

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكتبتنا العربية

مدير المجلة
محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
٥٠ في مصر والسودان
٣٠ للطلبة في مصر والسودان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
٥ ثمن الجزء

الجزء السادس - في غرة جمادى الآخرة ١٣٧٢ - ١٥ فبراير ١٩٥٣ - المجلد الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

حقائق

كانت مصر — إلى فجر يوم الأربعاء غرة ذي القعدة من العام المنصرم (٢٣ يولية) — كأنها القصر شامخ الذرى ، فخم البنيان ، عظيم الأركان ، ضخم الجدران . لكنه لضعف الأساس الذي كان قائماً عليه ، ولطول ما اعتراه من إهمال المستبدين به عصراً فعصراً ، وانصرافهم عن تعهده بالإصلاح والتجديد ، كثرت في جدرانه الصدوع المنذرة بقرب انهياره ، وأوشك أن يتداعى . فجاءوا له بأبرع النقاشين يرأبون صدوعه بالجص وبما هو أوهى من الجص ، وينقشون ظاهر جدرانه بأجمل النقوش وأبدعها وأزهاها : يخادعون بذلك أمتهم وغيرها من الأمم ، وما يخدعون إلا أنفسهم .

وهكذا اطمأنت قلوبهم للغش والرياء ، فأغروا بهما كل من يتعامل معهم ، أو يرجو حباءهم ، أو يطمع في الزلفى إليهم . حتى إذا أوفى الغش والرياء في المجتمع المصري على غاية الغايات ، وبات ذلك هو الأصل المعروف والمتعامل به ، أما الاستقامة على الحق والتعامل بالصحيحة والصدق فذلك هو الأمر الشاذ والعمل المنكر — حينئذ تدارك الله كنانته برجال قويت نفوسهم بسلاح الأخلاق ، واطمأنت قلوبهم لقواعد الدين ، فحملهم ذلك على المغامرة بتجريد سلاح الأمة لإنقاذها من الغش المخزي والرياء المخجل ، وحاولوا انتشال

مكتبتنا العربية

هذا الوطن المسكين - المظلوم من قراعته ، المهضوم الحق من أقويائه وأذكيائه - فاجتثوا شجرة الغش والرياء فى اليوم الرابع من ذى القعدة (٢٦ يولية) وألقوا بها فى عرض البحر لتقذف بها أمواجه فى بقاع أخرى إلى غير رجعة . وكان ذلك إيذاناً من الله بتحويل دفة السفينة المصرية وشراعها عن اتجاههما الخاطىء ، إلى الوجهة السليمة التى يوشك أن يتحول بها كل عامل فى هذا الوطن — بمداركه أو مواهبه أو جوارحه — إلى عضو نافع سليم ، فى شعب نافع سليم ، يسبح الله بحسناته فى هذه الأرض ، ويتعبد له بالإحسان فى كل ما يحسنه من عمل صالح ، ويعلن شكره لمولى النعم على نعمه بحسن استعمالها فيما خلقت له ، إلى أن يأتى يوم لا تذهب فيه قطرة واحدة من مياه النيل الى البحر المالح ، بل تستعمل كلها فى رى الصحارى القاحلة شرقاً وغرباً ، وتثار المعادن الجافة والسائلة من جوف الأرض لتكون فى أيدى شبابنا حراباً ومدافع ، وفى حقولنا فئوسا ومحاريث ، وفى مصانعنا آلات ودواليب دائبة الحركة بالثروة والسعادة والعزة والرضا .

إن النظام الذى كان قائما فى العهد البائد ، إنما كان قائما على دعائم كثيرة من الباطل والشر ، وقد تعاونت على حياطته ورعايته وضمان استمراره عناصر من عناصر الرياء والغش سيحللها التاريخ ، وسيحمل كل عنصر منها مسئولية ما كان يحمله من دعائم ذلك العهد ، وما كان يتولاه من نظامه الفاسد .. وأخطر بقايا تلك الشجرة الخبيثة وأشدها ضرراً تلك الجذور التى كانت ممتدة فى الثرى ، وطالما مثلت فى هذا المجتمع أدوار الغش والرياء ، وبقيت تطمع بأن تعود فتعمل ، ليعود بها عهد الرياء والغش فيحيا من جديد .

تلك هى أحزاب العهد البائد التى بذرت بذور الفتنة والشقاق فى الصحف وقرائها ، وفى معاهد العلم ومجامع الوطن ، وفى البيوت والأسر ، حتى فرقت بين الأخ وأخيه ، والأب وبنيه ، والمدرس وزملائه ، والطلبة فى فصولهم ، والقرويين فى حقولهم ، وحتى أودت بكيان البلاد ، ومزقت وحدتها ، وشتتت شملها لمصلحة نفر قليل من محترفى السياسة وأدعياء الوطنية .

والآن — وقد تمت كلمة ربك بانهيار الطاغوت الأكبر وهو أعز ما كان بباطله وطغيانه ، وبتمزيق شبكة الغش والرياء التى كان يستعين بها فى تقييد نشاط الحق ، ويتحكم بخيوطها فى الحد من حرية الفضائل ، فقد آن للحق أن ينشط من عقاله ، وأن يتخلص من ضعفه وهزاله . وآن للفضائل أن تتحرر من قيودها ، وتنطلق من معتقلاتها وسجونها ، فتعود

مكتبتنا العربية

إلى هذه الأمة سجاياها الموروثة عن سلف عظيم ، لتتجدد بها أمجاد خلدها جهاد عظيم فى تاريخ عظيم .

والحق لا ينشط مجرداً ، مالم يتول ذلك منه أهله وأولياؤه .

والفضائل لا تتحرر بنفسها ، إلا إذا نهض لها بذلك أنصارها وجنودها .

إن الإسلام دين الحق ، والحق من عند الله ، و « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » . وقد آن للمسلمين أن يحملوا فى أوطانهم لواء الحق ، وأن يربوا عليه أنفسهم وأبناءهم وتلاميذهم ، وأن يُعِدوا له الجيل الذى سيخلفهم على أمانات الله . وبداية إعداد الجيل لذلك أن نجعل له من أنفسنا قدوة فى الإيمان بالحق والعمل به « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » . وهذا الخلق ، أى شهادة المسلم لله ولو على نفسه أووالديه والأقربين ، قد اضمحل وزال فى عهد الرياء والغش ، لأن الشهادة لله ولو على النفس من أخص خصائص الحق والقوامين عليه ، والحق لايجتمع مع الرياء والغش فى نفس واحدة ، فلما تعامل المسلمون بالرياء والغش أعرضوا عن الحق فأعرض الله عنهم .

وبانهيار صرح الرياء والغش يجب أن يقوم للحق صرح جديد فى عهد جديد يكون منه بعث للإسلام فى فضائله العليا ، وأعلاها إقامة الحق وتربية النفس عليه ، وتكوين كيان الجيل الآتى على أساسه ، حتى يكون المسلم ، وحتى يكون كل مسلم ، من الشهداء لله بالحق ولو على نفسه أو والديه والأقربين .

إننا يوم ننجح فى تربية الجيل الآتى على الحق ، سيهبط عدد المحاكم المصرية وقضاتها ووكلاء النيابة والمحامين وضباط البوليس وجنوده إلى أقل من عشر عددهم الآن ، وستقتصد الدولة كل ما تنفقه فى هذا السبيل وأمثاله ، وسيخف عبء الضرائب عن عواتق أفراد الأمة ، وسيتاح لهذا الشعب أن يستعمل فضل أمواله فيما ينتج ويثمر وينفع من مرافق ومشروعات ، وفيما يقوى به كيانه فيعتز ويسعد .

لقد كانت مصر قبل مائة وخمسين سنة فى أحط عصر من عصور الإسلام ، وكان أرقى عصورها فى الإسلام هو العصر الأول الذى لم ير المصريون أسعد لهم منه ولا أكرم ولا أعدل ، فبلغ من احترامهم له وإعجابهم به أن اندمجوا فى نظامه ، وآمنوا بحقائقه ،

مكتبتنا العربية

وتنازلوا عن لغتهم حباً منهم بلغته ، وبذلك صاروا هم أهله وسادة مرافقه وقادة أموره . ثم استعجم الإسلام فى مصر وأخذ يخرج عن طريقه شيئاً فشيئاً حتى ابتعد عن المحجة ، فبدا أثر هذا الابتعاد فى ضعف الأمة وانحطاطها فى آخر الحكم العثمانى ، وكان أسوأ أحوالها فى تاريخ الإسلام هو ما كانت عليه قبل مائة وخمسين سنة ، فعاقبها الله بالاحتلال الفرنسى ، ثم بتسلط أسرة محمد على ، وبما منيت به البلاد فى عهد هذه الأسرة من مصائب الاحتلال البريطانى . وفى خلال هذه المائة والخمسين من السنين اتخذت مصر لنفسها كياناً آخر ، واتخذت لكيانها نظاما آخر ، وتفننت فى نظامها إلى أن صار إلى ما نعرفه إلى يوم الناس هذا ، وصار الغالب عليه ما وصفناه من رياء وغش عم جميع الطبقات حتى تدارك الله مصر بهذا العهد الذى بدأنا نفكر فيه بما يجب علينا له ، وبما ينبغى لنا أن نرسمه لأنفسنا من خطط للسعادة والطمأنينة والعيشة اللائقة .

لقد اخترت لمقالى هذا عنوان « حقائق » ، والحقائق لا يخاف منها إلا مبطل أوجبان .

ترى هل كنا فى المائة والخمسين سنة الأخيرة فى أنظمة ومعيشة وأخلاق أصلح مما كنا فيه قبيل حملة نابليون على مصر ، أم أسوأ مما كنا فيه ؟

وهل كانت الأمانة فى نفس المصرى أقل يومئذ ، فارتقينا فى ظل الأنظمة الأوربية والخديوية ؟ أم كانت الأمانة قبل ذلك أعظم فانحطت نفوسنا فى ظل الأنظمة التى تعاقبت علينا فى المائة والخمسين سنة الأخيرة ؟

أنا معترف بأن العصر الإسلامى الأخير الذى أعقبته الحملة الفرنسية هو أحط عصور الإسلام فى مصر ، ومع ذلك فإن العلماء الفرنسيين الذين صحبوا الحملة الفرنسية وشاهدوا بأعينهم أمانة المصريين وأخلاقهم فى ذلك الوقت قد شهدوا لهم بأنهم كانوا أرقى مما صاروا إليه فى ظل الأنظمة التى تعاقبت على مصر فى المائة والخمسين سنة الأخيرة ، وهذه الحقيقة يجب أن تعلن على رءوس الأشهاد لنستفيد منها فى تعيين طريقنا نحو المستقبل .

عقد المسيو جومار - أحد مهندسى الحملة الفرنسية التى قدمت مصر مع نابليون - فصلا علمياً عن تخطيط القاهرة سجلته الحملة فى المجلد التاسع عشر من كتاب (وصف مصر) ، فكان مما جاء فيه أن بولاق كانت مرفأ القاهرة فى الشمال ، كما كانت الفسطاط (مصر القديمة) مرفأها فى الجنوب ، فكانت بولاق فرضة تجارة الوجه البحرى ، وكانت مقراً لجمرك القاهرة .

مكتبتنا العربية

ومما لفت نظر مسيو جومار كثرة الوكائل التجارية فى بولاق ووفرة الغلال التى كانت تكدس على ساحل النيل بلا حراسة وبغير أن توضع فى مخازن .

قال مسيو جومار : إن الثقة بين الناس فى مصر كانت على أتم ما يكون بحيث لم يكن ثمة خوف من أن تمتد يد إلى تلك الغلال ، وهذا يدلك على أن الصدق والأمانة كانا من فضائل الخلق المصرى .

هكذا يشهد للمصريين شاهد عيان من الفرنسيين المحتلين ، وقد سجل شهادته فى أعظم أثر علمى تفتخر به تلك الحملة ، أو يفتخر به الفرنسيون من بعدها حتى اليوم .

وهكذا كانت مصر فى أحط عصورها الإسلامية ، وأما عصر الإسلام الأول فيها فإن مصر من عشرة آلاف سنة إلى الآن لم تر أسعد لها منه ولا أعدل ولا أكمل ، ولذلك اندمجت فيه وكانت من خيرة أهله .

والآن وقد قوض الله عهد الطغيان ، فإن مصر التى تبلغ نسبة المسلمين من أهلها ٩٢ فى المائة تحب أن ترجع إلى إسلامها كما كان يوم أحبته فى المائة السنة الأولى من تاريخ الفتح الإسلامى . وأعظم عظماء الأرض وأنبل أبطال التاريخ هو الذى يعمل على تجديد ذلك العهد الزاهر من عهود مصر ببعث أخلاقه وعدالته وبساطته ورفقه والمحبة الصادقة بين جميع سكان الوطن من كل المشارب والمذاهب ليتعاونوا على الأخذ بأرقى وأدق ما وصلت إليه أمم الأرض من علومها وصناعاتها ووسائل تنظيم أعمالها وتحسين مرافقها وتجميل عمرانها حتى نأخذ من كل شى أحسنه ، وحتى نكون من أعرق الأمم فى ذلك ، ومن أكثرها انتفاعا بالعلوم الصناعية والحقائق الكونية والأساليب الإدارية ، فنبقى مسلمين بأخلاقنا وأحكامنا وطريقتنا فى تبسيط الوسائل ، ونكون مع ذلك سباقين إلى التقدم فى عـــلوم الكون جميعاً .

إن وزارة المعارف - بمناهجها الحاضرة التى فشلت فى كل شىء - إنما هى عنصر من عناصر العهد البائد ، فينبغى لها أن تسارع إلى إصلاح نفسها والقذف بمناهجها وأساليبها العقيمة فى أعمق بئر تدفن فيها الخبائث ، لتبنى نظامها الجديد على تخريج جيل يؤمن بالأخلاق والفضائل التى لا يمكن الإيمان بها إلا عن طريق التربية الإسلامية الأصيلة ، والتشبع بمحبة عظماء الإسلام الأولين ، وتقمص أرواحهم ، واتخاذهم قدوة وأسوة فى تجديد عهدهم الأول الذى أحبته مصر منذ عرفته فترجمت عن محبتها له بالاندماج فيه والامتزاج به بشغاف قلبها .

مكتبتنا العربية

وإن مدرسى المعاهد والكليات الأزهرية يجب عليهم أن يقودوا حركة التجديد فى الأخلاق ، وأن تكون لكل مدرس منهم رسالة علوية قدسية يؤديها فى فصله وبين تلاميذه بإيمان وخشوع كموقفه بين يدى الله عز وجل فى صلاته ، لأن القيام بذلك من أعظم العبادات التى يقوم بها المسلم فى العهد الجديد ، لتحويل أبناء الجيل عن قاذورات العهد البائد إلى أخلاق الإسلام وفضائله التى يجب أن تكون شعار هذه الأمة ودثارها بعد اليوم ، وبذلك نستحق الحكم الصالح ، وتتجاوب قلوبنا مع قلوب القائمين عليه .

إنما انهار العهد البائد ، وقوض الله صروحه ، لأنه لم يقم على أساس من الأخلاق ، ولأنه تبدل من الصدق والأمانة بالرياء والغش ، فكان الناس يمثلون هيئات الفضائل وأشكالها ويحسنون الحديث عنها وهم ينطوون على أضدادها ، وقد صدق الله عز وجل فى قوله الحق « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

محب الدين الخطيب

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

التعليم الأجنبى — والتعليم القومى

يقول حكيم البراهمة وشاعرها رابندرانات تاغور :

« التعليم بلغتنا هو الذى أنعش روحنا وأحيانا ، ورأيى أن التعليم ينبغى أن يكون كالأكل ، بمعنى أنه عندما يسيغ الآكل اللقمة الأولى تتنبه معدته إلى عملها قبل أن تمتلىء ، ويتمكن حينئذ عصيرها من أن يؤثر كما يجب ؛ ونقيض ذلك التعليم الأجنبى : فإن اللقمة الأولى تؤذن الطاعم بخلع سطرى أسنانه ، أو تزلزل فمه ، وفى اللحظة التى يبتدىء يعرف فيها أن اللقمة ليست من جنس الحجارة - وإنما هى من السكر وقابلة للهضم - يكون قد ولى نصف عمره ، وبينما هو يعالج مضغ كتابتها ونحوها تبقى روحه جائعة ، فإذا تذوقها تكون شهيته قد ذهبت » .

ولما قرأنا هذا خطر على بالنا أن نستفتى وزير المعارف وجميع رجال وزارته : هل التعليم فى مدارسنا من النوع الأول ، أم من النوع الثانى ؟

مكتبتنا العربية

بماذا نبدأ

قد تغير العهد القديم ، وجاء على أنقاضه عهد جديد ، يريد الإصلاح فيلتفت حوله فإذا كل شيء بحاجة إلى الإصلاح . نحتاج إلى الإصلاح فى المال والاقتصاد وفى الزراعة والصناعة وفى رفع مستوى المعيشة وفى التربية والتعليم ، فيسائل المصلحون أنفسهم بماذا نبدأ ؟ فالعقل يقضى بأن يقدم الأهم على المهم ، وبأن يقدم مالا نجد منه بداً على مانحن واجدون منه بدا . ويقضى بأن نقدم فى الإصلاح ما لو إذا أصلحناه أصلحت المرافق الأخرى ، ومالو أهملناه لم يستقم لنا إصلاح فى جميع المرافق .

فبماذا نبدأ ؟

الحق أقول إنه يجب البدء بإصلاح نفوسنا قبل كل شيء والعناية بذلك عناية من يعلم أنه إن حرمه هلك ، إنه يجب أن نصلح أول ما نصلح المصريين أنفسهم .

إن مصر عبارة عن شيئين المكان والسكان ، والسكان مقدمون فى العناية على المكان ، وأولى السكان بالإصلاح الإنسان ، وذاك لأنه إذا أصلح أصلح مامعه من السكان وأصلح المكان ، وليس إذا أصلح غيره صلح هو . وأول مايجب إصلاحه فى الناس أنفسهم ، وهذا يشمل إصلاح العقول وإصلاح الأخلاق ، فإذا صلح هذان فى الإنسان أصلحا البدن كله ، وإذا صلح الإنسان أصلح كل ما يحيط به . وإذا أهمل إصلاح الإنسان لم ينفع إصلاح ما عداه ، وسأبين ذلك بأمثلة :

١ — أراد محمد على أن يصلح الصناعة فى مصر فأدخل كثيراً من الصنائع وجلب لها العمال ليتعلموها ويصنعوا . فحييت الصناعة ما حيي محمد على ، فلما مات ماتت الصناعة بعده . ولو بدأ محمد على فحبب الصناعة إلى السكان وعرفوا ما فيها من مزايا مالية تعين على المعيشة فاندفعوا إليها بشوق من نفوسهم وأعانتهم الدولة بما تريد المعونة به ، لبقيت الصناعة ما بقى الشوق فى نفوسهم وما بقى متوارثا يرثه الخلف عن السلف .

٢ — أرادت الدولة أن تصلح مياه الشرب فى القرى فتنقيها وتقطرها لتقى سكانها من البلهارسيا والإنكلستوما والأمراض التى تسببها المياه الملوثة ، فكان السكان يعافونها ويشربون من مياه الترع والقنوات ويرونها أصح لأجسادهم ويقيسون قياساً مشاهداً لديهم

مكتبتنا العربية

فيقولون إنها تفيد الزرع من القمح والذرة ، فكيف لا تفيد الإنسان ؟ ولو بدأت الدولة فعرفتهم ما تحمل هذه المياه الملوثة من جراثيم تضر بالأجساد وأن المياه المطهرة خير منها وأصح ، لبحثوا عنها بأنفسهم ، ولعرفوا بر الحكومة بهم إذ سهلتها لهم وقربتها إليهم .

٣ — بنت الدولة مراحيض فى بعض القرى وطلبت من السكان أن يقضوا حاجتهم فيها ، ولا يقضوها فى المياه والموارد ليتقوا أضرار ذلك ، فكانوا يبغضونها ويذهبون إلى ما ألفوا .

٤ — ظفرت الأمة بالدستور سنة ١٩٢٣ وقد اعترف فيه لها بأنها مصدر السلطات ، وبأن الحكومة مسئولة أمام مجلس النواب ، واعترف لها فيه بالحريات ، ولكن هل انتقلت السلطات من الملك إلى الأمة حقاً ؟ أكانت الحكومة مسئولة أمام مجلس النواب حقاً أم كان النواب مسئولين أمام الحكومة ؟ هل احترمت الحريات والكرامات ؟ هل عاشت الأمة فى ظله خيراً مما كانت ؟

لا ، لم يكن شىء من ذلك .

ذلك أننا عنينا بكتابة دستورنا فى السطور ، ولم نعن بكتابته فى الصدور ، ولو كتبناه فى صدورنا ، ونقشناه على قلوبنا ، وآمنا به وبأنه لا حياة كريمة ولا تقدم لنا إذا خولفت نصوصه وانتهكت حرماته ، لما رضينا بأن يخالف وأن تنتهك حرماته .

قال قائل : إن بريطانيا ليس لها دستور مكتوب فقلت كيف وهو مكتوب فى أربعين مليون نسخة ؟ فعجب ، فقلت إنه مكتوب فى صدر كل بريطانى ، ونفسه إنما هو فى هذه الكتابة لا فى كتابته فى الأوراق والصكوك .

كل هذه المشروعات أخفقت لأنه بدىء بالنتيجة قبل المقدمات ، وكان الأولى أن يبدأ بالمقدمات قبل النتيجة .

وهذا كله قد عرفه النبى ﷺ حين قال : ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب .

أصلحوا القلوب بإصلاح العقول وإصلاح الأخلاق وتهذيبها يصلح لكم كل شىء . إن العقل جعله الله مصباحاً يستضىء به الإنسان فى هذه الحياة ، فدعوا لكل إنسان مصباحه ، وأمدوه بالزيت النقى حتى يضىء له طريقه ويبصره ما ينفعه فى هذه الحياة .

مكتبتنا العربية

وأول ما يجب أن يربى عليه المرء خلقياً هو الكرامة الإنسانية . ومن اعتقاد المرء بهذه الكرامة تنبعث كل الفضائل والخيرات ، وتحارب كل الشرور والآثام ، فإذا ما آمن المرء بكرامة نفسه وكرامة الناس حوله ، طلب الحرية لنفسه وطلب المساواة بين الناس جميعاً وأبى أن يسيطر عليه أحد من الطغاة والمستبدين ، وطلب مثل ذلك للناس . يجب أن يؤمن الناس بذلك ويحبوه كما يحبون الحياة أو أكثر من الحياة ، وأن يفضلوا الموت مع الكرامة على الحياة مع الذلة ، وما استعبد قوم ورضوا بالذلة والعبودية إلا بعد أن فقدوا إيمانهم بالكرامة الإنسانية ؛ هذا الإيمان بالكرامة هو الدرع الواقى للأمة من استعباد الظالمين واستبداد الجبارين ، ولن تنفع القوانين والدساتير فى وقاية الأمة من التحكم والاستبداد إذا فقدت هذه الكرامة .

وإن الأمة التى تؤمن بكرامة نفسها تحوّل كل حاكم مستبد إلى حاكم عادل ؛ لأنها تؤمن بكرامتها وتعرف حقوقها ، وتأبى أن يعتدى عليها معتد وأن يستذلها مستذل ، وكلما حاول ذلك أحد ردته بسيوفها وبكل ما تملك من قوة ؛ والأمة التى لا تؤمن بهذه الكرامة تحوّل كل حاكم صالح إلى حاكم مستبد ، لأن الظلم من شيم النفوس ، وليس يردها عنه إلا المقاومة ، فإذا فقدت رتع الحاكم لأنه أصبح مخلى بينه وبين هواه ، وهـذا معنى ماورد : « كما تكونوا يولى عليكم » .

هذه هى الروح السائدة فى العالم ، وهذه هى التربية الحديثة التى تأخذ بها الأمم لأنه يؤيدها العلم والاختبار .

وسيأخذ الناس العجب حينما أبين لهم أن هذا هو الإسلام وأن هذه هى التربية الإسلامية ، وأن الله بعث محمد بن عبد الله ليربى الأمة الإسلامية على ما ذكرنا من الكرامة وما يتبعها من الحرية والمساواة .

إن أول ما يميز المسلم من غيره الشهادة ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله ـ ومعنى هذه الشهادة التى جعلت فرق ما بين المسلم والكافر هو الكرامة الإنسانية ، فإن المرء إذا اعتقد أن لا إله له إلا الله ، فلا معبود له يستحق العبادة والخضوع والرجاء والسؤال إلا الله ، لأنه ليس من ينفع أو يضر ، أو يعز أو يذل ، أو يحيى أو يميت ، أو يرزق أو يمنع إلا الله . نقول إذا اعتقد المرء ذلك فقد آمن بكرامته ومساواته للبشر ، فلا يخضع ولا يذل ، ولا تعنو جبهته ، ولا يخشع صوته إلا لله ، ومن أراد ذلك ممن يساوونه من الناس أبى ذلك عليهم

مكتبتنا العربية

ووقف دونه . ولم يكتف الإسلام بذلك بل ذكر أخبار الملوك الظلمة ، والطغاة المستبدين واستعبادهم أممهم وإرسال الرسل إليهم ليخلصوهم من الهوان ، ويعيدوا إليهم كرامتهم الإنسانية ، فذكر بنى إسرائيل واستعباد فرعون إياهم .

« وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » وذكر محاورة موسى لفرعون فى دعوى الألوهية والتسخير ، وهى محاورة يجب أن تكتب على كل قلب لتكون وقاية له من فقد الكرامة والارتكاس فى مهاوى الذلة والاستعباد : « فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين . أن أرسل معنا بنى اسرائيل . قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين . قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين . ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين . وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل . قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين . قال إن رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون . قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين . قال أو لو جئتك بشىء مبين . قال فأت به إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين . ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين » .

وقد ذكر الله هذا الحوار البديع ليوحى إلى الناس ضعف الإنسان ومساواته لغيره من الناس ، فإذا تمرد وبغى وخرج عن طوره وجب إقناعه بالحجة ، فإذا لم يقتنع وجبت مقاومته ومحاولة الخلاص منه ، وقد ذكر الله هذه المقاومة فى كثير من سور القرآن وبين أن العاقبة للشعب المقاوم والدمار والهلاك للطاغية المستبد ، بشرط واحد : وهو أن يصبر الشعب على المقاومة : « فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ، وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » ، وبين فى القرآن أن إرادة الله وعونه وحمايته ، للمغلوب المستضعف ليغرس الأمل فى النفوس ، والإيمان بالغلب فى القلوب :

« إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم

مكتبتنا العربية

ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » ، ولم يكتف القرآن بما ذكرنا بل ذكرها كلمة خالدة ناطقة بكرامة الإنسان : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

أرأيتم التربية الإسلامية كيف كانت مبناها على الكرامة الإنسانية ، وكيف كانت تربى الأمة على التخلص من المستبدين الظالمين ، وكيف كانت كلمة التوحيد مخلّصة للأمم من الداء الوبيل المبيد للأمم وهو الذل والاستعباد ، كما هى مخلصة من سوء الآخرة وعذابها بشرط أن يفهم معناها على وجهه ، وأن يربى المرء عليها حتى تختلط بلحمه ودمه .

ولا يظن ظان أنى أحمّل كلمة التوحيد فوق ما تحتمل وأفسر الربوبية والعبودية بأكثر من معناها ليتسنى الوصول إلى ما أريد ، فإن ذلك كان يعنيه النبى ويعنى أكثر منه ، فقد ورد عن عدى بن حاتم أنه قال أتيت رسول الله ﷺ وفى عنقى صليب ، فقال لى يا عدى ألق هذا الوثن من عنقك ! وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة « براءة » حتى أتى على هذه الآية : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » ، قال قلت يا رسول الله : إنا لم نتخذهم أربابا ، قال : بلى أليس يحلون لكم ماحرم الله عليكم فتحلونه ، ويحرمون عليكم ما أحل لكم فتحرمونه ، فقلت بلى ، فقال : تلك عبادتهم .

ولو شئت أن أقول إن جل مافى الإسلام يدور على تثبيت هذه الكرامة الإنسانية لقلت ، فإن الإسلام كله يؤيدنى فى ذلك .

استكبر سادة قريش أن يجلسوا مع النبى ومعه ضعفاء المسلمين من أمثال صهيب وعمار وبلال ، وقالوا للرسول اطرد هؤلاء الأعبد ونحن نستمع إليك ، فأنزل الله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ، وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم » ، فكان النبى إذا رأى هؤلاء الضعفاء مقبلين بدأهم بالسلام تطييبا لنفوسهم وغرسا للكرامة فى قلوبهم ، وهل كان عتاب النبى ﷺ فى أمر الأعمى الذى جاء وهو مشغول بكفار قريش ،

مكتبتنا العربية

ويرجو أن يهديهم الله فخاف أن يشغل به عنهم فيفوت ما يرجوه، فأنزل الله هذا العتاب وسجله على وجه الدهر فى هذه الآيات : « عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى ، كلا إنها تذكرة » .

نقول هل كان هذا العتاب القاسى إلا ليذكر دائما بالكرامة الإنسانية وبكرامة هؤلاء الفقراء خاصة كلما قرأه قارىء أو تدارسه دارس .

وهل أمر الإسلام بالرفق فى الأمور كلها وبغض فى الفظاظة والغلظة ، فقال الله فى كتابه الكريم : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، وقال النبى ﷺ : « ما كان الرفق فى شىء إلا زانه » ، حتى إنه أمر بالرفق بالعبيد والإماء وقال لأبى ذر وقد قال لآخر يابن السوداء :

« ياأبا ذر أعيرته بأمه ، إنك امرؤ فيك جاهلية » .

نقول هل فعل الإسلام ذلك إلا ليحفظ على الأمة عزتها ويبقى لها الكرامة الإنسانية ؟ وقد خطب عمر بن الخطاب لما تولى الخلافة فقال : « إذا رأيتم فى اعوجاجا فقومونى » ، فقام إليه رجل وقال : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » ، فقال « الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من لو رأى فى اعوجاجا لقومه بسيفه » ، فهل كان فرح عمر بذلك وحمده الله عليه إلا لأنه استوثق من أن الأمة فيها خلق العزة والكرامة الإنسانية ، وأنه يحفزها هذا الخلق على ألا تقر لظالم ، ولا تعنو لمستبد .

ولما كان مما يهدر الكرامة الإنسانية استعلاء قوم على الآخرين بالجنس والدم أو باللون أو بأعراض خارجة من المال والجاه والسلطان ، أبطل الإسلام ذلك كله وأهدر تلك المقاييس الفاسدة التى درج الناس على أن يقيسوا بها الناس ، ويميزوا بها الرجال ، وأنزل فى كتابه العزيز تلك الآية الذهبية التى هى أصل عظيم من أصول الاجتماع الإنسانى والإصلاح البشرى ، والتى أهدر فيها تفاضل الناس بالأحساب والأنساب والمال والجاه والسلطان ، ووضع مقياسا خيراً من ذلك كله وهو التقوى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . وجاءت السنة الكريمة بشرح هذا الأصل فقال النبى ﷺ « كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » ، « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، ومن أسرع به عمله

مكتبتنا العربية

لم يبطىء به نسبه » ، « يا معشر قريش لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتون بأنسابكم » ، « يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا » .

ولم تكن هذه التعاليم كلمات متلوة على اللسان ، لاتتأثر بها القلوب كما هي عند المسلمين اليوم ، بل تأثرت بها قلوبهم ، وانطوت عليها صدورهم .

يحكى التاريخ أن سهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب ورهطا من سادة قريش طلبوا الإذن على عمر بن الخطاب وطلبه معهم صهيب وبلال من ضعفاء المسلمين ، فأذن لهما أولا ، فغضب أبو سفيان وأخذته العزة ، وقال لأصحابه لم أر كاليوم قط يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه ! فقال سهيل إني أرى والله الذي في وجوهكم ، إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم ، دعي القوم إلى الإسلام ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم ! .

وهذا هو السر في أن الإسلام ديننا جميعاً ولكنه نفعهم ولم ينفعنا ، إننا أخذناه على طرف اللسان ، ولم يتجاوز الآذان ، أما هم فقد تغلغل في الضمائر وأشربته نفوسهم واختلط بلحمهم ودمهم بمبادئه السامية فكانت لهم العزة في هذه الأرض .

أيها المسلمون : غيروا نظركم إلى الدين وغيروا فهمكم إياه ، لا تفهموه تعاليم جافة ، ولا تفهموه جزئيات مبعثرة لا رابطة تربطها ، ولا تفهموه معنياً بإزالة الحدث والخبث دون أن يكون معنياً بهذه الحقائق العالية ، بل افهموه على حقيقته : تعاليم مثمرة ، وقواعد باقية يراد بها تغيير النفوس وقلب الأوضاع الباطلة ، والاصطلاحات الظالمة التي تؤدي إلى استعلاء طبقة على طبقة ، واستغلال طبقة لغيرها من الطبقات . جاءت لرفع ذلك ليعيش الناس سعداء ، وقد فطن لذلك أمم الغرب فطبقوها في حياتهم ، فضمنوا السعادة لأكبر عدد من أممهم ، وكانوا أحظى بها من المسلمين الذين تنزلت عليهم ولم يفطنوا لها ولم يأخذوها مأخذ الجد والحزم ، وهذا هو تغيير الدين وتبديله وتحريف الكتاب وتأويله والمروق منه كما يمرق السهم من الرمية .

ربوا عليها الرضيع ونشئوا عليها الصغير ، وأرضعوها لأطفالكم مع اللبن تعيشوا أباة حماة كراما لا يطغى عليكم طاغ ، ولا يستبد بكم مستبد ، وكلما أراده منكم ذو سلطان وجد من يقول له : قف مكانك ، إني هنا أحمي حقيقتي ، وأذود عن كرامتي .

إذا الملك الجبار صعر خده مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

البيت العتيق :

من آثار النبوة ، أن لله خواص فى الأزمنة ، والأمكنة ، والأشخاص .

وإذا كانت لنا كلمة سابقة عن شىء من هاتيك الخواص فى أشخاص أشاد القرآن بذكرها وفى أزمنة رفع الله من شأنها حتى أقسم بها ؛ أقف اليوم خاشعاً فى إكبار ، وهائماً فى إجلال ، أمام بقعة من البقاع آثرها ربك بفضله ورضوانه ، وأضفى عليها من حمايته وسلطانه ، فكانت فى عين الزمن حلية الدنيا ، وكانت فى حساب العقل متنفس الحياة .

بقعة : اختصها ربك بالإيثار فسماها بيته ؛ وإن كان الملك كله ملكه ، والمساجد كلها بيوته ، فأى بيت هذا ؟ ذلك هو البيت العتيق (الكعبة) .

وإن فى وصفه بالعتاقة لإيذاناً بأصالته فى الشرف ، وسبقه على ما بعده ، إذ يكون معهوداً قبل أن يعهد غيره ، ومشهوداً له بالرسوخ فيما هو من خصائصه .

وسواء أكانت العتاقة لأنه موضع بيت كان مطاف الملائكة قبل آدم ، أم كانت عتاقته تبدأ من عهد آدم إلى زمن الطوفان ، أم كانت عتاقته لأنه بنى فى عهد إبراهيم - عليه السلام - فهو على أى قول رجع من هذه الأقوال أول بيت فى الأرض كان للعبادة .

وليس فى معالم التاريخ ، ولا فيما أثر عن الأنبياء وما بنوه من المعابد بيت يسبقه .

ثم كان المسجد الأقصى من بعده - كما أطبقت الروايات - ولكن بأزمنة اختلف فيها التقدير ، وبالبيت العتيق هتف القرآن غير مرة ، وركز فى الأذهان أنه المهبط الذى تخيرته عناية الله أول ما تخيرت ، وربطت به تاريخ البشرية فى رحلة من مراحلها الحية ، وجعلته أساساً للقومية الجديدة فى الشرق ، ومنارة تشع بضوئها فى جنبات الدنيا ، إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة ، مباركا ، وهدى للعالمين » .

وحسبنا هذه الآية وثيقة لتاريخ البيت ، وستضيف إليها الآيات من بعد ، مناقب أخرى جدت على الأيام .

مكتبتنا العربية

وكأن تلك المناقب كانت آمالا تداعب الإنسانية منذ فجرها الأول، وتنشدها منذ صبوتها الضالة، لتأنس بها فى مهامه دنياها، وتركن إليها كلما هبت من حولها الأعاصير فى حياتها الطولى.

حتى إذا ما حان لكل منقبة من مناقب البيت موعدها المقدور عند الله، برزت فى عالم الوجود، وتم بها جانب من جلال البيت على ما شاء صاحب البيت له من جلال.. إبراهيم أبو الأنبياء يؤثر لطفله إسماعيل، ولزوجه هاجر عزلة عن الناس، حتى يقضى الله فيهما أمراً كان مفعولا؛ فما يروق له سوى المكان القفر بالمثوى القصى، فيدع أمانته هذه فى جوار بيت الله، وعلى جانب تلك البقعة الميمونة، مطمئناً إلى صيانتها، مؤمناً بحسن رعايتها، وليس عليه إلا أن يدعو ربه مستعطفاً لهما، قبل أن يولى وجهه عنهما «ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون».

وهذه دعوات الوالد الواله، يؤججها فى قلب إبراهيم لذع الفراق للولد العزيز، وللزوجة الأثيرة، ويلطفها على نفسه المحرورة غلبة الرجاء فى رعاية الله لجيرة بيته الحرام، ثم يأخذ سبيله، ويدع جانباً من قلبه، ويتجه إلى ما يتجه إليه من شئون، وإذا عاد فإنما يعود لماما وهو فى حله وترحاله يتملكه الإشفاق، ويلازمه الحدب، فتظل دعواته صاعدة من قلبه، جارية على لسانه، ولمن يا ترى دعاؤه؟ للبلد كله من أجل البيت، ولقطان البلد من أجل إسماعيل وهاجر. فتراه مسوقا بعاطفة رحمة وموجها بإلهام غيبى إلى الضراعة حيناً بعد حين فهو يجأر مرة: «رب اجعل هذا بلداً آمناً، وارزق أهله من الثمرات لعلهم يشكرون»، ثم يعود أخرى، ويجدد إلى الله دعاءه، ويوثق رجاءه أن يرعى رب البيت هذا البلد، وأن يجنبه ما كان يرى - فى غير مكة - من جهالة ضاربة، وطغيان مستبد، وأصنام جاثمة، وكفر متوطن، يوم كان يرى ذلك من أبيه آزر وقومه فيشتد عليهم فى نكيره، ويقول «ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون... لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين». ويوم كان يقرع سمع أبيه بقوله: «إنى أراك وقومك فى ضلال مبين» فهو اليوم يسأل ربه فى لهفة ورجاء: «رب اجعل هذا البلد آمناً، واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس، فمن تبعنى فإنه منى، ومن عصانى فإنك غفور رحيم».

مكتبتنا العربية

أليست الدائرة التى دعالها إبراهيم مقراً للبيت الذى آثره مأوى لولده وزوجه ، بعد أن سبق له العلم بأنه بيت كريم على صاحبه ، وأنه محفوف بحراس من السماء ، وأن له سياجا من رعاية الله ، حتى ذكره فى دعائه بوصف ينم عن قداسته ، عند بيتك المحرم ، أو ليس إبراهيم صديقاً نبياً ، ترفع الحجب دون دعواته ؟؟

هنا يتجلى عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظوراً ، ويشاء الله أن يشب إسماعيل بعد أن لقيت أمه فى رعايته ما لقيت أيام الطفولة أو بعد أن احتمل والده ما احتمل من صروف ، وبعد أن أبطأ عليه الأمل فى الولد ، ولم تبق له إلا بقية من عمر ، يغلب عليه الظن أنها أيام قصار .

وقد كان إبراهيم يتصابر على ذلك الحظ المتباطىء فى الذرية ، وهو راض عن هذا بالدأب على رسالته ، وكان يواجه من أمره صعابا ، ويتخذ من صبره على المكاره عدة للنجاح وأسبابا ، وإذا كان من أولى العزم فليس يقل النصيب من قوته ، ولا ينال من عزيمته ، وإنما هو على أكمل ما تكون شخصية النبوة ، حتى ليمتحنه ربك مرة أولى فى نفسه أيام شبابه ، يوم ائتمر عليه عباد الأوثان ليصرفوه عن دعوتهم ، فأضرموا له نارهم ليحرقوه وينصروا آلهتهم من نكيره وتقبيحه ، بما كان يواجههم به وهم فى كثرة ، وهو فى قلة ، وهم يظنونه ضائنا بشبابه مطاوعهم فى الكف عن رسالته ، ولكنه يرخص حياته فى جنب الله ويجود بنفسه ، بينما المرء فى شبابه يضن بالتافه من عرض الدنيا ، فما بالك بالحياة ؟ فلتوقد نيرانهم فى غير تريث ، وليطرح فيها إبراهيم فى غير رفق ولا رحمة ، وليقف الطغاة حول نارهم ليشمتوا فيما نزل بإبراهيم ، غير أن ربك ينصر من أسلم وجهه إليه ، ويعز من أعز دينه ، وانتصر لربه ، فلم يعظم على قدرته أن تكون النار برداً وسلاما على إبراهيم ، وأن يحبط كيد الكائدين ، ويجعلهم الأخسرين .

ثم تقتضى حكمة الله أن يمتحنه على الشيخوخة مرة ثانية فى ولده إسماعيل ، وهو الموهوب له على الكبر ، الممنوح له بعد حرمان ، فيوحى إليه فيما أراه الله من منامه أن يتقرب إلى ربه بذبح ولده وأن يودعه إلى غير لقاء ، والمرء فى كبره أحوج إلى البنين ، وأعطف على الولد ، ولكن إبراهيم إن يكن والدا حنوناً فهو نبى صديق ، وخصائص الرسالة أملك للإنسان من عواطف الأبوة ، فلم يتهم نفسه فى صدق رؤياه ، ولم يتردد فى تنفيذ ما أمر الله ، وكذلك لم يعص الولد البار فى تمكين والده من رقبته ، ولم يعوقه عن المبادرة إلى طاعة مولاه .

مكتبتنا العربية

ونحن نعلم أن الحرص على الحياة غريزة ، وأن حداثة السن تغرى بالعصيان ، وأن العناد أو التدلل فطرة فى الأحداث ، فلم لا يبدو من إسماعيل شىء من ذلك إذ أفضى إليه والده بما رآه فى منامه ، وصارحه بما ليس أشد من وقعه على السمع ؟ ؟ ولكنها ذرية بعضها من بعض .

وهنا يتمثل لطف الله فى قضائه ، وحكمته فى تدبيره ، فيفتدى — سبحانه — الولد لأبيه بذبح عظيم من عنده ، وينادى خليله فى تزكية وثناء « أنْ يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزى المحسنين » .

وبهذا الوفاء تبين لإبراهيم وولده إسماعيل من أمرهما وبرهما ماكان مطوياً عنهما ، من دخائل النفس ، وتجلت لإبراهيم حظوة عند ربه له ولولده كان يأملها ويرجوها فيما كان يدعو به لنفسه ولذريته ، « والله أعلم حيث يجعل رسالته » .

ثم يكون من تدبير الله أن يجعل من شباب إسماعيل المفدى نصيباً لإقامة البيت الذى أوى إليه رضيعاً ، واحتمى به طفلا ، وشب فى جواره يافعاً ، وآن له أن يقف إلى جانب أبيه فى إبراز ما كان فى حجب الغيب ، وطالما اختلج بنفس إبراهيم ، ولهج به لسانه ، فعهد الله إليهما « أن طهرا بيتى للطائفين ، والعاكفين ، والركع السجود » .

وفى مثل ما كان إبراهيم ينشط إلى الدعاء والرجاء كان نشاطه هو وإسماعيل إلى الاستجابة لهذا التكليف فى رحابة صدر ، وأكرم وفاء ، وأفسح أمل ، وأطيب دعاء « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل : ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم » .

كانت هذه الدعوات الخاشعات أنشودة إبراهيم وإسماعيل وهما ينهضان بالبناء ، وما أشق البناء بالصخور ، وتناوله باليد ، وفى قلة من الأعوان ؟ وما أشفق الوالد ، إذ يرى ولده بجهداً معه يتكلف الأمر الذى لا يطيقه أترابه إلا فى عنت وسآمة ؟ وما أعطف الولد الرحيم وأشد وجله على أبيه الشيخ ، إذ يراه مكدوداً فى شأن يخشى أن ينال من شيخوخته ، وهو أحوج إلى الاستكانة ، وإلقاء العبء ، ولكنه مع ذلك مأخوذ بالغبطة له ، وآخذ بالمضى فيه ؟

مكتبتنا العربية

تتجاوب العاطفة بين الشيخ والفتى فيحبب إلى نفسيهما ما قد يكرهه غيرهما ، ويسهل عليها ما يشق على سواهما ، ويريان من اليسير الهين ما قد يكون فى ذاته غير يسير ولا هين ، بل ولا من اليسير والهوان فى شىء .

وهل نرى إبراهيم وإسماعيل ذاكرين لشخصيها فى هذا الموقف ؟ أو شاعرين بما يلحقهما من عنائه ؟ أو حاسبين لشىء مما هنالك أدنى حساب : إلا أنهما يقومان بأمر الله ، ويرفعان بناء ترمقه عين الزمن ، وستستظل به الإنسانية فى حياتها المستأنفة ، وتستشف الدنيا من خيره فى أطوارها القابلة ؟ ؟

لم يكن إلا ذلك : شعور حق ، وأمل وصدق ، واطمئنان بالله ، وثقة فى رضوان الله ، وليس بعد الله جانب تستمد منه القوة ، وتلتمس منه المعونة ، فلتكن الغبطة شاملة للشيخ وولده ، بدلا من كل تقدير آخر ، ولتنبثق الدعوات على لسانهما أوسع مما كانت ، فهما يسألان الله القبول ويسألانه تثبيتهما على الإسلام ، ويسألانه تخليد الإسلام فى أمة من ذريتهما ، وأن يريهما مناسكهما فى البيت ، وحول البيت الذى عهد إليهما بناءه وتطهيره من كل رجس يشينه ، وأن يديم عليهما توبته ، ويسألانه أن يبعث فى الأمة المسلمة من ذريتهما نبيا منها ، يكون رسولا إليها ، يتلو عليهم آيات الله ، ويعلمهم الكتاب وما فيه من أحكام ، وما يتضمنه ويتصل به من حكمة ، ويزكيهم من كل شائبة تنقصهم .

فظهر الغبطة عند إبراهيم وإسماعيل دعاء شامل لا يخصهما ، بل يتسع لها ولمن بعدهما ممن يشاء الله ، وذلك شأن الظافر ببغيته : إذا زكت نفسه ، واستقامت وجهته ، تراه لا يختص نفسه بحب الخير ، وطلب المزيد ، بل يفسح رجاءه لبنيه كما أفسح لنفسه ، ويفسح لغيرهم كما أفسح لنفسه ولبنيه ، وتراه يزداد على النعمة شكراً لا بطراً ، ويشتد إقبالا على الله ، ولا يعرض عن ربه مفتونا ولا أشرا .

دعوات ينفح منها عطف الأبوة ، وتشف عن روح النبوة ، وتجتذب الفكر إلى التأمل ، وتثير الخواطر نحو ما تنطوى عليه من غايات .

ومن لهذه النجوى مثل إبراهيم المبارك ؟ ؟ أليس قد أكرمه ربه فى نفسه فآتاه رشده من قبل ، ورفعه فى الأكرمين عنده حتى أيده (أمة قانتا لله حنيفا ، ولم يك من المشركين ؟)

مكتبتنا العربية

ألم تشف دعـوانه المبكرة عما تدخر له الأقدار بعد ؛ فكان من ذريته شجرة أينعت فى النبوة ؟ ؟

حقا : « إن إبراهيم — كما شهد الله — لحليم ، أوّاه ، منيب » .

وإذ آن لدعوات إبراهيم أن تبرز إلى عالم الوجود ، ولصبح المنى عنده أن ينبلج ، ولساعة الاجابة أن تدق . هبط وحى ربك بالأمر المرتقب « وأذن فى الناس بالحج ، يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم » . ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها ، وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم — يزيلوا ما بهم ويتنظفوا — وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق » .

وبهذا الأمر صدع إبراهيم ، وأعلن فى الملأ أن البيت أصبح مثابة للناس وأمنا .

وحان لهذه الحياة أن ترتسم على صفحاتها خطوط لم تكن ، وأن تقوم على جوانبها المظلمة معالم الهداية شامخة ، وأن تشرق جوانبها المترامية بقبس وضاء من نور السماء .

وحان للبيت الفراغ أن يعمر بأفئدة من الناس تهوى إليه ، ولمكة أن تنهض لاستقبال عهد خصب تترادف عليها ثمراته ، ولم يكن لها فى حساب . . لها بقية .

عبد اللطيف محمد السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الاستعمار كما يصفه نائب فرنسى

جاء فى تقرير النائب الفرنسى مسيو موتيه الذى رفعه إلى مؤتمر الاتحاد البرلمانى فى برن سنة ١٩٢٤ :

« من المحقق أن الاستعمار عمل لا يسوّغه قانون ، وكثيراً ما ظهر بمظهر الفظاظة والغلظة ، لأنه يقضى بحكم القوى على الضعيف . وقد مضى على وجوده قرون بحجة نشر المدنية والارتقاء بين الشعوب المزعوم جهلها وخمولها . والحقيقة أنه لم ينشر من تلك المدنية وذلك الارتقاء إلا الأسماء التى تنتحلها لنفسها الأمم المستعمرة . وقد أراد المستعمرون أن يسدلوا على أعمالهم ثوباً شرعياً قانونيا فقرروا ضم ما استولوا عليه من البلدان إلى ممتلكاتهم بحجة نشر المدنية والعلوم ، والحقيقة أنهم لم يفعلوا ذلك إلا لمصلحة بلادهم » .

ثم ختم كلامه بقول لاروشفوكو : « النفاق حكمة تقدمها الرذيلة للفضيلة بكل احترام » .

مكتبتنا العربية

السنة

١ — التطهير فى الاسلام

عناية الإسلام به ـ مبلغ الشرائع الوضعية منه ـ المبايعة على ترك الموبقات
رجال تخرجوا فى مدرسة التطهير ـ درجات الناس فى الوفاء بالعقود

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ـ وكان شهد بدراً ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة ـ أن رسول الله ﷺ قال ، وحوله عصابة من أصحابه : « بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا فى معروف . فمن وفى منكم فأجره على الله ؛ ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ؛ ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه » فبايعناه على ذلك . رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أشرنا فى الجزء الثانى من هذا العام إشارة مجملة إلى التطهير فى الإسلام ، ثم بدا لنا أن نفصلها فى هذا الجزء وما يليه إن شاء الله ؛ ليعلم من لم يكن يعلم كيف عُنى الإسلام ورسول السلام بالتطهير عناية ما كانت لتخطر لأحد على بال .

لقد عنى الإسلام بالتطهير بطنا وظهرا ، وسرا وجهرا ، وحسا ومعنى : فى النيات والسلوك والعقائد والأعمال والأحوال ، وسائر شعبه وشرائعه كلها ، جليلها ودقيقها ، فرضها ونفلها ، فى الأفراد والجماعات والرجال والنساء والأطفال ، والأمم والشعوب ، وفى السفر والحضر والسلم والحرب . لم يدع صغيرة ولا كبيرة فى هذه الشئون عامة وخاصة إلا جعل التطهير أساسا لها أو مرتبطا بها . وهل الإسلام إلا أوامر تمتثل ، ونواهٍ تجتنب ؟ وما الأوامر فى الإسلام إلا الفضائل أو الخير ممثلا فى شعبه ومناهجه ودرجاته ، وما المناهى فيه إلا الرذائل أو الشر ممثلا فى ضروبه وأبوابه ودركاته .

ألا فليعلم من لم يكن يعلم أن ضروب التطهير قديما وحديثا فى الشرائع الوضعية كافة ،

مكتبتنا العربية

لم يبلغ معشار ما بلغه فى الإسلام ، بل لم يبلغ فيها ما يبلغه القشر من لبه ، ولا الزبد من زَبده ، وأين تدبير العباد الضعفاء وتطهيرهم ، وهم لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ، من تدبير الحكيم الخبير وتطهيره ، وهو الذى أحاط بكل شىء علما ، وأحصى كل شىء عددا ، وخلق كل شىء فقدره تقديرا ؟!

إن التطهير فى الإسلام - إلا ما تدعو الضرورة إليه - أمر اختيارى يوكل إلى العبد حتى يزكى نفسه بنفسه من غير جبر ولا إكراه ، وما هو إلا الإرشاد والبيان ، والدعوة والبرهان : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، « فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر » ، « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » ، « قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دسّاها » .

وأما التطهير فى الشرائع الوضعية فإنه إجبارى ، يوكل أمره إلى ذوى النفوذ والسلطان ، يتولونه بالعنف والقوة ، ويأخذون فيه بالشدة والظنة . ولا يستوى تطهير أسس على الطوع والاختيار ، وآخر أسس على الكره والاضطرار .

وفى هذا الحديث الجامع يروى عبادة بن الصامت ، رضى الله عنه : كيف بايع النبى ﷺ هذه العصابة المطهرة من أصحابه ؟ وكل أصحابه أطهار كرام : بايعهم النبى ﷺ على التطهير من ستة خبائث هن جماع الموبقات ، وأصول المهلكات ، من وقيهن فقد وقى شراً مستطيراً ، وأعد إعداداً كريماً ، يرشحه لأن يكون عضواً حياً فى خير أمة أخرجت للناس . والعصابة - ومثلها العصبة - هى الجماعة بين العشرة والأربعين .

* * *

ذكر البخارى لعبادة رضى الله عنه منقبتين من أجلّ مناقبه ، ليرينا أى إنسان كان راوى هذا الحديث ؟ ذكر أنه شهد بدراً . وحسبك فى فضل أهل بدر ما جاء فى الصحاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ... لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ، وذكر أنه أحد النقباء ليلة العقبة .

وجملة القول فى أخبار العقبة - وهى فى طريق الذاهب من مكة إلى منى - ان النبى صلى الله عليه وسلم لما يئس من قومه أخذ يعرض نفسه على القبائل فى موسم الحج يدعوهم إلى الله تعالى . وقبل الهجرة بعامين لقى ستة من الخزرج ، فعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم

مكتبتنا العربية

القرآن ، فأسلموا وحملوا الإسلام إلى المدينة . ويذكر بعض أهل السير والمغازى أن منهم عبادة . . فلما كان العام المقبل لقيه من الأنصار اثنا عشر رجلا : خمسة من السابقين وسبعة غيرهم أسلموا جميعا . وهذه هى البيعة الثانية ، وكان فيها عبادة يقينا . فلما كان العام الذى يليه قدم من المدينة جم غفير من الأوس والخزرج وبايعه منهم سبعون رجلا وامرأتان ، واختار منهم ـ اقتداء بالقرآن ـ اثنى عشر نقيبا أحدهم عبادة ، وجعلهم كفلاء على قومهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم . وهذه هى البيعة الثالثة .

وكانت بيعتهم فى العقبة على الإيواء والنصرة ، وأن يمنعوه ﷺ مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، لا على التطهير من هذه الموبقات الست التى ينتظمها هذا الحديث ، كما ظن كثير من المحدثين وأهل السير ، وإنما كانت المبايعة التى فى الحديث هنا بعد فتح مكة ، وبعد أن نزلت آية الممتحنة : « يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك » فبايع النبى ﷺ النساء ثم بايع الرجال . ومرجع الالتباس على من ذهب إلى أن هذه البيعة كانت فى العقبة قبل الهجرة أن عبادة بايع البيعتين جميعا ، إلى غيرهما من المبايعات ، وكانت بيعة العقبة من أجل ما يتمدح به ، ولذا أشار إليها البخارى فى هذا الحديث ، وكان يذكرها عبادة تنويها بما من الله عليه ، فلما أشير إليها فى مقدمة البيعة التى هنا ، وهى على مثل بيعة النساء ، توهم من لم يقف على جلية الأمر أن بيعة العقبة وبيعة الفتح سواء .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* * *

وإذا كان عبادة راوى هذا الحديث واحداً من المتخرجين فى مدرسة الطهر والتطهير والتحرر والتحرير ، فحق علينا أن نأتى على بعض صفاته وأخباره ؛ لنتبين كيف تربى المدرسة الطاهرة أبناءها ؟ وكيف تؤتى الشجرة الطيبة أكلها كل حين بإذن ربها ؟!

آتى الله عبادة رضى الله عنه بسطة فى العلم والجسم ، والقوة والشجاعة والصلابة فى دين الله عز وجل ، ومن أجل ذلك كان يجله الفاروق رضى الله عنه ويكرمه ، حتى بلغ من إجلاله إياه أن قال له على أثر مقدمه من الشام لنزاع بينه وبين معاوية : إرجع إلى مكانك ، فقبح الله أرضاً لست فيها ولا أمثالك ، وكتب إلى معاوية : لا إمرة لك على عبادة . ومن إجلاله إياه أنه أمد عمرو بن العاص بأربعة آلاف فى فتح مصر ، فلما أبطأ عليه الفتح أمده بأربعة آلاف أخرى ، وأمر على كل ألف واحداً من أربعة : عبادة ، والزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، ومسلمة بن مخلد ، وكتب إليه : قد أنفذت إليك أربعة آلاف على كل

مكتبتنا العربية

ألف منهم رجل مقام ألف ، فصار معك اثنا عشر ألفا ، ولا تغلب اثنا عشر ألفا من قلة [١] .

. رضى الله عنه بعد بني أحمد . وبيعة الرضوان ، وتشاهد كلها .

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

* * *

عاهد النبى ﷺ صحابته وأمته - أول ما عاهد - على التطهير من رجس الشرك فى كل صورة من صوره ؛ لأنه منبع كل بلاء ، وموطن كل داء ، لا يرفع معه إلى الله عمل ، ولا يزكو فى أرضه نبت ، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا ، وقد اتفقت رسالات الله كلها على أن الشرك أكبر الكبائر ، وأشد الموبقات ، وأعظم الظلم ؛ لأنه جحود للرب ، وإهدار للعقل ، وإمعان فى كفر النعم والمنعم ، واستحباب للعمى والضلال المبين .

وعاهدهم على التطهير من السرقة ، قليلها وكثيرها ، ولعن السارق ، لأنه يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده [٢] والسرقة كسب خبيث غير مشروع ، مضيعة للشرف والمروءة ، مجلبة للخزى والعار ، مزرعة للبطالة والدناءة والكسل ، موجبة للعنة والنكال فى الدنيا والآخرة .

وعاهدهم على ألا يقربوا الزنى : « إنه كان فاحشة وساء سبيلا » . وكان فاشيا فى الجاهلية على أنحاء شتى . وهو أعظم الجرائم هتكا للأعراض ، ونشرا للأمراض ، وهدما للبيوت والأسر ، وقتلا للأحساب والأنساب ، وخيانة للأمانات ، ومقتا عند الله والناس !

وكانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر أو العار ، وشاع فيهم وأد البنات إسرافا فى الكراهية لهن دون ذنب جنينه . والوأد هو قذف البنت فى حفرة أعدت لدفنها بالحياة . وفى هذه الجريمة الشنعاء يقول تبارك وتعالى : تبكيتا لصاحبها « وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » جريمة تقشعر من ذكرها الأبدان . وتشيب من هولها الولدان ، وتصف أفظع صورة لقسوة الإنسان !! وهى بعد ذلك قطيعة للرحم ، وعدوان على المخلوق الضعيف الذى لا يملك أن يدفع عن نفسه شيئا ، واتهام للخلاق الرازق ذى القوة المتين ، من بيده مفاتيح الرزق وخزائن السموات والأرض - بأنه عاجز عما تكفل به !! واجتماع هذه الجرائم البشعة

---

[١] ليس عجبا أن يعد الواحد منهم ألفا بالقول ، فباب المجاز واسع ، وإنما عده ألفاً بالحساب والفعل وبناء الحكم المنطق .

(٢) لأن سرقة ما لا قطع فيه تجرى على مافيه القطع . ومنهم من أخذ بظاهر الحديث فجعل القليل والكثير سواء فى إقامة الحد .

مكتبتنا العربية

فى قتل الولد هو سر التخصيص فى النهى وإن كان القتل كله منكرا ، ولكن كفر دون كفر، وظلم دون ظلم ، ونظير هذا الزنى بحليلة الجار ، ونكاح امرأة الأب ، وكلاهما إلى الفاحشة قطيعة وسوء أدب ، وهذا هو سر إضافة « المقت » فى قوله تباركت أسماؤه « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » وفى الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت يا نبى الله : أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قلت ثم أىّ ؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أى ؟ قال أن تزانى حليلة جارك .

* * *

وإتيان البهتان هو اختلاق الزور والكذب الذى يبهت من يرمى به ويدهشه لشدة هوله وفظاعته ! وخص الأيدى والأرجل بالذكر، لأنهما الأداة فى معظم الأفعال ، إذ هما العوامل أو الحوامل للمباشرة والسعى ، وقد يعاقب الشخص بجريمة قولية فيقال هذا بما كسبت يداك وإن كان الكاسب هو اللسان ، وقيل كنى عن الذات بالأيدى والأرجل لأنها بينهما ، فالمعنى لا تأتوا ببهتان تنشئونه من قبل أنفسكم ، أو من قبل ضمائركم وقلوبكم .

وأظهر ما يكون البهتان فى نساء الجاهلية ، وكانت إحداهن تلتقط المولود وتقول للرجل هذا ولدى منك زورا وإفكا ! ومن هنا استدل بعض المحققين على سبق بيعة النساء ، وسوق بيعة الرجال على منهاجها .

ثم يختم النبى ﷺ مبايعته بالوصية البليغة الجامعة ، التى تنهى عن كل قبيح ذكر أو لم يذكر ، كما تتضمن الأمر بكل حسن جميل من مكارم الأخلاق التى بعث لإتمامها صلوات الله وسلامه عليه .

والتقييد بالمعروف مع أنه صلوات الله عليه لا يأمر إلا به . لتنبيه أمته على أنه لا طاعة لمخلوق وإن عظم فى معصية الخالق جل وعلا ، وفى هذا أبلغ رد على من زعم أن طاعة أولى الأمر واجبة من غير قيد ولا شرط .

وبعد أن وفى رسول الله ﷺ هذه الأمور الست التى عاهدهم عليها ، بين لهم أن الناس فيها فرق ثلاث . فرقة توفى بعهد الله إذا عاهدت فجزاؤها إلى الله عز وجل ، ونعما هو ، وفرقة تقصر ثم تطهر ، وفرقة إلى الله أمرها ، وفى علمه عاقبتها .

وإذا ضاق المقام عن بيان هذه الفرق فموعدنا الجزء الآتى بعون الله ومشيئته .

طه محمد الساكت

مكتبتنا العربية

أزمة الفقه الإسلامي

١ — شجعنى تقبل كلمتى الماضية فى هذه المجلة : « طريق الإفادة من الفقه الإسلامى » بقبول حسن ، من المعنيين بحق بما فيه صلاح الأزهر وإقداره على أداء رسالته ، ومن الذين يعنون بما فيه الخير للعالم الإسلامى بعامة ، على أن أتقدم بكلمة أخرى فى هذا الشأن ، كلمة أخرى فيها الصراحة الواجبة فى معالجة مشاكلنا وإن آلم هذا بعض الناس :

إن صاحب هذا القلم الضعيف ظل سنوات طويلة يكتب فى إصلاح الأزهر ، وفيما يتصل من قرب أو بعد بالشئون الإسلامية العامة ، وهو يائس من أن يكون لما يكتب أثر أو صدى قوى لدى أولى الأمر وبخاصة فى الأزهر . ذلك ، بأننا كنا فى عهد استشرى فيه الفساد وعم جميع مرافق الأمة ، فلم يكن يلقى المؤمن بما يكتب سميعاً ولا تقديراً من القائمين على الحكم وتصريف شئون الأمة .

والآن ، وقد انبلج فى هذا العهد الحاضر المبارك فجر جديد قوى نوره حتى صار ضوءاً نسير فى الإصلاح على هداه ، وصار ناراً تحرق الفساد والمفسدين ، صار من الواجب أن نكتب وندلى بما نؤمن به من آراء ، وأن نكتب بقوة فى سبيل الإصلاح . وبخاصة ، ونحن نرى أن الثورة التى نعيش الآن فى نعمتها لم تمس حتى الآن بعصاها السحرية الأزهر ، فتخرجه عن الطريق الذى ظل فيه دهراً طويلا إلى الطريق الذى يجب أن يسلكه إن أراد الخير لنفسه وللعالم الإسلامى كله .

٢ — وبعد هذا ، ماذا نريد أن نقول ؟ نريد أن نقول إن الفقه الإسلامى فى أزمة حادة عنيفة منذ زمن بعيد ، زمن يقدر بالمئات من الأعوام ، وقد اشتدت هذه الأزمة حتى أصبحنا لا نحس بها فنلتمس السبيل للخروج منها ، وحتى تناسيناها واستنمنا إلى ما نحن فيه ورضينا به .

ولكن هذه الأزمة أخذت تنفرج ، أو على الأقل أصبحنا نلمح فى الأفق بوادر

مكتبتنا العربية

انفراجها . فقد أحسسنا بها ، ومتى أحس المريض بمرضه يأخذ طبعاً فى الطلب له وعلاجه حتى يبرأ منه ويعود صحيحاً سليم الجسم . وكان من بوادر قرب انفراج هذه الأزمة ، أن صار إحياء هذا « الفقه الإسلامى » كما نعرفه من كتاب الله وسنة رسوله ، ثم الدعوة فى الحاح من سائر الأقطار الإسلامية ، قضية عامة ومشكلة تشغل الدولة والمصلحين المسلمين ، وذلك لعشرى أمارة قاطعة على أننا صحونا حقاً بعد نوم طويل .

٣ — وكل « أزمة » فى أية ناحية من نواحى العلم والحياة ، لها بلا ريب أسبابها وأعراضها وعلاجها ، وهكذا نجد « لأزمة الفقه » ما نجد لأية أزمة أخرى : نعنى الأسباب التى أحدثتها ، والأعراض التى عرفناها منها ، ثم العلاج الذى به يكون البُرء أو الشفاء والتخلص منها .

وإذا كانت أعراض المرض تظهر أولا للعين المشاهدة الملاحظة ، ثم يجىء الطبيب للفحص عن أسبابه ، فإن علينا أن نتعرف أولا أعراض الأزمة التى يمر بها فقه الإسلام . إن أعراض هذه الأزمة ترجع فى جماعها إلى أمرين :

١ — الانصراف عن هذا الفقه شيئاً فشيئاً حتى أطرحناه جملة فى تشريعاتنا وقوانيننا الحديثة ، وكان ذلك منذ زمن بعيد يرجع إلى ما قبل إنشاء المحاكم الأهلية ، إذ عمد رجال القانون عندنا إلى الأخذ عن القوانين الغربية وبخاصة القانون الفرنسى اللاتينى .

٢ — استنكار كثير من الناس ، وبخاصة أولى الأمر ورجال القانون الصيحات التى أخذت تتجاوب فى أنحاء العالم الإسلامى ، والتى تنادى بوجوب الرجوع للشريعة الإسلامية فى تشريعاتنا الحديثة ، وكان من أثر هذا الاستنكار ، أن عمد الداعون للفقه الإسلامى إلى الاستشهاد بآراء علماء القانون فى الغرب فى صلاحية الفقه الإسلامى للتطور وأن يكون من مصادر التشريع الحديث . وهذا الاستشهاد نفسه أمارة على استشراء الداء واشتداد الأزمة ، حتى نحتاج فى تقوية ثقتنا بأنفسنا وتشريعاتنا الأصيلة إلى الاستنجاد بأقوال الأجانب عنا !

٤ — وبعد أن عرفنا أعراض هذه الأزمة الخطيرة ، لابد أن نحاول تعرف الأسباب التى أدت إليها ، ليكون من الميسور بعد ذلك الأخذ فى علاجها بما يستأصل هذه الأسباب ، فيعود لفقه الإسلام مكانته الملحوظة بين التشريعات والقوانين العالمية . وليتأتى له أن يسهم بأوفر نصيب فى تقدم الدراسات الفقهية فى العالم كله لخير الإنسانية عامة .

مكتبتنا العربية

والكلام فى هذه الأسباب طويل ، ويتشعب هنا وهناك ، ولكنها ترجع فى رأينا إلى إهمال القائمين على دراسة وتدريس الفقه فى الأزهر إهمالا شنيعاً للدراسة التاريخية والدراسة المقارنة . وهذا ما تكلمنا عنه بإجمال فى الكلمة الماضية ، ونود فى هذه الكلمة أن نتناوله بشىء من التفصيل .

• — إن الدراسة العلمية الحديثة للفقه أو القانون وغيره من ضروب العلم المختلفة ، تتميز باتجاهين خطيرين : الاتجاه أو البحث التاريخى ، والبحث المقارن ، وقد كان الأمر قبل ذلك مقصوراً ، إذا اكتفينا فى كلامنا الآن على القانون ، على أن تدرس كل أمة نظمها القانونية لمعرفة أحكامها وتطبيقاتها على الحوادث والحالات الفردية الموجودة ، ولا تتعدى ذلك إلى دراستها التاريخية لمعرفة نشأتها وتطورها ، ووسائل هذا التطور .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان علماء القانون فى أمة من الأمم يتناولون بالدراسة نظمها القانونية وحدها ، ولا يمدون بحوثهم إلى دراسة مثيلاتها فى الأمم الأخرى غافلين عن قيمة الدراسة المقارنة وخطرها ، هذه الدراسة التى تعرف أن أى ضرب من ضروب المعرفة فى أمة ما ، ليس إلا جزءاً من كل : هو المعرفة الإنسانية العامة التى تسهم فيها الأمم كلها بنصيب قليل أو كثير .

٦ — ولما اتصل العالم والشعوب بعضها ببعض ، اتجه العلماء فى دراساتهم إلى التاريخية والمقارنة ، ومن ذلك عرفوا أن الشعوب تتشابه إلى مدى بعيد فى ظروف نشأتها وتطورها وفى وسائل معالجتها وتنظيمها لشئونها وأحوالها الاجتماعية ، وقد عرفوا ذلك كله من الدراسة التاريخية .

كما عرفوا من الدراسة المقارنة مقدار ما بين الأمم من تشابه ، بل تماثل فى نواح عدة ، فى تقاليدها وأنظمتها القانونية ، وأن بعضها أفاد من بعض فى هذا السبيل . وكان من أثر هذه الدراسة المقارنة ، أن ظهرت أصالة بعض الشرائع بالنسبة للبعض الآخر ، فكان لتلك فضلها غير المنكور .

٧ — وقد أتى على الشريعة الإسلامية حين طويل من الدهر كان الفقه يدرس فيه دراسة قيمة لا ينقصها البحث المقارن بين مذاهبه العديدة ، ماخلد منه حتى الآن وما اندرس بفعل الزمن ، وفى هذه الفترة المجيدة ، التى كان الجهل والظلام يسودان فيها على العالم الغربى ، وضع علماء الفقة الأصلاء الأجلاء نظمه وقواعده التى تتسع لكل ما جد ويجد

مكتبتنا العربية

من النوازل والحوادث ، وهذا بفضل ما قامت عليه هذه النظم والقواعد من أصول قوية ومرنة تسمح بتطور الفقه حسب الزمان والمكان ، مع بقائه دائماً يسير فى فلك كتاب الله وسنة رسوله .

ولكن هذه الفترة يطويها الزمن الذى لا تنقطع عجلته عن الدوران ، وتتوالى السنون والأعوام ، وإذا بفقهاء المسلمين يفقدون الحيوية والأصالة ، وإذا بهم يجمدون على ما وصل إليهم من تراث فلا يعملون على تنميته ، بل ولا على تجليته وعرضه للناس عرضاً طيباً ، وإذا بالفقه الإسلامى لا يعيش إلا بين جدران الأزهر لا يحس بالعالم ولا يحس العالم به ، وإذا بعلماء القانون الوضعى يولون وجوههم شطر أمم غريبة عنا بنظمها وتقاليدها وعاداتها فيأخذون عنها لنا ، يأخذون عن هذه الأمم لنا نحن المسلمين الأغنياء بتراثنا الفقهى لو عرفنا الإفادة منـــه .

٨ — فإذا ما أنشئت « كليات » ، منها كلية الشريعة التى تقوم على دراسة الفقه وعلومه وأدواته ، قلنا الآن بدأ الأزهر يفيق من غفلته ويستيقظ من نومه ، وقلنا وقال الناس معنا الآن يبدأ الفقه الإسلامى استعادة حيويته وأصالته ، والآن سيكون لنا من خريجى قسم تخصص المادة أو الأستاذية ثروة فى الفقه تظهر الناس على خصائصه التى تميزه عن سائر القوانين والشرائع ، ثم بعد قليل سيكون للقارئين بالعربية بحوث أصيلة مقارنة تسكره رجال القانون من المصريين وغيرهم من الغربيين على الاعتراف لفقه الإسلام بمكانته ، ثم يكون من أثر ذلك الاتجاه الرسمى الجاد إلى الإفادة منه فى تشريعاتنا وقوانيننا الحديثة حتى يكون أخيراً هو المصدر الأول لتلك القوانين .

ولم نكن مسرفين فى الأمل ، ولا متجاوزين حد الممكن بل الميسور فيما رجوناه ؛ فإن خريجى أقسام تخصص المادة أو الأستاذية . نشأوا فى ظروف غير ظروف شيوخهم الأجلاء ، وأعدوا لزمان غير زمانهم ، والمفروض أنهم حذقوا من أساليب البحث ما لم يحذقه أساتذتهم ، فليس كثيراً عليهم إذاً أن يحققوا ما رجوناه وانتظرناه منهم . ولكن ، والأمر مؤسف مؤلم ، لم نر شيئاً ذا غناء تحقق من هذا الذى رجوناه منهم . فلماذا ؟ وعلى من تقع التبعة ؟

٩ — إنى أرى أن التبعة فى ذلك لا تقع عليهم وحدهم ، بل ربما كان نصيبهم منها

مكتبتنا العربية

ضئيلا ، ولكن أكبر جانب من هذه المسئولية تقع على عاتق المسئولين عن الأزهر بعامة ، وعن كلية الشريعة بخاصة [١] ، وذلك لأمور :

(١) ان لخريجى هؤلاء المتخصصين رسائل نالوا بها درجاتهم العلمية ، فأين هذه الرسائل ؟ إن أكثرها لايزال مخطوطاً لم ير نور الشمس ، ولا أعرف فى الفقه رسالة مطبوعة إلا رسالة واحدة عن « العرف والعادة فى رأى الفقهاء » ، وهى رسالة تنم عن بحث جيد وعرض طيب ووصل صاحبها الفاضل إلى نتائج محمودة لها أثرها . وكان من الفرض على الكلية أن تعمل على نشر سائر الرسائل ، فإن هذا واجب عليها بلا ريب ؛ ليعرف رجال القانون أن الأزهر قد تغير وتطور فى البحث ، وعزم على المشاركة فى تقدم الدراسات الفقهية .

(٢) ان كثرة هؤلاء المتخصصين ، إن لم نقل إنهم جميعاً ، ظنوا خطأ أنهم بنيلهم الدرجات العلمية بعد رسائلهم التى تقدموا بها قد عملوا كل الواجب عليهم ، وكان من هذا أن أعفوا أنفسهم من البحث والإنتاج ، على حين أن درجة الدكتوراه نفسها من جامعة من الجامعات لا تعتبر إلا جوازاً للوصول إلى التدريس فى كلية من الكليات . ثم على صاحبها بعد ذلك أن يأخذ نفسه بالبحث والإنتاج فيما تخصص فيه ، إلى درجة أنه ليس له أن يتشوف إلى ترقية فى كليته إلا جزاء إنتاج جديد .

(٣) ومن المعروف أن المقرر دراسته من الفقه أو الأصول فى فرقة من فرق كلية الشريعة لا يتسع عام واحد بل أكثر من عام لدراسته واستيعابه ، وهنا يجد المدرس المجال فسيحاً أمامه لاختيار موضوع من موضوعات المقرر لدراسته فى هذا العام ، ثم يختار آخر لدراسته فى العام التالى فى الفرقة نفسها ، وهكذا حتى يتم دراسة جميع المقرر دراسة جادة عميقة ، وعليه أن يذيع بحثه لكل موضوع مطبوعاً يقرأه الناس ويفيدون منه . ولكن الأمر يسير فى كلية الشريعة ، وغيرها من كلياتها الأزهر ، على غير هذا المنهاج المستقيم ، وتسير الترقيات للمدرسين على قاعدة مرور الزمن وحدها ، بلا نظر إلى الكفايات والإنتاج العلمى الأصيل . وبذلك تعظم الخسارة ويطول نوم الأزهر ، ونظل نحن الأزهريين نعيش على هامش الحياة ، وتظل الصلة منقطعة أو تكاد بين الفقه الإسلامى والقوانين الأخرى ورجالها .

---

(١) إنى اتكلم هنا عن الفقه وحده ، ولذلك خصصت بالحديث عن المسئولية كلية الشريعة ، فالأمر كذلك فى الكليتين الأخريين فيما يختص بكل منهما .

مكتبتنا العربية

١٠ — وأخيراً ، كان من قدر الله الرحيم بالإسلام وتراثه العلمى أن اتصل الغرب بالشرق ، وكان علماء الغرب الطائفة التى نعرفها باسم « المستشرقين » ، وهذه الطائفة تقاسمت التراث الإسلامى فيما بينها ، فكان منهم من توفر على الجانب الفقهى منه . ثم كان من ازدياد الصلة بين الغرب والشرق ما جعل الجامعة ترسل كثيراً من أبنائها لجامعات أوروبا ، وكان من هذه البعوث كلية الحقوق ، وكان من هؤلاء من كتبوا رسائلهم فى موضوعات فقهية إسلامية أو موضوعات تتصل بالفقه الإسلامى من قرب ؛ فعرف كثير من رجال القانون فى الغرب جانبا غير قليل من فقه الإسلام ، وعرفوا له بسبب ذلك قيمته السامية بين سائر القوانين [١] .

وهنا ، كما يقول الأستاذ الكبير على بدوى [٢] ، نكاد نلمس الوسيلة السامية الفعالة للكشف عن أسرار الشريعة الإسلامية ، وإبراز مبادئها فى ثوبها العصرى ، ووضعها فى المستوى الجدير بها بين الشرائع الأخرى . تلك الوسيلة التى يجب أن تتوفر وأن تقوى فى البيئة العلمية الإسلامية على وجه عام ، والتى يجب أن نعمل على توفرها وتقويتها فى البيئة العلمية المصرية على وجه خاص ؛ وهى تفقه رجال القانون فى علوم الشرع الإسلامى من جانب ، ووقوف علماء الشريعة على مبادئ القانون العصرى وأساليب بحثه من جانب آخر . فإذا تم تبادل الثقافتين الدينية والمدنية ، وامتزاج العقليتين الشرعية والقانونية ، جاءت الجهود متضامنة والمعونة مزدوجة ، وقامت الصلة بين الشريعة والقانون ، وأخذ الفقه الإسلامى مكانه فى العلم الحديث .

الدكتور محمد يوسف موسى
أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

---

(١) وهنا نشير أيضا إلى الأثر الطيب الذى أحدثه اتجاه كثير من طلاب الدكتوراه فى كلية الحقوق بمصر إلى رسائلهم فى موضوعات فقهية إسلامية ، فحصلت الصلة المباشرة بيد رجال القانون وبين الفقه الاسلامى ، وهى صلة نرجو ونتوقع أن تزيد كثيراً .

(٢) ص ٧ من كتابه : أبحاث التاريخ العام للقانون ، الجزء الأول .

مكتبتنا العربية

علم التوحيد

لقد علمت فى الكلية الشرعية فى دمشق ، والكلية الشرعية فى بيروت ، والكلية الشرعية فى بغداد ، منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، وكلها قد أنشىء على غرار معاهد الأزهر وكلياته وكلها يتبع مناهج قريبة من مناهجه — فكنت أعجب من القائمين عليها كيف يهملون (علم التوحيد) . ويسمون باسمه ، ويقيمون مقامه (شيئا) هو أبعد عن التوحيد ، من الأرض عن السماء ، مع أن التوحيد من الدين ، بمقام الروح من الجسد ، وأنه أول أغراض الرسل جميعا — وأعظم مقاصد القرآن ، ولأجله بعث الأنبياء ، وشرعت الديانات .

والذى يقرأ اليوم على أنه توحيد مما اشتملت عليه العقيدة النسفية وأمثالها (ولا أستثنى من ذلك رسالة الشيخ محمد عبده) لا يكاد يقوى عقيدة ، ولا يثبت إيمانا ، ولا يبعث فى النفس خشية الله ، ودوام مراقبته ، ولا يدفع إلى إخلاص فى عبادة ، ولا يذيق صاحبه حلاوة الإيمان . يخاطب العقل بالمنطق ، وكان من حقه أن يخاطب القلب بالشعور ، وربما انتهى إلى جدل عقيم لا يلد فائدة ، ولا ينتج نفعا ، وأعجب ما فيه رواية شبه أقوام انقرضوا ، وتلقين الطالب ضلالاتهم (وكفرياتهم) التى لم يبق اليوم أحد على ظهر الأرض يعرفها أو يقول بها .

ولقد كان المسلمون الأولون ، وهم أئمة الدين ، وصفوة المؤمنين ، لا يعرفون من علم التوحيد ، إلا الآيات التى أنزلها الله فى القرآن ، أقبلوا عليها تلاوة خاشعة ، وعلما وفهما ، فأعطاهم الله بها إيمانا ثابتا ظهر فى كل حركة من حركاتهم ، وسكنة من سكناتهم ، وكانوا يعلمون أن للإيمان شعباً تجمع مطالب الخير والحق كلها ، فكانوا متمسكين بشعبه جميعا [1] من تنزيه الله عن الشريك ، وإخلاص العبادة والدعاء له ، وابتغاء الخير منه ، والاستعانة (فيما وراء الأسباب) به وحده ، إلى ما يبدو أنه أيسر أعمال الخير وهو إماطة الأذى عن الطريق . وكانوا لا يأتون المحرمات ، لأنه (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن) ولا يشرب الخمر شاربها وهو مؤمن ، وكيف يزنى وهو (مؤمن) بأن الله مطلع عليه ، وناظر إليه ؟

[١] أحسن مرجع فى هذا المعنى مقالات الأستاذ الكبير محب الدين الخطيب فى الفتح .

مكتبتنا العربية

هل يستطيع أن يزنى من يعلم أن أباه أو أستاذه ، قائم فى شباك ينظر إليه ، وكانوا أهل نظافة وطهارة فى ثيابهم ، وأجسادهم ومساكنهم ، وألسنتهم لا يدنسونها بالخنا ، وأعمالهم لا يوسخونها بالغش والرياء والفسوق والعصيان ، لأن (النظافة من الإيمان) .

وكان فى عصرهم مخالفون من كل نحلة ومذهب ، فما ضرهم فى إيمانهم ومناظرتهم لخصومهم أنهم لم يدرسوا علم الكلام ، ولم يعرفوا منطق أرسطو ولم يقرءوا النسفية ولا ما يشبه النسفية ، وما احتاجوا أن يسلكوا فى جدال هؤلاء المخالفين والرد عليهم غير مسلك القرآن .

ومر على ذلك القرن الأول ، وهو خير القرون ، وشىء من الثانى ، ثم نجمت فى الأمة طائفة المتكلمين من المعتزلة ، وقد أجمعت كلمة العلماء فى عصر نشأتهم على إنكار بدعتهم ، وتقبيح نحلتهم على ما كان لهم من إخلاص فى نية الذب عن الإسلام ، وثبات فى مواقف الدفاع ، وبصر بصناعة الجدل ، وما كان لهم من سعة علم وحدة نظر ، وروعة بيان .

واتفق أن إماماً من أئمتهم ، ولسانا من لسنهم ، ترك الاعتزال ورجع إلى الجماعة ، ولكنه حمل معه تفكيره وأسلوبه وطريقته ، وهو أبو الحسن الأشعرى ، فلم تتحول هذه الطريقة حتى تصير سلفية قرآنية ، ولكن تحولت طريقة السلف به فصارت منطقية عقلية ، واختفى بذلك التوحيد الذى كان مصدره ومرده ، إلى آيات القرآن لا يعرف غيرها ، ولا يعتمد إلا عليها ، ونشأ علم الكلام ، الذى يعتمد على منطق أرسطو .

والغريب أن هذا العلم الذى نسميه خطأ بـ (علم التوحيد) وندرسه فى مدارس الدين ونشغل به الطلاب ، ونأخذه على أنه طاعة من الطاعات ، وقربة من القربات قد كرهه علماء الملة وأئمة الاسلام ، ولما وصل المصرى الذى أرسله ابن العاص إلى عمر بن الخطاب ووجده يتكلم فى شىء يشبه علم الكلام اليوم بسؤاله عن معنى الاستواء وأمثال ذلك من المتشابه ضربه ونفاه وأمر الناس بمقاطعته ، مع أن ما ضربه لأجله هو ما تمتلىء به كتب علم الكلام الذى نسميه علم التوحيد .

ومالك لما سئل عن ذلك عد السؤال بدعة ، وجوابه مشهور معروف ، ونهى أبو حنيفة ابنه عن مناظرة رجل كان يناظره فى القدر وأمره ألا يعود ، ومنع أصحابه من الصلاة خلف رجل كان يتكلم فى خلق القرآن وآخر كان يرد عليه ، فقيل له الأول ينكر قدم القرآن ، فما بال الآخر ؟ قال : ينازع فى الدين ، والنزاع فى الدين بدعة ، وروى عنه النهى عن الصلاة خلف أصحاب الكلام ، وقال الشافعى : حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا

مكتبتنا العربية

بالجريد والنعال ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ، ويقال : هـذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على كلام أهل البدعة ، ونقل عنه أنه قال : « لأن يلقى العبد الله بكل ذنب خلا الشرك خير له من أن يلقاه بعلم الكلام . وقال : إذا سمعتم الرجل يقـول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهدوا أنه من أهل الكلام » .

وقال أحمد بن حنبل : علماء الكلام زنادقة . وقال : لا يصلح صاحب الكلام أبداً .

* * *

وقد يقول قائل : إن هذا كله فيمن جاء بما يخالف نصوص القرآن وظواهره من المعتزلة وأشباههم . فما يقول هذا القائل فيما روى عن جماعة نعدهم اليوم من أكابر علماء أهل السنة والجماعة ، مارسوا علم الكلام حتى صاروا الأئمة فيه ، وصرنا نأخذ عنهم أكثر ما نملأ به كتبنا التى ندرسها فى معاهدنا وكلياتها ، ثم ندموا واستغفروا ، وتابوا وأنابوا ، أولهم الأشعرى ذكر فى كتاب (الإبانة) وهو آخر كتاب ألفه ، أنه رجع فى عقائده إلى مذهب أحمد بن حنبل [1] ، ورجع الغزالى إلى مذهب السلف ، ذكر ذلك فى كتابه (إلجام العوام) وأعرض عن تلك الطرق جملة حتى مات والبخارى على صدره [2] والرازى قال :

ولقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفى عليلا ، ولا تروى غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن . اقرأ فى الآيات « الرحمن على العرش استوى » و « إليه يصعد الكلم الطيب » واقرأ فى النفى « ليس كمثله شىء » ، « ولا يحيطون بشىء من علمه » إلى أن قال : ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل تجربتى .

وهو القائل :

نهاية إقدام العقول عقـــال وغاية سعى العـــالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

والشهرستانى يقول فى الفلاسفة والمتكلمين :

---

[1] التعليم والارشاد للحلبى ص ١٧٠ طبع مصر ١٩٠٦ . [2] شرح الفقه الأكبر لملا على القارى ص ٥ طبع مصر ١٣٢٣ .

مكتبتنا العربية

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأبو المعالى الجوينى قال : يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام . فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى إلى ما بلغ ما اشتغلت به . وقال عند موته : لقد خضت البحر الخضم ، وخليت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت فى الذى نهونى عنه . والآن إن لم يتداركنى ربى برحمته فالويل لابن الجوينى .

إلى أن قال — ومأنذا أموت على عقيدة عجائز أهل نيسابور .

وقال الخسروشاهى وهو من أجل تلاميذ الفخر الرازى لبعض الفضلاء : ما تعتقد ؟ قال : ما يعتقده المسلمون . قال : وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به ؟ قال : نعم . قال : أحمد الله على هذه النعمة . فإنى والله ما أدرى ما أعتقد . وبكى حتى اخضلت لحيته .

وقال الخونجى عند موته : ما عرفت شيئا ما حصلته سوى أن الممكن مفتقر إلى المرجح . ثم قال : الافتقار وصف سلبى . أموت وما عرفت شيئا .

وقال آخر : أضطجع على فراشى وأضع الملحفة على وجهى ، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندى شىء منها .

فأين بعد هؤلاء ؟ وهؤلاءهم أعلام الكلام فى الإسلام ؟

* * *

هذا هو علم الكلام الذى نشتغل به اليوم ، نشتغل بالصفات وهل هى عين الماهية أو شىء زائد عنها . والأعراض وهل تبقى زمانين ، والطفرة والاستطاعة وخلق القرآن وأشياء أخر قرأتها من قديم ونسيتها ولله الحمد ، وليس بعض من يسمون أنفسهم بالسلفيين على خير من هذه الحال ، فهم يشتغلون بالمتشابه الذى ضرب عليه إمام السلف الصالح عمر بن الخطاب ، ولا دأب لهم إلا الكلام فى اليد والوجه والاستواء ينكرون التأويل وهو من سنن العرب فى كلامها ، والقرآن أنزل بلسان العرب ، ولا يعرفون كيف يخرجون مما أدخلوا نفوسهم فيه من هذه المضايق ، فيقع الجهلة منهم بالتجسيم وهم لا يدرون ،

مكتبتنا العربية

ويأتون على ادعائهم السلفية بما لم يعرفه السلف من مثل قولهم : الله بائن من خلقه . وإلزامهم صغار الطلبة والمبتدئين بحفظ ذلك واعتقاده .

فهل هذا هو التوحيد الذى بعث الله به محمداً ؟ هل هذا هو الطريق الذى سلكه النبى ﷺ فى الدعوة إلى الله؟ أ مبتدعون نحن أم متبعون ؟ ومصلحون نحن أم مفسدون ؟

إنى أرجو من أستاذنا وصديقنا العلامة الأديب المصلح السيد الخضر ، شيخ الإسلام علما ومنصبا أن يأمر بتعديل المناهج وإلغاء هذه الكتب جملة واحدة . وأن يجعل علم التوحيد مقصورا على إفهام الطلاب آيات التوحيد فى القرآن ، على إفهامها ولم أقل على تفسيرها ، لئلا يدخل من باب التفسير شىء مما فى تفسير الفخر وأمثاله وأن يتولى ذلك مدرس حاضر القلب ، قوى الإيمان ، من المسلمين الصادقين ، والعلماء العاملين ، يعلم بفعاله أكثر مما يعلم بمقاله ، ويصلح بصلاح نفسه أكثر مما يصلح بنجاح درسه ، وأن يكون المنهج منهج الرسول فى تلقين التوحيد لمن كان يفد عليه من الكفار ، يقيمون اليوم أو الأيام ، ويسمعون الحديث أو الأحاديث ، فينصرفون وهم مؤمنون ، وهم عارفون بالإسلام ، وهم دعاة إلى الله ، وما تعلموا منطق أرسطو ، ولا ناقشوا فى رؤية الله فى الآخرة ، ولا لقنوا أنه بائن من خلقه !

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وأن يتفرغ بعد ذلك بعض كبار الطلبة لدراسة علم الكلام الذى ينبغى أن يوضع من جديد ، العلم الذى يرد على الخصوم الأحياء من الشيوعيين والقوميين الملحدين والقاديانية والأحدية والبهائية والتيجانية ، يدرس مقالاتهم المادية للإسلام ، ويبين ضعفها وفسادها ، ولا يشتغل إلا بالشبه الذائعة المنتشرة وإلا كان عونا للعدو علينا ، ومذيعا لضلالاتهم فينا ، وينبغى أن تعين الطوائف التى يجب الرد عليها فى مطلع كل سنة مدرسية . وأن يترك الرد على الجهمية والمعطلة والمشبهة وما لا أذكره الآن من ألقاب المخالفين — إلى الأبد !

وبذلك نكون قد دعونا إلى الإيمان ، ودافعنا عن الإسلام .

على الطنطاوى
قاضى دمشق

مكتبتنا العربية

خير نظام للحكم

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

كتب مندوب « الأهرام » يقول :

أثيرت فى الأيام الأخيرة بحوث حول نظام الحكم ، كيف يكون ، وعلى أى وضع يقوم ؟ والحق أن هذا الموضوع من الدقة والخطورة بحيث يصح أن يستأثر بشىء كبير من عناية الباحثين . وقد كانت فرصة طيبة تلك التى أتيحت لى فى مساء أمس ، إذ التقيت بفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وتحدثت إلى فضيلته فى هذا الموضوع الحيوى ، وكان الاستاذ الأكبر صريحاً على عادته فتحدث إلى يقول :

تجتاز مصر فى أيامها التاريخية الحاضرة أعظم انقلاب اجتماعى مر بها منذ قرون ، لأنه الانقلاب الوحيد الذى ينشد لمصر النظام لتتمكن من الاستقرار عليه والاستمرار فيه إلى الأبد .

ومما يلاحظ فى هذا الموقف أن التطورات الماضية لم تكن نتيجة طبيعية للوعى القومى ، ولذلك كان الوطن يفاجأ بها مفاجأة ، وكان نظام الحكم الذى يترتب على تلك المفاجآت يفرض على البلاد فرضاً ، إما من استعمار قاهر ، أو من مستبد متغلب . ولذلك قلما كان يلاحظ فيه حاجة الأمة واقتناعها ، والأساليب التى ترتاح إليها وتعتبرها منتزعة من روحها وذوقها ومن المبادىء التى آمنت بها ، ونشأت عليها ، وترجع بذكرياتها وتقاليدها إلى ما حفظه التاريخ من مفاخرها وأمجادها ، لذلك كان نظام الحكم فى مصر فى العصور الأخيرة بعيداً عن أمنية الاستقرار ، وكان مؤيدا بالقوة القائمة عليه ، لا بالاقتناع به والطمأنينة له والإيمان بصلاحه .

والآن وقد عزمت مصر على أن تختار نظامها بمحض إرادتها ، فمن سعادتها أن يكون نظامها المرتجى منتزعا من مثلها العليا التى تؤمن بها ، وترتاح إليها ، بوازع من النفس وإيمان من القلب ، لا بوازع من سلطان القوة الصماء ، ونصوص القانون الذى كثيرا ما شكا أقطابه مواطن الضعف فيه .

مكتبتنا العربية

ولقد أخذ كل عالم بمزايا نظام من الأنظمة الأجنبية يعرض على الرأى العام مزايا ذلك النظام محاولا إقناع الأمة بالأخذ به . إن هذه الأنظمة - مع كثرة عيوبها وما يحف بها من مواطن الضعف - لا يتعاملون بها مع كل من يتعامل معهم من الشعوب القوية والضعيفة والمشاهد من حالهم أنهم مع الشعوب القوية فى عداء متواصل ، ومع الشعوب الضعيفة فى بغى مخجل ، وما هكذا يكون أصحاب المبادىء الإنسانية السليمة ، والنظم البريئة التى يراد منها سعادة المجتمع فى عصر يفتخر بحضارته وعلومه . فالوصف النظرى الذى نسمعه من فصحائنا وخطبائنا لبعض تلك النظم الأجنبية عنا ، لا نرى آثاره فى البلاد التى اخترعته وعملت به وقلبت جميع الأوجه فى تعديله وترقيعه وتحويره لينتج لها السعادة ، فكان أملها منه فى السعادة كأمل الظمآن بالسراب ، فكيف بنا ونحن الأجانب عن تلك النظم المخترعة لغيرنا ، ولو حاولنا استعارتها لكانت لنا كما تكون الألبسة التى تستعار للممثلين .

إن الدعاة لتلك الأنظمة قرروا فى مؤلفاتهم وأعلنوا فى صحفهم ، أنها كل لا يتجزأ ، وهم يدعون هذه الأمة إلى أن تأخذ بهذا الكل الذى لا يتجزأ شاءت أو أبت ، والأمة لها نظام فطرى نظيف ينظر إلى الحق من حيث هو حق وإلى الخير من حيث هو خير وتدين لله بقول خاتم رسله : « أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ، وقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى رسالته المشهورة إلى أبى موسى الأشعرى واليه على البصرة : « آس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك » .

هذا النظام الفطرى الذى يقيم الحدود على الكبير والصغير سواء ، لا فرق بين عربى وعجمى إلا بالتقوى ، وحث على استعمال الأصلح ، واختيار الأمثل فالأمثل للولايات العامة والوظائف ، وأوجب على ولى الأمر أن يقلد أعمال المسلمين لمن يجده صالحاً منهم ، فقد قال النبى ﷺ : « من ولى من أمر المسلمين شيئاً . فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله » وفى رواية أخرى لهذا الحديث : « من قلد رجلا على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة أرضى منه ، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين » .

وقد جاء كذلك عن عمر بن الخطاب أنه قال : « من ولى من أمر المسلمين شيئاً ، فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين . » ومعنى هذا أن النظام

مكتبتنا العربية

الذى يكفل المساواة بين جميع الأفراد فى الحقوق والواجبات ، ويجعل من الواجب على كل من ولى شيئاً من أمر المسلمين أن يوجه فى موضع وفى كل عمل من الأعمال أصلح من يقوم به ويؤديه الأداء الصحيح ، فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره ، بسبب قرابة او صداقة أو موافقة فى بلد أو مذهب أو طريقة ، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة ، أو لضغينة فى قلبه على الأحق ، أو لعداوة بينهما ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين .

وهو النظام الذى يشعر الحاكم والمحكوم بأنهما سواء ، وهذا أبو عبيدة الجراح يضرب لنا أروع الأمثال فى هذا الباب ، فقد فتح بلد حمص ، فجاءوا له بطعام فاخر صنع له خصيصاً فما كان منه إلا أن سأل : أهذا الطعام قد أطعم منه الجيش ؟ فقالوا : كلا ، وإنما هو لك . فقال . ردوه .. فإنى لا آكل طعاماً لم يأكل الجيش منه !!!

وقد جاء فى الآثار أن بعض خلفاء بنى العباس سأل بعض العلماء أن يحدثه عما أدرك ، فقال أدركت عمر بن عبد العزيز ، فقيل له يا أمير المؤمنين : أفغرت أفواه بنيك من هذا المال وتركتهم فقراء لا شىء لهم . وكان فى مرض موته فقال : يا بنى . . . والله ما منعتكم حقاً هو لكم ولم أكن بالذى آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم ، وإنما أنتم أحد رجلين ، إما صالح ، فالله يتولى الصالحين ، وإما غير صالح ، فلا أترك له ما يستعين به على معصية الله ، قوموا عنى . . .

هذه هى الأمثال التى تضرب فى معنى العدالة فى ولاية أمور الناس ، وكلها تجمع على أن الإسلام دين إنسانى محض ، وهو نظامنا الذى نؤمن به ، خلافا للأنظمة الأجنبية عنا ، وإن العمل به ليحول هذه الأمة إلى كتلة فولاذية مؤمنة بنظامها كإيمانها بكعبتها وقرآنها . والأمر أعظم وأخطر من أن ترتجل فيه الخطط والنظم .

ونحن لا ندعو الأمة وأهل الحل والعقد فيها إلا إلى التروى والتفكير والدرس والمقارنة . مع العلم بأن مصر لا تعلم منذ عشرة آلاف سنة إلى الآن حكما أعدل ولا أرأف ولا أسعد من الحكم الذى بسط جناح رحمته عليها فى المائة السنة الأولى من الفتح الإسلامى ، ودليل عدله ورأفته وسعادته أن مصر باختيار منها تحولت إليه بأرواحها وقلوبها وألسنتها ، فكانت الدرة المتألقة فى تاج الوطن العربى والإسلامى ، ويرجو لها كل محب لها أن تبقى كذلك إن شاء الله إلى ما شاء الله .

مكتبتنا العربية

نشأة كتب الأمالي وخصائصها

— ٢ —

تحدثنا فى المقال السابق عن معاهد التعليم فى صدر الإسلام والدولة الأموية . والآن لنتحدث عن العصر العباسى وما يليه فنقول :

أما فى العصر العباسى وما يليه من الأعصر فقد استمرت لك الوسائل ، وزيد عليها معاهد جديدة . وهى :

المدرسة — : فما لاشك فيه أن المدارس من منشئات هذا العصر ، غير أنه بين المؤرخين خلاف فى تحديد الزمن الذى ظهرت فيه .

يقول (زيدان) فى الجزء الثالث من كتابه « تاريخ التمدن الإسلامى » : « وقد أجمع المؤرخون تقريباً على أن أول من بنى المدارس فى الإسلام نظام الملك الطوسى وزير ملك شاه السلطان السلجوقى فى أواسط القرن الخامس الهجرى . ومن الغريب أن ينقضى العصر العباسى ويتم نقل الكتب وينضج العلم على اختلاف موضوعاته ولم ينشىء المسلمون مدرسة ، أو أن ينشئوا المدارس ولا يرد ذكرها فى تاريخهم » .

ثم يقول (زيدان) : « على أننا رأينا فيما ذكره المسلمون عدة مدارس أنشئت فى نيسابور عاصمة خراسان قبل نظام الملك منها مدرسة ابن فورك المتوفى سنة (٤٠٦ هـ) ذكر ذلك ابن خلكان ، والمدرسة البيهقية نسبة إلى البيهقى المتوفى سنة (٤٥٠ هـ) بنيسابور ، والمدرسة السعدية بنيسابور بناها نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوى ، ومدرسة بنيت للأستاذ أبى إسحق الاسفراييني . وكل هذه المدارس بنيت قبل بناء المدرسة النظامية ببغداد » .

وهنا نقول لزيدان : إذا كان الأمر كذلك فكيف جاز لك أن تقول « قد أجمع المؤرخون على أن أول من بنى المدارس فى الإسلام نظام الملك » ؟

أما كان الأجدر أن تصاغ العبارة فى أسلوب يقلل من هذا الاجماع أو يردّه أو يصرح بنقده — على أننا نرى أن (زيدان) إنما نقل القول ببناء هذه المدارس عن شيخ الإسلام السبكى ولم يشر اليه مما سنبينه بعد .

مكتبتنا العربية

والدليل على ذلك العبارة الآتية فهى بنصها مذكورة فى كتاب « طبقات الشافعية الكبرى » للسبكى .

يقول « زيدان » : « ولعل السبب فى اشتهار أسبقية نظام الملك فى إنشاء المدارس الإسلامية أنه أول من بنى مدرسة كبرى فى بغداد وجعل التعليم فيها بالمجان وفرض لتلاميذها الأرزاق » .

ونحن نقول إنما يرجع السبب فى إنشائها إلى استرضاء الشعب بنشر التعليم الدينى وإجراء الأرزاق على الأساتذة والتلاميذ ولتأييد المذهب السنى والقضاء على مذهب الشيعة .

وقد ذكر شيخ الإسلام السبكى « فى طبقات الشافعية الكبرى » فى ترجمة نظام الملك فقال : وشيخنا الذهبى زعم أن نظام الملك هو أول من بنى المدارس ، وليس الأمر كذلك ، فقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة السعدية بنيسابور أيضا ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو سعيد الإستراباذى الواعظ الصوفى ومدرسة رابعة بنيسابور بنيت للأستاذ أبى إسحق الاسفرايينى . وقد قال الحاكم فى ترجمة الأستاذ : لم يبن بنيسابور قبلها يعنى مدرسة الأستاذ مثلها . وهذا صريح فى أنه بنى قبلها غيرها » ثم يقول السبكى « وقد أدرت فكرى وغلب على ظنى أن نظام الملك أول من قدر المعاليم للطلبة ، فإنه لم يتضح لى هل كانت المدارس قبله بمعاليم للطلبة أولا ، والأظهر أنه لم يكن لهم معلوم » .

وذكر ياقوت فى « معجم الأدباء » أن أحمد بن عبد الملك بن أحمد (٣٨٨ - ٤٧٠ هـ) كان يؤذن على منارة المدرسة البيهقية .

وذكر المقريزى : أن أول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة فى الاسلام أهل نيسابور ، فبنيت بها المدرسة البيهقية .

ومهما يكن من شىء فإن العصر العباسى هو الذى أنشئت فيه المدارس ، بمعنى أماكن خصوصية لدراسة العلم رتبت فيها الدروس على درجات ورتبت وظائف للطلبة والعلماء وظائف (أى مرتبات) وجعلت منهم طائفة يبيتون فى المدارس بما يشبه النظام فى مدارسنا .

هذا فى المشرق . أما فى مصر فقد قال ابن خلكان :

لما ملك السلطان صلاح الدين بن أيوب بالديار المصرية فى القرن السادس الهجرى لم يكن بها شىء من المدارس فبنى السلطان صلاح الدين بالقرافة الصغرى المدرسة المجاورة

مكتبتنا العربية

للإمام الشافعى وبنى مدرسة مجاورة للمشهد الحسينى بالقاهرة ثم مدرسة للحنفية وبنى مدرسة للشافعية ومدرسة للمالكية - ثم اختفى أثره فى ذلك بنو أيوب فى ممالكهم بمصر والشام ثم سلاطين المماليك من بعدهم .

من ذلك يتبين أن المسلمين سبقوا الاوربيين فى إنشاء المدارس بأكثر من (٥٠٠ سنة) .

قال « نيكلسون » فى كتابه « التاريخ الأدبى للعرب :

« بينما كانت المبادئ الأولى للتعليم فى أوربة المسيحية خلال القرن العاشر الميلادى محصورة بين القسوس والرهبان ، كان كل فرد فى الأندلس تقريباً يستطيع أن يقرأ ويكتب »

ويعبر « هيوار » فى كتابه — تاريخ الأدب العربى — عن مدرسة بغداد النظامية بأنها الجامعة النظامية .

وكذا « نيكلسون » يعبر عنها بالكلية النظامية ، وأحيانا بالأكاديمية النظامية .

وبودنا لو نطيل البحث فى كل هذه المدارس وبرامجها ونظمها وأثرها لولا أن هذا ليس بموضوع بحثنا .

وعلى الرغم من كل هذه النصوص التاريخية التى يبين فيها فضل العرب وسبقهم فى هذا المضمار مما يبرهن على أن الشرق أستاذ الغرب وأن الغرب مدين للشرق دين التلميذ لأستاذه ، فإنا لا نعدم باحثاً غير منصف مثل (أندريه سيرفييه) يقول فى كتابه « الإسلام وعلم النفس عند المسلمين » :

« إنه لا فضل للعرب على العلم والتعليم والحضارة ، إذ لم تأت أعمالهم بشىء حسن ، فالحياة العربية كانت مجدبة تقريباً لم تكد تثمر » .

وإزاء هذا الرأى الخاطئ آراء أخرى منصفة لمستشرقين اعترفوا بفضل العرب وقدروهم خير تقدير . من أولئك المستشرق الانجليزى (استانلى لين بول) والأستاذ الأمريكى (درابر) فى كتابه « النزاع بين الدين والعلم » .

ومن أساليب التعليم التى لها الأثر فى هذا العصر مجالس الإدباء والشعراء فقد زادت فيه تلك المجالس ، وكان المسجد أكبر معهد لها . فكان مسجد عمرو فى مصر ، ومسجد البصرة ، ومسجد الكوفة ، والحرم المكى ، والحرم المدنى ، وغيرها من المساجد كمسجد ابن طولون ، والجامع الأزهر تقوم مقام الكليات والجامعات فى عصرنا .

مكتبتنا العربية

فكان يجلس الإمام فى قبة بجانب سارية من ساريات المسجد ويجتمع الطلبة حوله . فكنت ترى هنا حلقة لعلوم الدين ، وهناك حلقات لعلوم العربية ، وحلقات لعلماء الكلام ، وحلقات للشعر والأدب .

فنى سنة (٢٥٣ هـ) رحل الطبرى إلى مصر وأملى فى مسجد عمرو شعر الطرماح عند بيت المال فى الجامع . وحكى المرزبانى فى كتابه « الموشح » أن مسلم بن الوليد كان يملى شعره فى المسجد .

وكان أبو العتاهية يجلس فى المسجد وحوله الناس . وقال أبو محمد اليزيدى . كان أبو عبيدة يجلس فى مسجد البصرة إلى سارية وكنت أنا وخلف الأحمر نجلس جميعا إلى أخرى .

ومن هذه المجالس أيضاً مجالس المناظرة ، فكانت تعقد فى الدور والقصور وفى المنازل وأفنيتها وفى مجالس الخلفاء وبحضرة الإمراء . وقد حكت لنا بعض كتب النحو مناظرات بين العلماء فى المسائل النحوية والصرفية واللغوية . وقد جاءت فصول ممتعة منها فى الجزء الثالث من كتاب « الأشباه والنظائر » للسيوطى .

والآن وقد وصلنا إلى هذا الحد ، يجدر بنا أن ننتقل إلى نشوء كتب الأمالى وخصائص كل . فكتب الأمالى ثمرة من ثمار تلك المجالس التى ذكرناها . ونتيجة لنظام الرواية التى تشعبت طرقها وتطورت حياتها وهى صورة لا بد منها لعدم وجود الطباعة .

فلنبدأ أولا ببيان ما طرأ على الرواية من تغيير وتبديل . وذلك :

أولا : أن الرواية أصبحت صناعة علمية عرف بها نفر وهم الذين إليهم ينتهى الإسناد فى الأدب ، إذ لا إسناد فى الروايات يكاد يرجع الى عرب الجاهلية . ومن رجال الرواية الذين كونوا الطبقة الأولى حماد الراوية المتوفى سنة (١٥٥ هـ) وهو أول من خص بلقب الراوية من الادباء ، وكأبى عمرو بن العلاء المتوفى سنة (١٥٤ هـ) ، وكأبى عبيدة معمر ابن المثنى المتوفى سنة (٢٠٩ هـ) ، وكالأصمعى المتوفى سنة (٢١٤ هـ) . فهؤلاء عمد الرواة ، وعنهم أخذ الأدباء .

ثم ظهرت الطبقة التى أخذت عن هؤلاء ، وقد رأت هذه الطبقة أن ما بعث على الإسناد فى الحديث قد تحقق فى الأدب من افتعال اللغة والتزيد فى الاخبار والصنعة فى الشعر ، فلذا

مكتبتنا العربية

أوجبوا الإسناد فى الأدب . وهذا أثر من آثار الحديث فى الأدب ، فلولا الحديث وإسناده لما خلصت اللغة من شائبة الكذب والتدليس .

ثانيا : قد عنى المحدثون بعلم الرجال أتم عناية وأكملها ، فحاكاهم فى ذلك علماء الأدب ، فجرحوا من جرحوا وعدلوا من عدلوا ، فالجرح والتعديل انتقلا من الحديث إلى الأدب .

فعدلوا الخليل بن أحمد وأبا عمر بن العلاء ، وجرحوا قطربا .

ثالثاً — أن الراوية الأدبية ضعفت فى القرن الرابع حين كثرت الكتب . فأصبح الإسناد من يومئذ مقصورا على تلقى الكتب وروايتها بالسند عن مؤلفيها ، لأن العلم قد نضج وكملت فنونه ، فقلما يظهر كتاب لإمام فى فنه . إلا سارع الناس إلى قراءته عليه ، أو يقرأ عليه وهم يسمعون . فكان أبو العباس ثعلب إمام الكوفيين المتوفى سنة (٢٩١ هـ) يحفظ كتب الفراء كلها . والفراء أملى هذه الكتب هذه الكتب كلها من حفظه إلا بعض أوراق استعان فيها بالمراجعة - كما يذكر ابن خلكان - وكان مقدارها ثلاثة آلاف ورقة .

وهنا لا بأس بأن نستطرد إلى تحديد معنى ثلاث كلمات تصادفنا كثيرا فى كتب الأدب .

الكلمة الأولى : « الوراقون » والثانية « الورقة » والثالثة « المجلد » أو « المجلدة » .

أما الوراقون : فهم الذين صنعتهم الوراقة .

والوراقة كانت حرفة احترافها كثير من العلماء ، وهى انتساخ الكتب ، وتصحيحها ، وتجليدها ، والتجارة فيها ، فهى تقوم مقام الطباعة فى عصرنا هذا ، بل أكثر منها ، إذ كان الوراق ينتخب الورق وينسخ الكتاب - أو ينسخ تحت إشرافه - ويصحح هذا النسخ حتى لا يقع فيه تحريف ويجلده ويبيعه ، وقد كان ابن النديم صاحب كتاب « الفهرست » وراقا

ذكر ابن خلكان فى ترجمة (الفراء) نقلا عن الخطيب فى تاريخ بغداد : أن الفراء لما اتصل بالمأمون أمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العربية ، وأمر أن يفرد بحجرة من حجر الدار ، ووكل به من يخدمه ويقضى له حاجاته ويؤذنونه بأوقات الصلاة ، وصير له الوراقين وألزمه الأمناء ، فكان يملى والوراقون يكتبون حتى صنف كتاب الحدود فى سنتين (وهو يريد بالحدود التعاريف ، كحد المعرفة والنكرة ، وحد

مكتبتنا العربية

النداء والترخيم وهذه أمور لم يعتد بها سيبويه كثيرا فى كتابه ، لأنها أثر من آثار المنطق والفلسفة فى النحو) .

فبعد أن فرغ الفراء من ذلك خرج الى الناس وابتدأ بكتاب المعانى .

قال الراوى : وأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب المعانى فلم نضبطهم ، فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيا ، فلم يزل يمليه حتى أتمه .

ولما فرغ من كتاب المعانى خزنة الوراقون من الناس ليكسبوا به وقالوا لا نخرجه إلا لمن أراد أن ننسخه له على خمس أوراق بدرهم . فشكا الناس إلى الفراء فدعا الوارقين فقال لهم فى ذلك . فقالوا : إنما صحبناك لننتفع بك ، وكل ما صنفته فليس بالناس إليه من الحاجة ما بهم إلى هذا الكتاب ، فدعنا نعيش به .

فقال : فقاربوهم تنتفعوا وينتفعوا . فأبوا عليه . فقال سأريكم ، وقال للناس : إنى عمل كتاب معان أتم شرحاً وأبسط قولا من الذى أمليت .

فجلس يملى فأملى (الحمد) فى مائة ورقة ، فجاء الوراقون إليه وقالوا نحن نبلغ الناس ما يحبون ، فنسخوا كل عشر أوراق بدرهم .

وكان سبب إملائه (كتاب المعانى) أن أحد أصحابه وهو عمر بن بكير كان يصحب الحسن بن سهل ، فكتب إلى الفراء : أن الأمير الحسن لا يزال يسألنى عن أشياء من القرآن لا يحضرنى عنها جواب ، فإن رأيت أن تجمع لى أصولا وتجعل ذلك كتاباً يرجع إليه فعلت .

فلما قرأ الكتاب قال لأصحابه : اجتمعوا حتى أملى عليكم كتاباً فى القرآن . وجعل لهم يوما ، فلما حضروا خرج إليهم ، وكان فى المسجد رجل يؤذن فيه وكان من القراء ، فقال له اقرأ فقرأ فاتحة الكتاب ، ففسرها حتى مر فى القرآن كله على ذلك يقرأ الرجل ، والفراء يفسره ، وكتابه هذا نحو ألف ورقة .

وقد سقنا هذه القصة لأنها صورة واضحة من الصور التى كان عليها الإملاء .

وذكر (متز) فى كتابه « الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى » : « وقد قيل إن من آفات العلم خيانة الوراقين ، وكان العلماء الذين يحرصون على سلامة العلم ينسخون كتبهم بأنفسهم إن استطاعوا » .

مكتبتنا العربية

أما الورقة : فقد قدر ابن النديم فى الفهرست ما ذكره من المؤلفات بعدد الأوراق ، ويريد بها الورقات السليمانية ، منسوبة إلى سليمان بن راشد الذى كان والياً على خراسان فى أيام هرون الرشيد ، ومقدار ما فى الصفحة من هذه الورقة عشرون سطرا . وكان قدر كتاب الأغانى المطبوع فى واحد وعشرين جزءاً بخمسة آلاف ورقة من ذلك القرار

أما المجلد : فى اصطلاحهم فقد ذكر ابن خلكان فى تاريخ أبى محمد اليزيدى النحوى عن أبى حمدون الطيب بن إسماعيل قال : شهدت ابن أبى العتاهية وقد كتب عن أبى محمد اليزيدى قريباً من ألف مجلد عن أبى عمرو بن العلاء خاصة فيكون ذلك عشرة آلاف ورقة. لأن تقدير المجلد عشر ورقات .

والآن يمكننا أن نأخذ فى الحديث عن كتب الأمالى وموعدنا المقال الآتى إن شاء الله .

عبد الوهاب حمودة
الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أقدم الخرائط الرمزية من اليمن

جاء فى مجلة المقتطف (م ٦٩ ص ٤٥٩) : إن أقدم الخرائط الرمزية خريطة محفورة على حجر من القرن التاسع قبل المسيح وجدت فى بابل . ويظهر من شكلها أنها من جنوب بلاد العرب ، مما يدل على قدم العمران هناك . وقد ظن الدكتور ويدر أن خريطة الاصطخرى — أول جغرافى العرب — التى صنعها فى القرن العاشر الميلادى بنيت على هذه الخريطة . ومن المحتمل أيضاً أن بطليموس بنى خريطته عليها فى إيصاله إفريقية بآسيا عند الأوقيانوس الهندى .

مكتبتنا العربية

صدى قاصمتي مجلة دار التقريب

لما اطلعنا فى العدد الرابع للسنة الرابعة من مجلة دار التقريب (ص ٣٦٩) على فتوى مجتهد الشيعة محمد حسن الاشتيانى التى نقلها رئيس المحكمة الشرعية الشيعية العليا عن الاصل الرابع من أصول الفقه الشيعى فى كتاب (بحر الفوائد) للاشتيانى المذكور ، ومضمونها الإباحة للمسلم بأن لا يؤمن بما ثبت صدوره عن النبى ﷺ من أمور الغيب مثل كيفية خلق السماوات والارض ووصف الجنة ، بدعوى أن هذه الأمور الغيبية « لادخل لها بشريعة سيد المرسلين ! ؟ »

وفى ذلك العدد نفسه من مجلة دار التقريب (ص ٢٩٢ — ٢٩٣) دعوة للمجالس التشريعية والنيابية فى العالم الإسلامى بأن تنسخ ما تشاء من آيات القرآن وأحكامه بدعوى أن النسخ فى القرآن لم ينته حكمه بوفاة الرسول ﷺ ، بل إن آية « وأمرهم شورى بينهم » نقلت حق التشريع من الله إلى الأمة ، فالله عز وجل « كان هو المشرع ابتداء ، ثم غدا التشريع إلى الأمة انتهاء ! ؟ » .

لما اطلعنا فى مجلة دار التقريب على هاتين القاصمتين الخبيثتين ، رأينا أن من أول واجبات كل مجلة إسلامية فى العالم — وعلى رأسها مجلة الأزهر — أن تستنكر هذه الجرأة على الله ورسوله . ولا ريب فى أننا أدينا بعض ما يجب على كل مسلم بما كتبناه فى ص ٣٢٩ - ٣٣٠ من الجزء الثالث لهذه السنة بعنوان « قاصمتان خبيثتان فى مجلة دار التقريب » ، وبما نشرناه لمضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء فى ص ٢٨٣ - ٢٨٧ بعنوان « طوائف » ولمضيلة الاستاذ المحقق الشيخ محمود الدواوى المفتش بالأزهر فى ص ٢٨٨ - ٢٩٥ بعنوان « نظام الإسلام السياسى » وهو نفس العنوان الذى كان لمقالة الدعوة إلى نسخ القرآن فى مجلة دار التقريب .

وكنا نتوقع من مجلة دار التقريب أن تعتذر فى أول جزء يصدر منها بعد الجزء الذى تلطخ بتينك المقالتين ، بأى عذر يقبله أهل العقول ، ولكنها آثرت السكوت ، واكتفت

مكتبتنا العربية

ينشر مقالة الدكتور محمد يوسف موسى بعنوان « فى سبيل القرآن والسنة » التى علق فيها على القاصمتين بقوله (فى العدد الاول ، السنة الخامسة ، ص ٨٠) :

« فى هذين الرأيين تعرض خطير لأقدس ما يحرص عليه المسلمون ، وهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وسنة رسوله الحكيم الذى لا ينطق عن الهوى . ومن أجل هذا ليس من الممكن أن يمر المسلم بهما كما يمر بكثير من الآراء الخاطئة المنتشرة هنا وهناك ، بل يجد من الواجب الدينى والعلمى مناقشتهما مناقشة موضوعية لا هدف لها إلا معرفة الحق » .

ثم قال عن موضوع النسخ : « وهذا الرأى على خطأه الواضح له عرق قديم فى تاريخ الفكر والآراء . لقد قال من قبل برأى قريب منه نجم الدين الطوفى » .

قلنا : ورأى الطوفى يدور حول تقديم المصلحة على النص ، متجاهلا الحقيقة التى برهن عليها أئمة الإسلام وآخرهم معاصره شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهى أنه ليس فى الشريعة الإسلامية نص صريح يخالفه العقل الصحيح أو المصلحة الشاملة . وقد تطرأ مصلحة شاذة كخطر الموت من الجوع على من لا يجد إلا لحم الميتة ، أو خطر الموت بالغصة على من لا يجد ما يسوغها به إلا الخمر ، فحينئذ يعدل فى أمثال هذه الحالات الشاذة والخاصة بقاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » مقيدة بالحدود الضيقة فى القاعدة الأخرى : « الضرورة تقدر بقدرها » . ورسالة الطوفى فى هذا الموضوع كانت مجلة المنار قد نشرتها وعلقت عليها فى المجلد التاسع . ثم أعادت نشرها مجلة دار التقريب نفسها بالعدد الأول من سنتها الثانية ، ورد عليها علامة النجف الشيخ محمد الحسين كاشف الغطا .

ولئلا ينخدع بعض القراء بالطوفى (٦٥٧ - ٧١٦) ، على بعد ما بين مذهبه ومذهب الداعية إلى نسخ القرآن ، ننبه إلى أنه أحد الأذكياء المتلاعبين بالمذاهب والعقائد ، ولد فى قرية طوف من قرى منطقة صرصر على نهر عيسى بالعراق فى طريق الحاج من بغداد ، وانتقل إلى الشام أيام شيخ الإسلام ابن تيمية فلم يجد فيها لهمته العلمية مرتعا ، فخرج منها وهو يهجو أهلها ، ثم حضر إلى مصر واقتضح بها ، وحكم عليه قاضى الحنابلة سعد الدين الحارثى بالتعزير والضرب والحبس بسبب عقائده الباطلة وإطالة لسانه على أم المؤمنين عائشة

مكتبتنا العربية

وقوله فى صاحبى رسول الله ﷺ وخليفتيه على أمته سيدنا أبى بكر الصديق وسيدنا على ابن أبى طالب رضى الله عنهما :

كم بين من شك فى خلافته وبين من قيـــل إنه الله !

وهو الذى يصف نفسه بقوله (على ما جاء فى كتاب الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر ٢ : ١٥٥) :

حنبـــلى رافضى ظاهرى أشعرى ، إنهـا إحدى الكبر

ونقل الحافظ ابن حجر كلاما له يدل على جهله بالسنة ، ثم نقل الرد عليه من قول الحافظ ابن رجب بما لا يتسع المقام لبسطه .

ونقل ابن حجر أيضاً قول ابن مكتوم فى ترجمة الطوفى من تاريخ الحاة : « قدم علينا فى زى الفقراء ، ثم تقدم عند الحنابلة ، فرفع إلى الحارثى (قاضى الحنابلة بمصر) أنه وقع فى حق عائشة فعزره وسجنه . . ثم أطلق فسافر إلى قوص » .

ونقل ابن حجر عن الصلاح الصفدى أنه لما حوكم أخرجوا بخطه هجواً فى الشيخين . (أبى بكر وعمر) وبعد حبسه أطلق وتوجه إلى قوص فنزل عند بعض النصارى .

وقال الحافظ ابن رجب فى طبقات الحنابلة : وذكر بعض شيوخنا عمن حدثه أنه كان يظهر التوبة ويتبرأ من الرفض وهو محبوس . قال ابن رجب : وهذا من نفاقه ، فانه لما جاور فى آخر عمره بالمدينة صحب السكاكينى شيخ الرافضة ، ونظم ما يتضمن السب لأبى بكر . ذكر ذلك عنه المطرى حافظ المدينة ومؤرخها .

وانظر ترجمة الطوفى فى الدرر الكامنة (٢ : ١٥٤ - ١٥٧ طبع حيدر أباد الدكن بالهند) وفى شذرات الذهب لابن العماد (٦ : ٣٩ - ٤٠ طبع القاهرة) .

وعلى كل حال فان هذا الحنبلى الرافضى الظاهرى الأشعرى المتلاعب بالعقائد والمذاهب ، لم يزد فى رسالته موضوع البحث على أن المصلحة تقدم على النص ، أما دعوة المجالس النيابية والتشريعية فى البلاد الإسلامية إلى أن تنسخ ما تشاء من القرآن فلا نظن أن فى الكرة الأرضية صحيفة تنتسب إلى الإسلام تبلغ بها الجرأة إلى أن تعلن ذلك وتنشره .

ثم علق الدكتور محمد يوسف موسى (ص ٨٤) على كلام المجهد الشيعى محمد حسن الاشتيانى بقوله : « ومن العجب أن يضرب المثل بخلق السماوات والأرض وأحوال

مكتبتنا العربية

الدار الآخرة لما لا يجب التدين به من أقوال الرسول وإن علمنا بصدوره عنه، بدعوى أن ذلك لا دخل له بشريعة سيد المرسلين! إن مهمة الرسل الذين اصطفاهم الله من خلقه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، تقوم - أول ما تقوم - على إثبات وحدانية الله ووجود الدار الآخرة وتفهيم من أرسلوا اليهم شيئا من أحوال هذه الدار ليسهل عليهم التصديق بها، فكيف لا يجعل ذلك مع كيفية خلق العالم من الشريعة التى جاء بها رسولنا عليه الصلاة والسلام؟! لو أن الكاتب ضرب الأمثال لما لا يجب التدين به فى رأيه من أحاديث الرسول شيء مما يعرف بالتجربة كأمور هذا العالم الذى نعيش فيه [1] لكان له بعض العذر، ولكن خلق العالم وأحوال الدار الآخرة وأمثال ذلك، من الامور التى لا يمكن أن تعرف بيقين إلا بوحى من الله، لأنها من عالم الغيب لا عالم الشهادة، فكيف نفهم أو نتصور أن الرسول كان يجازف ويقول فى شيء من ذلك برأيه؟! وهذا، فضلا عن أن هذه الأمور جاء بها القرآن، فهل نقول: لا يجب التدين أيضا بما جاء عن ذلك فى القرآن، وهو كثير!؟».

****

ومن صدى قاصمتى مجلة دار التقريب أن رصيفتنا القديمة (مجلة العرفان) الغراء وهى لسان الشيعة فى جبل عامل، رأت الطريق المختصر للخروج من ورطة الفتوى الشيعية بأن تتبرأ من هذا المجتهد الشيعى، أى الاشتيانى، فقالت فى الجزء الثانى من المجلد ٤٠ ص ٢٢٨: «ونحن لا نعرف شيئا عن هذا الاشتيانى وعن آثاره، بالرغم من كثرة الكتب المخطوطة والمطبوعة طبع إيران عندنا، بل نعلم أن مراجع الشيعة فى القرن الثالث عشر هم: الميرزا حسن الشيرازى المتوفى سنة ١٣١٢، والميرزا حبيب الله المتوفى سنة ١٣١٤، والشيخ محمد حسين الكاظمى المتوفى سنة ١٣٠٦. ولو سلمنا أن الاشتيانى قال ذلك فيكون شاذاً عما يعتقده الشيعة، وسواء كان الاشتيانى أو الشيخ محمد جواد مغنية فقولهما ليس حجة على الشيعة». وهذا قول حسن نشكر رصيفتنا مجلة (العرفان) عليه، ولكن أين هذا الكلام من دعوى الشيخ مغنية بأن مثل هذا الاجتهاد الشيعى لو اطلع عليه الخواص من علماء السنة لقويت ثقتهم بالشيعة وتفكيرهم!؟».

****

وأهم ما نعتبره صدى لقاصمتى مجلة دار التقريب رسالة مطولة حملها إلينا بريد العراق من أحد كبار مجتهدى الشيعة فى هذا العصر وهو الشيخ محمد مهدى الخالصى، وكنا نود

(١) مجلة الازهر - أى كمعالجة تأبير النخل وشئون الصناعيات والمهن.

مكتبتنا العربية

لو اقتصرت رسالته على هذا الموضوع ، إذن لنشرناها بحذافيرها ، ولكنها تعرضت لأمور كثيرة فى غير موضوعنا هذا ، وفى كل سطر منها فقرة لو نشرناها لاضطررنا إلى الجواب عليها بمقال أو أكثر ، فبعد أن نكون مع الاشتيانى ومغنية ودار التقريب ، ننتقل إلى مناقشات عقيمة ليس من خطتنا الخوض فيها إلا عند الضرورة ، وإنما نحن الآن فى موقف دفاع ، نستنكر فيه كل منكر فى الدين ، لأن مجلتنا تأسست يوم تأسست لبيان الحق فى مثل هذه المواقف .

ومما يدخل فى موضوعنا من رسالة العلامة مجتهد الشيعة الشيخ الخالصى أنه نقل لنا نص كلام الاشتيانى فى كتابه بحر الفوائد مطولا غير مختصر . والخالصى كان ينتظر منا قبل أن نكتب ما كتبناه أن نطلع على كتاب الاشتيانى لنتثبت مما عزى إليه فيه . ولكن إذا كانت مكتبة رصيفتنا مجلة (العرفان) ليس فيها كتاب الاشتيانى ولم يسمعوا باسمه ، فإن من تكليف التعجيز تكليفنا بأن نكون أكثر اطلاعا على كتب متأخرى الشيعة من الشيعة أنفسهم . ومع ذلك فإن حملتنا لم تكن على الاشتيانى ولا على كتابه ، بل على الكلام الصريح المنشور فى مجلة دار التقريب منقولا لها من قاض شيعى كبير يعرضه على أهل السنة على أنه نموذج ممتاز من اجتهادات الشيعة التى يباهون بها عند أهل السنة ، فكان موقفنا من ذلك هو الموقف السليم الذى لا ينبغى غيره لأمثالنا . وسواء عندنا بعد ذلك أكان هذا الكلام من قول الاشتيانى أو مغنية أو المجلة نفسها ، لأننا لم نكن فى معرض الحكم على الاشتيانى بالذات ، بل فى معرض الحكم على كلام صريح ، وقد تلطفنا كثيراً فى الحكم عليه .

على أننا باطلاعنا على النص المفصل الذى نقله المجتهد الخالصى رأينا أن الاشتيانى يعتبر أحاديث رسول الله ﷺ فى أمور الغيب لا تخبر عن الأمر الدينى ! ؟ كأن الإيمان بالغيب ليس عنده من صميم الإيمان الإسلامى ! ؟ ويجزم بأنه « لا إشكال فى أنه لا يجب التدين به ! ؟ بعد حصول العلم به ! ؟ فضلا عن الظن به ! ؟ » ، ولما رأى نفسه قد تورط وأسرف وأشفى على الشفير ، استدرك على نفسه فقال « نعم ، لا يجوز إنكاره بعد ثبوته من حيث إيجابه لتكذيب النبى فيكون كفراً » ، وهذه هى الفقرة التى أهملها الشيخ مغنية وتعلق بها الخالصى . وفيما عدا ذلك فإن ما نقله الشيخ مغنية كان أمينا فيه . بقى أمر الجمع بين قول الاشتيانى عن الحديث الثابت صدوره عن النبى ﷺ فى شعب الإيمان بالغيب بأنه « لا إشكال فى أنه لا يجب التدين به بعد حصول العلم به » ، وقوله « لا يجوز إنكاره بعد ثبوته » ، فقد وقف مريديه على صراط أدق من الشعرة فوق واد من أودية الجحيم بتحريضه

مكتبتنا العربية

إياهم على عدم التدين بما صح صدوره عن النبي ﷺ من أمور الغيب ، وفى عدم تجويزه إنكاره بعد ثبوته . وهو موقف لا نعرف مسلماً يحسد عليه هذا المجتهد الاشتيانى الذى أثنى عليه المجتهد الخالصى مستنكراً براءة مجلة (العرفان) منه فقال عنه : « إنه من تلاميذ الشيخ المرتضى الانصارى فى النجف وأكبر علماء طهران عاصمة إيران طيلة ملكية ناصر الدين شاه ، أى مدة خمسين سنة ، وكتابه (بحر الفوائد) من أنفس الكتب فى أصول الفقه وهو مشهور بين العلماء » .

ثم يقول مجتهد الشيعة العلامة الخالصى فى رسالته إلينا : « وأما مجلة رسالة الإسلام ، فأنا أعرف بعض كتابها وأشكرهم على حسن نيتهم ، وأطلب منهم أن يواظبوا على التحصيل والدراسة ، ويمتنعوا عن نشر مجلتهم ، إلى أن يتقنوا ما فى دين الإسلام ، فإنها غير خالية من بعض التقول ، والأستاذ مغنية سلمه الله غير معذور فى نقله صدر عبارة الاشتيانى وطرحه تمام كلامه حتى نقلته مجلة رسالة الإسلام جهلا ، وأوقعت مجلة الأزهر فى هذا الخطأ العظيم (كذا !) الذى لا يرد عقابه إلا حسن النية والاستغفار [1] ولا تحسبوا أن علماء العراق يكتبون شيئاً فى رسالة الإسلام لأن المقالات التى تنشر فيها يكتبها غالباً مبتدئون فى التحصيل لأن علماء العراق استولى عليهم اليأس من المجلات والنشرات ، لما يرونه فيها من الشذوذ ، ولم أجد فى رسالة الإسلام إلا مقالا لعالم واحد فحسب [2] » .

ومما تعرض له المجتهد الخالصى فى رسالته إلينا دعوة الأزهر ومجلته الى السعى فى جمع الكلمة . وهى فرصة طيبة تتيح لنا الكلام فى موضوع جمع الكلمة وأمنية التقريب :

نحن بقدر ما نؤمن باستحالة التقريب بين مذهبين دينيين — حتى لو كانا من أصل واحد كالشافعى والحنفى — فإننا نؤمن كذلك بضرورة تعاون جميع أهل المذاهب المنسوبة الى الإسلام على كل ما فيه مصلحتهم الدنيوية والاجتماعية ، كمقاومة الاستعمار ، وكالتعاون على ما يصلح المسلمين فى أخلاقهم ومعايشهم وأسباب تقدمهم . أى أن التعاون فى المصالح

---

[1] مجلة الأزهر — إذا كنا نستحق العقوبة التى لا يردها إلا الاستغفار بعد ثبوت حسن النية ، لأننا تعرضنا لقدس الأقداس بما تحدثنا به عن الاشتيانى وفتواه ، فما الذى يستحقه الاشتيانى لتقرير أن ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من الاحاديث فى أمور الغيب لا يجب على المسلم التدين به لأنه لا يخبر عن الامر الدينى ؟ ! . . . أننا نرجو المثوبة من الله على موقفنا من الاشتيانى ، وليحاسب الخالصى نفسه على موقف الاشتيانى من النبي صلى الله عليه وسلم وما صح عنه من أحاديث الايمان بالغيب الالهى .

[2] مجلة الازهر — لعل المجتهد الخالصى يشير الى رد كاشف الغطاء على الطوفى .

مكتبتنا العربية

الاجتماعية والمعيشية والخلقية مطلوب بين أهل المذاهب الإسلامية ، أما التقريب بين المذاهب نفسها بفتح الأندية لذلك واصدار المجلات لهذه البحوث خاصة فإنه يدعو الى عكس ما يراد منه .

ومما لا يختلف فيه اثنان أن جميع فقهاء الشافعية والحنفية المعاصرين لنا لا يملكون أن يقربوا بين هذين المذهبين - وهما من أصل واحد - فى أى حكم فقهى كحكم الشافعية بأن لمس الزوج المتوضىء يد زوجته ينقض وضوءه ، وحكم الحنفية بعكسه . وكحكم الشافعية بأن خروج الدم من المتوضىء لا ينقض وضوءه ، وحكم الحنفية بعكسه . فلو حاول بعض الشافعية والحنفية أن يقربوا بين المذهبين بغير ما هو مقرر فيهما لخرجوا بذلك عن المذهبين ولاحدثوا به مذهباً جديدا لا يعترف لهم به الشافعية ولا الحنفية

أما التعاون الآخر الذى يتناول مصالح أهل المذاهب الإسلامية فى شئونهم الأدبية والعلمية والاجتماعية وعزتهم الملية فنحن من أقدم دعاته . ونضرب المثل لذلك فى هذا المقام بأن فقيد العلم الشيخ أبا عبد الله الزنجانى لما قدم من إيران إلى مصر المرة الثانية قبل نحو سبعة عشر عاما اقترح رئيس تحرير هذه المجلة على مولانا صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر إقامة حفلة تكريم له فى دار الهداية الإسلامية ، للتوصل الى المودة المطلوبة بين أهل القبلة ، وكانت الحفلة التى أقيمت له فى جمعية الهداية الإسلامية يومئذ عظيمة جداً وحافلة بأهل الفضل ، وخطب فيها مولانا الأستاذ الأكبر والشيخ أبو عبد الله الزنجانى ، وكان كاتب هذه السطور هو الساعى فى ذلك ، ولا يزال إلى هذا اليوم مغتبطاً بما فعل . أما العبث بالمذاهب بدعوى التقريب بينها فلم يأت يوما بخير ، ولا يرضى عنه العلماء من أهل كل مذهب ، ولا يترتب عليه إلا إحداث فرقة أخرى . وموقفنا نحن من كل ذلك هو موقف من يدرأ المفسدة عند وقوعها من أى جهة وقعت ، ولذلك تأسست هذه المجلة قبل نحو ربع قرن ، وعلى ذلك هى اليوم وبعد اليوم إن شاء الله .

وقبل أن نختم هذه الكلمة - نقدم الشكر للأستاذ الخالصى على هدية لمكتبة المجلة وصلت إلينا منه ، وهى مؤلفاته ، ومنها (إحياء الشريعة فى مذهب الشيعة) وكتابه (الشيخية والبابية) ومراسلته الى قوام السلطنة لما أراد رضا فهلوى شاه محو الشيعية من إيران وإقامة المجوسية والبابية دينا للايرانيين ، وغير ذلك من الرسائل ، فنكرر الشكر له .

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

فصل الدين عن الدنيا

إن صح في دين لا يصح في دين الإسلام

فصل الدين عن الدنيا ، تلك الأسطورة التي عرفت في أوربا في القرون الوسطى ، وأصبحت فكرة عامة تأثر بها الكتاب عندنا واقتضتها هناك في ذلك التاريخ تصرفات القسوس والباباوات ، لا يوجد مثلها في المجال الإسلامي ، لأنه لا يوجد في الإسلام رجال دين يدعون لأنفسهم الوساطة بين الله والناس ، ولا أن بيدهم الجنة والنار يمنحون منهما كيف شاءوا ، ولا أن ما يربطونه في الأرض يرتبط في السماء ، ولا رسوم مالية في الموت ولا في الحياة ، ولا معمدان ولا اعتراف ولا أي لون من هذه الألوان التي أخذت على الأحرار أنفاسهم فضاقوا بها ذرعا ولم ينتهوا منها إلا بقرار فصل الدين عن الدنيا في سنة ١٨٧٠ متذرعين بما قيل عن المسيح سلام الله عليه من قوله « إن مملكتي ليست من هذا العالم » وقوله « أعطوا ما لله لله وما لقيصر لقيصر » ، وإنما الإسلام دستور إصلاحي اجتماعي عالمي ليس فيه عصبية لأحد على أحد ولا لطائفة على أخرى ، ولا شعب يرفعه فوق شعب ، ولا لجنس يعلو به على جنس ، فهو الدين الخالي من ألوان العصبيات جميعها ، وأية أمة تعتنقه وتقيم مبادئه وحدوده تكون هي الأمة الفضلى التي تستحق الزعامة على العالم الإسلامي جميعه لا زعامة أوتوقراطية ، ولكنها زعامة ديمقراطية حقة بالمعنى الذي ينشده أول من تكلموا في الديمقراطية .

فالإسلام الذي يدرس الآن في الأزهر وفي سائر المعاهد الدينية والذي هو مستمد صراحة من القرآن الكريم ونصوص السنة المحمدية التي هي شرح وبيان للقرآن ، وأعمال الخلفاء الراشدين ، وأفهام الصحابة وفقههم في تلك النصوص ، واجتهاد المجتهدين في ذلك ، كل ذلك مدون فيما يسمى كتب الفقه الإسلامي ، مفصل إلى فصول وأبواب وكتب في جميع شئون الدولة وسياستها الداخلية والخارجية ، وكل معاملة تقع بين اثنين على نحو أوسع وأدق وأعدل من كل قانون في العالم للبشر ، لأنه ينتهي إلى أسس ليست من وضع البشر ، ولم تتأثر بأهواء بعضهم على بعض ومطامع بعضهم ببعض .

مكتبتنا العربية

وأول حجر أساسى فى صرح الإسلام : هو إفراد الله بالعظمة ، واستواء جميع البشر بعد ذلك فى سلك المساواة التامة ، لا فرق بين ملك وصعلوك . وحسب العالم دليلا على نصاعة مبادىء الإسلام ثورة مصر هذه الصارخة التى دلت على أن الخروج على الإسلام ومحاربة أهدافه وانتهاك حدوده ومبادئه شر مستطار حيث وضعوا فى دستور الدولة أن الملك غير مسئول وأن ذاته لا تمس ، تلك المادة التى حاربوا الله بها ، حيث جعلوا لله شريكا آخر من البشر غير مسئول والله يقول « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » ، فكان من نتيجة ذلك ما حصل فى الأمة من طغيان وفجور من تلك الذات التى قدسوها وأشركوها بالله فى عدم المسئولية طغيانا أصبح فى تاريخ مصر وصمة لا تزول ، ولولا ما قيض الله لمصر من هذا الجيش الكريم الأبى الذى أنقذ مصر لرسفت فى قيود الذل والطغيان والاستعمار إلى ما شاء الله .

والحجر الثانى فى بناء الإسلام : هى الشهادة لمحمد بن عبد الله بأنه رسول الله الذى أرسله للبشر كافة معلما ومبشراً ونذيرا ، وهذه الذات التى تجب الشهادة بذلك هى شخصية مثالية تاريخية أشادت بكل ما سبق من رسالات الله ، فكتب عنها الكتاب المسلمون والأجانب آلاف الكتب فى فضائل أخلاقها ومعاملتها المثالية ، وقدرتها التى قلبت بها التاريخ البشرى وأخرجته من وصمة عبادة الأحجار والأوثان إلى نور الحرية والمساواة .

ووجب أن يقال بحق فى محمد بن عبد الله نبى الإسلام أنه أبو التاريخ العالمى الحديث ، وصاحب الفضل فى تحرير العقل البشرى من خرافات الجاهلية وعقائدها الضالة ، وأول عامل على نشر تعميم تعليم القراءة والكتابة ومحاربة الأمية ، وأول موجه للقوى الحربية على أساس الإصلاح الإنسانى ، ومحاربة الضلال والفساد فى الأمم المجاورة ، حتى نجح نجاحاً باهراً فى قلب الدنيا إلى شىء آخر خلاف ما كانت عليه من قبل .

والدعامة الثالثة فى الدين الإسلامى العالمى هى ما يسمى بإقامة الصلاة فى اليوم خمس مرات ، أولاها قبل طلوع الشمس من مشرقها بساعة ونصف ودعا إليها الإسلام بحث وحض شديدين ليوقظ البشر من سباتهم إلى العمل والنشاط ، ووزع الأربعة الأخرى على أوقات الناس فى الحياة اليومية وجعل ذلك فرضاً عاماً على الذكر والأنثى واشترط لها الطهارة التى كانت سبب تعويد الناس على النظافة العامة التى أصبحت بعد هذا التشريع الدينى

مكتبتنا العربية

أهم شئون المتحضرين وقد كانوا قبل لا يعرفون النظافة ولا الحمامات ، حتى كانت تفتك بهم الأمراض والعلل ، ولا يعرفون كيفية الوقاية منها ، وما انتشرت الحمامات فى أوربا ونظمها إلا عن طريق الأندلس فى الإسلام ، وهبطت بذلك فيها إحصائيات الأمراض والعلل والوفيات ، فالعالم المتحضر مدين فى تاريخ حياته الصحية للإسلام فى الأندلس ، ويعترف له بذلك المنصفون .

وفرض الإسلام هذه الصلاة على الكافة ، ففرض أن تكون جماعة على الرجال يصلونها فى مساجد عامة مفتوحة للكافة ديمقراطية الوضع لا يتقدم فيها غنى على فقير ولا حاكم على محكوم ولا كبير على صغير ، يؤم الناس أفقههم ولو كان أفقرهم ، ويتلو على أسماعهم فى الصلاة الجهرية ما شاء الله من القرآن . فرض الإسلام إقامة هذه الشعائر كل يوم خمس مرات ، وفرض كل أسبوع اجتماع الكافة من أهل الحى أو القرية أو الخط من الرجال أعيانهم وحكامهم وأمراؤهم ، وأغنياؤهم وفقراؤهم ، وكبارهم وصغارهم ، تتزاحم أكتافهم وتصطك ركبهم بعضهم إلى بعض من جميع الطبقات يسمعون قبل الصلاة إلى الخطيب الذى يعظهم فى شئونهم الحاضرة التى تمس حياتهم وأحوالهم اليومية ، فينشأ على ذلك صغيرهم ويدوم على ذلك كبيرهم ، فيتمرسون على الامتزاج والائتلاف فى أخص عبادة يؤدونها للرب ، فى أظهر وأقدس مكان يجتمعون لله فيه .

وأية فرحة للشعب تجمعه قسرا أو تخلط أفراده بعضهم إلى بعض فيتعرفون أحوال أنفسهم وشئون جيرانهم وإخوانهم وتمتلىء أعينهم بمختلف أحوال مخالطيهم من حال يرثى لها أو خلق يوعظ فيه صاحبه . يتعلم فى تلك المدرسة الأخلاقية الصغير من الكبير والجاهل من العالم والفاسق من التقى : تفاعل أخلاقى ما قام فى جماعة إلا صلح أمرها ونضجت فيها الحياة الاجتماعية على أحسن مثال ، وتألفت فيها القلوب ، وتعاطفت فيها القوى ، واستغنى بها الفقير ، واستجود بها البخيل ، وتكتلت بها أسرة المجتمع . فأية عملية هذه وأية مدرسة اجتماعية ربى بها الإسلام شعوبه وألف بين أبنائه وأخضع الكافة للكافة وأنزل الحاكم إلى المحكومين ودفع الغنى إلى البصر بالفقراء وأسمع الصحيح أنين المريض وأخضع الطائش برؤيته خشية الخاشع وتقاه .

فهذه الصلاة التى ينظر الناس إليها كأهون شىء وأبسطه فى الإسلام وهذه بعض آثارها

مكتبتنا العربية

وأفعالها فى المجتمع . فهل يمكن فصل الدين عن الدنيا وهذه أخص عبادة فيه أنزل العتاة الجبارين والأغنياء المنكوبين من صياصيهم وقصورهم إلى الامتزاج بأصحاب الأكواخ والبائسين فى بيوت الله على مائدة عبادة الله سبحانه ، وأى اجتماع مائدة أصفى للقلوب من ذلك .

فكيف تتجافى عقول أناس عن دين هذه آثاره فى المجتمع وأى زعيم إصلاحى أو حاكم سياسى لا يتشبث بهذا الدين الذى يساعده على ما يروم للإصلاح والزعامة .

إن هذه المساجد التى ينظر الناس إليها وقد أهملت وأصبحت مهجورة ذات منظر مؤسف كئيب من إهمالها وفرشها بالحصر البالية أو تركها بلقعا بلا فراش ، هذه المساجد كانت أعظم أثر فى الأمة من برلماناتها الآن لأنها كانت مصدر تعليم الأمة وإرشادها ، ومبعث الرحمة بين أفرادها مهبط الوحى بالعواطف الرقيقة قلوب مرتاديها ، يدخلها الجناة الاجراميون فيسمعون عظة من عالم متواضع فتفعل فيهم ما لا تفعله قوانين الحكومة وسجونها . فهل يفصل هذا الدين الكريم عن الدنيا ويعزل ، وهل هذا الدين هو الذى يقال فيه ذلك .

محمد عبد السلام القبانى
أستاذ بكلية الشريعة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

إنما يقدس المرء عمله

روى عبد الله بن هبيرة أن أبا الدرداء كان قاضياً بالشام ، فكتب إلى سلمان : « هلم إلى الأرض المقدسة وأرض الجهاد » فأجابه سلمان : « كتبت تدعونى إلى الأرض المقدسة وأرض الجهاد . ولعمرى ، ما الأرض تقدس المرء ولكن المرء يقدسه عمله . وقد بلغنى أنك جلست طبيباً تداوى (أى واعظا تعظ) ، فإن كنت طبيباً مبرئا فطوباك ، وإن كنت متطبباً فاتق الله لا تقتل إنسانا فتدخل النار » .

مكتبتنا العربية

الحزبية في القرآن الكريم

ما أشبه القرآن الكريم بالكنز الفريد المجيد - ولله المثل الأعلى - ، وهذا الكنز بضم في أرجائه مختلف اللآلىء وشتيت الجواهر ، وكل ناظر فيه بالتعمق والتدبر يستطيع أن يحصل منه على بعض هذه الفرائد ، وتختلف حظوظ الناظرين فيه والعاكفين عليه من هذه الخرائد ، ولكن الجميع لا يستقصون جوانبه ولا يحصون عجائبه . ومن غرائب القرآن أنك تتابع كثيرا من ألفاظه فى متباين استعمالاتها ، فترى للفظ معنىً عاما واسعاً ، يشمل استعمالاته أو يغلب عليها ، ويمكنك من هذه المتابعة للفظ من الألفاظ أن تقعّد لاستعماله فى الغالب قاعدة أو ما يقاربها ، ولا يشترط أن تكون تلك القاعدة موجودة بنصها وفصها عند كل استعمال ، بل تكون هى أو ما يشير إليها أو يذكر بها من قريب أو بعيد .

وللحزبية ، وما تفرع من مادتها فى القرآن الكريم ، حديث قد يدخل فى هذا التقعيد أو يدنو منه ، وقد تابعت استعمال « الحزبية » فى التنزيل ، ورأيت أن أعرض له بالبحث ، لعل فى ذلك من الفائدة ما يتلاءم مع مناسبات الزمان ، وإلا فهو على الأقل تذكير بحديث القرآن .

وقبل أن نعرض للحزبية فى القرآن يحسن أن نعرض معانيها فى اللغة ، فقد تتعاون المعانى اللغوية مع الاستعمالات القرآنية لتلك المادة على إيضاح ما نريد استنتاجه من ذكر ألفاظ الحزبية فى الكتاب الحكيم . .

نلاحظ أن معنى الحزبية الغالب فى اللغة يدل على التفرق والانقسام والاختلاف ، والشدة والغلظ أحيانا ، فقد جاء فى القاموس : « الحزب بالكسر الورد والطائفة والسلاح وجماعة من الناس ، والأحزاب جمعه ، وجمعٌ كانوا تألبوا وتظاهروا على حرب النبى صلى الله عليه وسلم ، وجند الرجل وأصحابه الذين على رأيه ، وإنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب هم قوم نوح وعاد وثمود ومن أهلكه الله من بعدهم ، وحازبوا وتحزبوا صاروا أحزاباً ، وقد حزبتهم تحزيباً ، وحزبه الأمر نابه واشتد عليه أو ضغطه ، والإسم الحزابة . . وأمر حازب وحزيب شديد جمعه حُزُب ، والحزابى والحزبية مخففتين الغليظ إلى القصر كالحزاب

مكتبتنا العربية

بالكسر ، والحزب والحزباءة بكسرهما الأرض الغليظة وجمعه حزباء وحزابى . . وحازبته كنت من حزبه » .

وفى النهاية لابن الأثير : طرأ على حزبى من القرآن فأحببت ألا أخرج حتى أقضيه . الحزب ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة كالورد . والحزب النوبة فى ورود الماء . . . وفى حديث أوس بن حذيفة : سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تحزبون القرآن . . . اللهم اهزم الأحزاب وزلزلهم . . . كان إذا حزبه الأمر صلى ، أى إذا نزل به مهم أو أصابه غم . . . ومنه حديث على نزلت كرائه الأمور وحوازب الخطوب ، . . . ومنه حديث الإفك : ومضت جنة تحازب لها ، أى تتعصب وتسعى سعى جماعتها الذين يتحزبون لها . . . ومنه حديث الدعاء : اللهم أنت عدتى إن حزبت ! . . . [1] .

وها هو ذا الراغب الأصفهانى فى كتابه (مفردات القرآن) يشير إلى المعانى اللغوية العامة لكلمة (الحزب) فى القرآن الكريم فيقول : « الحزب جماعة فيها غلظ ، قال عز وجل : « أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً » ، وقوله تعالى : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب » ، عبارة عن المجتمعين لمحاربة النبى ﷺ . « فإن حزب الله هم الغالبون » ، معنى أنصار الله . وقال تعالى : « يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب » .

* * *

والقاعدة العامة ، أو المعنى الغالب فى استعمال القرآن لكلمة (الحزب) هو الدلالة على الانحراف إلى السوء والشر ، والرمز إلى الباطل والسفه ، فلا يرد هذا اللفظ إلا فى مواطن الفسوق والإجرام ، اللهم إلا إذا أضيفت كلمة (الحزب) إلى الله فإن المقام يكون مقام خير وتبشير ، فى الحال أو الاستقبال ، وأما إذا أضيفت إلى غيره فهى سوء وضلال ، فى الحاضر والمآل .

وكأن القرآن يشعرنا بذلك أن الحزبية البعيدة عن صراط الله سيئة أيا كانت ، وكأنه قد استعمل كلمة (الحزب) فى موطن النسبة إلى الله لمجرد المشاكلة ومجاراة السياق ، على حد

---

(١) لم ننقل عن القاموس والنهاية كل ما ورد بهما عن المادة ، بل قطفنا من كل منهما الجزء الكافى للموضوع .

مكتبتنا العربية

قوله تعالى : « ومكروا ومكرالله والله خيرالما كرين » . ولذلك نرى تعبيرالقرآن « حزب الله » يأتى فى سياق التعرض لحديث « حزب الشيطان » ! .

وفى القرآن الكريم ذكر لأربعة أصناف من أحزاب الشر والضلال : الأول منها أتباع الشيطان مطلقاً ، والثانى القوم الكافرون الضالون قبل محمد صلوات الله عليه وسلامه . والثالث الأحزاب الذين تألبوا عليه فى غزوة الخندق وأذاقهم الله بقوته ما أذاقهم من النكال والوبال . وقد خص الله سورة من سور القرآن الكريم باسمهم ، وكأن ذلك أيضاً من بين الإشارات إلى خطرهم وسوء تحزبهم ، فهم يحتاجون إلى التنبيه الجلى لنحذر منهم الحذرالقوى ، والصنف الرابع هم شذاذ اليهود والنصارى الذين عارضوا الإسلام ، ووقفوا فى طريقه معاندين أو مفترين . . ويجمع هذه الأصناف كلها جامع الشر والسوء والضلال كما أسلفنا .

هذا هو التصوير العام لحديث الحزبية فى القرآن ، وما يستفاد منه من سمات عامة أو غالبة ، ومن حق البحث علينا بعد ذلك أن نذكر شواهد هذا التصوير من القرآن الكريم .

يقول الله تعالى فى الآية السادسة من سورة فاطر : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » . فقد أخبر الله جل جلاله هنا أن الشيطان لنا عدو مضل مبين ، وأن حزبه على فساد وإلى سوء معاد ، ووعظنا بأن نتخذه عدوا ، لأنه - كما علمنا - عدونا الذى لا عدو أعرق فى العداوة منه ، واتخاذه عدواً يكون بمخالفته فى العقائد والأعمال ، لأنه يدعو حزبه - وهم شيعته ومتبعو خطواته - إلى ورود موارد الشقوة والهلاك ، وهل هناك أشقى ممن ينتهى إلى عذاب السعير المقيم ؟ .

وقريب من هذا قول الله تعالى فى سورة المجادلة : « استحوز عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون » . وقد نتعرض لهذه الآية فيما نستقبل من البحث . وهاتان الآيتان تشيران إلى الصنف الأول من أصناف الأحزاب فى القرآن .

ولننتقل إلى الصنف الثانى منها . يقول الله تبارك وتعالى فى الآية الخامسة من سورة « غافر » : « كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب » .

والأحزاب : هنا هم الذين تركوا طريق الرحمن وخالفوا الرسل ، وهم عاد وثمود ، وفرعون وغيرهم ، وقد وصف القرآن هؤلاء الأحزاب بأوصاف سيئة ، فهم طغوا وبغوا

مكتبتنا العربية

على رسلهم ، وحاولوا ليتمكنوا منهم ويعذبوهم أو يقتلوهم ، وهم قد جادلوا مبطلين ، وهم قد أرادوا بذلك محاربة الحق ؛ فما كانت عاقبة هؤلاء الأحزاب؟ ... «فأخذتهم فكيف كان عقاب»؟ ! .

ويقول الله سبحانه أيضا فى الآيتين الثلاثين ، والحادية والثلاثين من سورة غافر : « وقال الذى آمن يا قوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد » . والأحزاب فى الآية الأولى قد فسروا فى الآية الثانية ؛ وهم قوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم ، من الذين كفروا وتمردوا وعصوا الرسل ، فوصفهم سيىء ، والجزاء أليم ، فكل حزب منهم كان له يوم دمار ، وقد فصل القرآن الكريم لنا ذلك فى مواطن كثيرة .

ومما يدخل فى هذا الصنف ما أشار إليه القرآن فى قوله فى الآية السابعة والثلاثين من سورة «مريم» : « فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من عذاب عظيم » . والآية وردت بعد قصة سيدنا عيسى عليه السلام ، والمراد بالأحزاب هنا الذين تحزبوا على الأنبياء ، لما قصوا عليهم قصة سيدنا عيسى اختلفوا فيه من بين الناس ، ولذلك أنذرهم بالويل فى يوم شديد .

ومثل ذلك الآيات التى وردت فى سورة الزخرف وهى : «ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ، إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ، فاختلف الأحزاب من بينهم ، فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم » .

وفى الآية الحادية عشرة من سورة (ص) نجد القرآن يقول : « جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب » . وبعدها فى الآية الثالثة عشر يقول : « وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب » . والآية الأولى جاءته بعد آيات تصور جهالات الكفار على الرسول وعنادهم معه ، فهى تقول على لسانهم : « ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ، أأنزل عليه الذكر من بيننا . . » فرد الله عليهم قائلا : « بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب ، أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ، أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا فى الأسباب » ، وهذا استنكار من الله لطريقتهم السيئة ؛ ثم أرشد رسوله ألا يبالى بهم ، ولا يكترث بجمعهم ، ولا يهتم لعنادهم ، فقال : « جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب » . ما هم إلا فئة من الكفار المتحزبين على رسل الله ، وهم مهزومون مكسورون عما قريب ، فلا تبال بما يقولون .

أحمد الشرباصى
مبعوث الأزهر الشريف إلى الكويت

« يتبع »

مكتبتنا العربية

آراء وأحاديث

بدأ حضرة السيد الأديب البحاثة صاحب التوقيع « م . ع » يكتب سلسلة أحاديث تحت هذا العنوان ، فاستهلها بما يدل على نفوذ ودقة وحرص على الاختراع والجدة ، وهى ناحية خطيرة فى الاصلاح العلمى لا يهدى إليها إلا الفحول ، ولا يوفق لها إلا كل كامل من أهل البحث . إنها ناحية لو لم يكن فيها إلا تحرير الفكرة وفتح باب الاستقلال لكفى بها بدأ طولى بيضاء على العلم .

ولقد نعى حضرة الكاتب على من خلف بعدهم ممن تركوا الإنتاج والابتكار والنقد ، ووقفوا عندما ترك الأولون فلم يزيدوا حرفا ، ولم ينقدوا رأيا ، ولم ينتجوا قاعدة .

وعد ذلك العقم مرضاً خطيراً لابد من علاجه . فإنما تتفاضل الامم بالعقول ، وتمتاز بالإنتاج ، فكلما خصب العقل فى أمة وكثر الإنتاج فيها انتفعت ببركات الحياة وثمراتها ، وسارت فى هذا الوجود على هدى .

إن جديرا بالأزهر أن تصلح مناهجه تمشياً مع دعوة التحرر ، وأن يحسن لطلابه التخير . ولو لم يكن فى ذلك الإصلاح الذى أناشدهم الله أن يحققوه إلا إصغاء إلى تلك القضية العادلة الحكيمة « العلم أكثر من أن يحاط به ، فخذوا من كل شىء أحسنه » لكان فى ذلك ما يكفى لتحقيق إصلاح المناهج ، وتغيير الأوضاع فيما يدرسون .

إن عاراً على الأزهر أن يسبق فى ميدان التجديد الصالح ، وهو السباق إلى المكارم . وإن التجديد الصالح لهو أساس النشاط الفكرى ، والمظهر المشرف للحياة العلمية العقلية الرشيدة ، وهو صورة من صور التقدم والتوثب . فأما الجمود على التقليد ، فشىء تأباه النفوس الكريمة وتمجه العقول السليمة .

فجدير به أن ينشط لهذه الدعوة ويعيرها ما تستحق من تقدير ، فيجمع أهل الحل والعقد من رجاله للنظر فى مناهجه ، ونبذ ما لا يتفق مع حاجة كلياته ومعاهده ، وجدير به أن يكون له

مكتبتنا العربية

لجاناً من المتفوقين للتأليف فيما يحتاج إلى تغيير فى الأسلوب أو طريق البحث . ولقد تفتحت أذهان الطلاب مع حضرات أساتذته إلى هاته الناحية ، فأخذوا يبرمون ببعض المؤلفات ، ويشكون من عدم مناسبة أساليبها ولا لياقتها فى هذه الأوقات ، وهو شيء يبشر بروح طيب كريم ، ويدعو ولاة الأمور لالتماس العلاج والاستطباب .

نشكر لحضرة السيد الباحث أنه جرأ أقلامنا على تناول تلك الناحية ، ونرجو أن يدخل الأمر فى حده العملى الجدى ، وألا يكون مجرد إزجاء للوقت فى أقوال نظرية تخلو من تحقيق الغاية المثمرة وبالله التوفيق .

علوم البلاغة فى الميزان

هذا أول عنوان عملى بدأ به الكاتب الكريم بحوثه ، وسأستميحه وحضرات القراء الكرام عذراً إذا جمح بى قلم قد سنحت له فرصة أن ينفث على هذا القرطاس أولا خوالج كانت مكبوتة وأفكاراً كانت محجورة ، لأن هذه الفاتحة الكريمة من حضرة الكاتب أنشطت عقلا وحررت حبسا ، فالشيء يذكر الشيء ، ولئن كان فضيلة الكاتب يعجب من الكاتبين فى البلاغة فى بعض مناهجهم فى البحث فذلك عندى شيء يسير ، فما ضر البلاغة لو أنهم تعوجوا فى تعليل لذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير على أن يستقيم اتجاههم العام وتتحقق ثمرة الدراسة فى الجملة لطالب البلاغة . البلاغة التى جعلوها : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته . والبلاغة التى وصفها الأولون بأنها « إصابة المعنى والقصد إلى الحجة » . والتى وصفوا بها الفرزدق لأنه لقى الحسين بن على فى مسيره إلى العراق فسأله الحسين عن الناس فقال الفرزدق : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر من السماء . والتى وصف بها شبيب بن شيبة لأنه يقول عند باب الرشيد وقد سئل عن الناس كيف رأيتهم فقال : رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضيا . والتى يمثلون لها بقول على رضى الله عنه وقد قيل له : كم بين المشرق والمغرب ؟ فلم يتلعثم ، ولكنه قال : مسيرة يوم للشمس . قيل له : فكم بين السماء والأرض ؟ قال : مسيرة دعوة مستجابة . هذه البلاغة التى أعيا على الناس دركها ، وعز عليهم مطلبها ، حتى تكون هناك طبيعة صافية ، ونفس دراكة ، وتغلغل فى مزاولة أساليب الأفذاذ من الفصحاء والبلغاء فى النثر والنظم ، وفقه ذلك وإدراكه ، ومحاولة محاكاته . هذا الفن الجميل ، وهذا المعنى الجليل قد اشتراه أولئك القوم فى دعواهم أنهم رجاله وأنهم تناولوه فى كتبهم بالبحث والاخضاع لقواعد الأصول والمنطق ومصطلح

مكتبتنا العربية

اليونان وأهل الفقه . وقد أفلسوا فى كل مؤهل للبلاغة إلا هذه المصطلحات وبعض أصول تتراءى أشباحا هزيلة ، لأنه لا غذاء لها ولا منبت صالحا يحفظها ، وإنما هى أشياء تكلم الشيخ عبد القاهر بما يشبهها ، ونقل عنه السكاكى بعضاً منها فأخضعه لضوابطه وتحقيقه ، والبلاغة شىء يأبى أن يخضع إلا للذوق أو ينال إلا فى رائع النثر والنظم .

انظر كيف صرنا نضفى هذه الألقاب على من حقق فى دراسة السعد وشروحه ، وما حقق السيد فى بعض تعليقه ، وما كتب عبدالحكيم السيالكوتى ، أو العصام ، أو السمرقندى أليس هذا أعجب العجب ، لأنه تحريف مناف للحق كل المنافاة ؟

لقد صرنا نعدّ فهم هذه الاصطلاحات الوصفية والمماحكات اللفظية عملا عظيما نجيز به العلماء لأنهم يستطيعون فهم معنى من عبارة معقدة ، ويرجعون الضمير ، ويبينون المشار إليه فى جملة ، ويقدرون مضافا أو مضافين ، ويجرون استعارة بالكناية على مذهب الخطيب والسكاكى والعصام والقوم .

ولقد كان أول من حمل لواء هذا الابتداع فى الانحراف بالبلاغة عن كنهها ، ووضعها فى غير موضعها ، ذلكم الرجل المتكلم الأصولى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، ثم الخطيب القزوينى من بعده ، فقد وجدا فيما يتدارس العلماء والمتكلمون شيئا له اختصاص بمعرفة إعجاز القرآن الكريم يسمى البلاغة ظنا أنها على ذلك النحو الذى رسمه الشيخ عبد القاهر فى كتبه دراسة توجيهية كان عمادها الذوق وفهم أساليب البلغاء ممزوجا بشىء مما هدى إليه من القواعد فى سنن الخاصة من العرب والمتأدبين ، فشغلا بهذه القواعد ومباركتها والبحث فيها والزيادة عليها وضبطها . ثم ادعى السكاكى بذلك الاجتهاد والمذهب الخاص ، وأخذ يناقش القدماء فى اصطلاحهم ويجادلهم فى تقسيمهم ، ويرى أن الأقسام أحيانا قد تزيد على الحفظ وأن له طريقا فى تقليل الضبط ، وأن الربيع يطلق على الله سبحانه ، وأن المراد بعيشة راضية صاحبها ، وما إلى ذلك من نواحى الاقتصاد ليجعل للخطيب مجالا فى مناقشته ، ثم للسعد والسيد فى تأييد الخطيب أو الدفاع عن السكاكى ، ثم ليترك الجميع عبارات يتنافس الأواخر فى تحريرها وتنقيحها وتفسيرها كما يفسر الكتاب والسنة وكلام العرب ، لأنها أقوال رجال برزوا فى المنطق والفصول ، وأئمة هم عندهم الفحول الفحول .

والفخر كل الفخر لمن خدم كلامهم وقدم للناس أقوالهم . وهكذا اتسع الخرق على الراقع واندست البلاغة تحت هاتيك البراقع ففسى الناس معالمها ، وجهل الدارسون أصولها

وحقائقها . لأن رجال العلم والمشرفون عليه يقولون إن هذه هى البلاغة . ورحم الله البلاغة ، بدأ السكاكى والخطيب يحصران البلاغة فى حظيرة هذه الأوراق التى كتباها ، أما السكاكى ففى مفتاحه الذى وضعه فى العلوم العربية كلها لا فى البلاغة وحدها ، وأما الخطيب ففى تلخيصه وإيضاحه . ولو وقف الأمر عند ذلك الحد لوجد طلاب العلم منفسحا من الزمن يسيرون فيه مع الاستعداد الخصيب على ضوء ما بقى من توجيهات ، إلى مدارسة الأدب وخصائص لغة العرب ، حتى يتكون الذوق ويصح تصور الإعجاز ولو إلى حد ، وحتى تتكون ملكة الأداء ويقع التفريع بين الصحيح والتقسيم فى صور الأداء ، ولكن شروح المفتاح وشروح التلخيص قد تعهدا بالبقية من الزمن والعمر مع البقية من الذوق والفهم فأضاعاها على طلاب العلم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم جاء الأزهر المعمور يجدد ما درس من كتبهم ، ويحيى معالم معارفهم ، وقد جاز ذلك يوم كانت مدرسة الألفاظ هى المدرسة القائمة ، ولم تكن بين أيديهم مدرسة البلاغة الأدبية فى كتب أبى هلال وابن الأثير والثعالبى وابن رشيق والجحى . أو كتب قدامة ومن على شاكلته من أهل التفلسف الذى لا يعطى معالم البلاغة ولا يحجبها بحجب جمة بين المصطلح الشريف وشرح ألفاظ المتون ثم ألفاظ الشروح ثم اختيار الحواشى وترجيح واحدة على أخرى ثم التقارير وما حوت من معارف فى كل شىء عدا البلاغة .

فلئن شاء القارىء من غير رجال الأزهر ، أو أراد رجل الأزهر ، أن يجدد العهد بطرق بحثهم إجمالا فى هذه المناسبة ليتصور كيف جنى هؤلاء ومن تبعهم من حيث لا يقصدون ولا يحتسبون على بلاغة العرب ، ودراسة الرحيق المختوم من أساليب الأدب ، فليتذكر بعض ما يعجلنى به الخاطر الآن من مقدمات ووسائل فى دراسة المسائل : فالبلاغة المقصودة بالدرس لها أصل هو الفصاحة ، كما حكم الإمام السكاكى .

فأما الشيخ عبد القاهر فهو يسوى بين الفصاحة والبلاغة فى كتابه ، ثم هذه الفصاحة تكون فى عدة أشياء : المفرد ... الخ ، ثم هى فى المفرد خلوصه ، ثم تفسير الفصاحة بالخلوص لا يخلو عن تسامح ... ثم لماذا ؟ لأن أحدهما وجودى والآخر عدمى . ثم تخوض الحواشى والتقارير فى معركة الوجودى والعدمى ، والفرق بينهما ، ويطول المقام جداً حتى يسحبون بنقلك إلى أصل البحث : ما المراد بالمفرد ، وهل يشمل المركب غير المفيد ، هل المركب غير المفيد داخل فى الكلام . وكيف ولماذا . ثم ما التنافر وهل هو ذوقى ،

مكتبتنا العربية

أهو كما يقول بعضهم يرجع إلى المخارج أو الصفات وكيف تكون « أعهد » فى « ألم أعهد » فصيحة . ما معنى الغرابة ، وما المراد بالمسرج ، وماذا قال المرزوقى فى المسرج ، وهل « أزمان » فى قول العجاج اسم امرأة . وهل الكراهة فى السمع قسم مستقل يجب الاحتراس عنه لتحقق الفصاحة ... ؟

ما اعراب مع فصاحتها وما الفساد الذى يترتب على بعض وجوه الاعراب ، ومن المنتصر فى معركة الاعراب ، ما المثال الفذ ، للتعقيد المعنوى . هو بيت العباس بن الأحنف الذى ذكره عبد القاهر . ألم يجدوا فى الأدب غيره ، ولكن استغفر الله هل فرغوا من مناقشاتهم فى فهم العبارات ؟

وهكذا تسير فى هذه المقدمة لتصوير البلاغة وحصر موادها بالعمليات الحسابية ، وولادة أبوابها بالطرق الطبية الفلسفية ، ثم وضع أسمائها وكتابتها على شهادات الميلاد حتى لا تضيع ولا تنسى ، وما يعترى ذلك من بحوث نفيسة قد يجود بها السعد فى الشرح المطول لأنها من ذخائر المعارف . وكنوز المصطلح الشريف . وكانت تدرس فى عام طويل قبل النظام ، فإذا انتقلت إلى أول أبوابها « الإسناد الخبرى » فما الإسناد ، وما محترزات القيود ، وهل الإسناد مرادف للحكم وما معانى الحكم الخ الخ ثم ما المراد بالخبر ولماذا ، وما الفائدة ، وما المراد باللازم ، ولماذا كان لازما . ويقول السكاكى إن الأولى بدون الثانية تمتنع ، ولكن الثانية بدون الأولى لا تمتنع كما هو حكم اللازم المجهول المساواة ... وتسير طويلا حتى تصل إلى أن الإسناد منه حقيقه عقلية ومجاز عقلى ، وما قيود كل وما المحترزات وما صور كل منهما حتى لا يلتبس بالآخر ؟ ومعركة عبد القاهر والرازى فى أن هل كل مجاز عقلى له حقيقة ؟ فيقول الرازى لابد لكل فعل من فاعل ، فإن ظهر وإلا فهو الله سبحانه .

وهكذا حتى ينتهى باب الإسناد وهو أحد الأبواب الثمانية للمعانى وحدها وهو أقلها ، وما خرجت منه فيما يسمونه البلاغة بأكثر من أضرب الخبر على مقتضى الظاهر أو خلاف مقتضى الظاهر ، ثم الحقيقة العقلية والمجاز وقرينته .

فإذا صرت إلى الباب الثانى : أحوال المسند إليه ، فما المراد بالأحوال ؟ وهل الحال هو الأمر الداعى الذى تقدم التنويه به ؟ وما الداعى إلى تقديمه المسند إليه ، ولماذا عبر

مكتبتنا العربية

فى جانب المسند إليه بالحذف ، وفى جانب المسند بالترك . وهل صورت لك دواعى الحذف تصويراً يميز لكل واحد . وهل مثلوا كل داع على حدة فتجدد المعلومات ، أم لعلك تخير فى تصور النكات وهى لا تتزاحم . والذكر لماذا ؟ لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول . وهل الأصل نكتة بلاغية . وما الفرق بين المعانى الأولية والمعانى الثانوية . ثم التعريف . . ولماذا يكون بالاضمار . . ولماذا يكون بالعلمية ، وما العلمية ، وهل القيود للاحتراز ؟ أم لعلها لتحقيق مقام العلمية فهو مقام خطير . . وهكذا تسير على ذلك المنوال من المسند إليه وتمر بهذه المباحث النفيسة وفيها سلب العموم عند المناطقة ، وهل يشمل سلب العموم عموم السلب ويصدق عليه ، وما مذهب ابن مالك فى ذلك .

هكذا هكذا تسير ، فلا تخرج من هذه البلاغة بفنونها الثلاثة إلا وقد مررت بعدة بحوث فى مختلف العلوم ولا سيما المنطق والمقولات (الكيف والأين والمتى الخ) .

وهل تستطيع أن تعلمه كذلك إلا وقد درت فى كل فن من تلك الفنون وأخذت منه بطرف صالح.

هذا إلى ما يحشون به ذهنه من ألفاظ (ثبوت النسبة واللاثبوتها : الغير والأين) المعنى المصدرى والإسمى ، هل البسيطة والمركبة ، وجود الشىء ووجود الشىء للشىء وغير ذلك لا استقصيه الآن ، ولكنى لعمر القارىء الكريم أكتب من الذاكرة لا من مرجع أمامى من طول ما زاولت هذه الكتب فتضحت على مهها بالشىء الكثير .

وبعد فهل بعد هذا العناء والدرس كان يزاولها بليغاً ، وكانت له ملكة نقد فى الظم والنثر ، أو مقدرة على كتابة أو خطابة أو شعر كما تعطيه عبارة (البلاغة العربية) ؟ لا والله إنها لتبعد عن البلاغة بما تضيع من وقت فى غيرها ، وبما تحشو به الذهن من كلتها وجملتها ومتى كان واحد من هؤلاء بليغاً يحسن التعبير عما فى الضمير ؟ وهل فاقد الشىء يعطيه ؟ إن العمليات نفسها قد دلتنا على الحقائق ، فهل آن لكم أيها الناس أن تدرسوا البلاغة الأدبية التى لا ترجع إلى الحكم العقلى ومصطلحاته ؟ هل تلتمسون ذلك فى الأدب نثره ونظمه وفيما بين أيديكم من كتاب الله وسنة رسول الله ؟ وهل آن أن تتعلموا حكومة الذوق التى لا تخطىء ولا تحيد ، وهل آن أن تقرءوا إن شئتم التوجيه كتب العسكرى والآمدى والجحمى وابن الأثير الجزرى وابن رشيق القيروانى حتى تكونوا لأنفسكم نقداً وذوقاً ، ثم تكتبوا مثل مايكتبون ؟ اللهم وفقنا وبصرنا بالحق وأما المناقشة مع السيد الكريم صاحب التوقيع « م . ع » جزاه الله خير الجزاء فإلى العدد المقبل إن شاء الله حتى تستمر هذه المساجلة الرائعة

محمود النواوى

مكتبتنا العربية

الفتاوى

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

شرعت بلدية الكويت فى إنشاء طريق داخل مدينة الكويت وخارجها واستعانت فى ذلك بمهندسين رسموا الخرائط التى تتفق مع التقدم العمرانى . وقد اعترض أحد الشوارع المراد أنشاؤها خارج الكويت مسجد جديد لم يبنه واقفوه إلا بناء بدائياً وهذا المسجد يدخل جزء كبير منه فى الشارع لو مر على استقامته . ومما لا شك فيه أن الشارع المستقيم يسهل سير المارة والسيارات أكثر من الذى يتخلله انحراف واعواج . وفى إمكان البلدية إذا أزيل هذا الجزء من المسجد أن تصل باقيه بقطعة من الأرض أعظم مساحة من الجزء المزال وتتكفل بعمارته على نظام أحسن مما هو عليه .

ولما كان الإقدام على مثل هذا العمل يتوقف على العلم بجوازه شرعا — وعلماؤنا مختلفون فى ذلك — فنرجو إفادتنا .

وبهذه المناسبة نرجو أن تكون الفتيا عامة فيما نتخذه نحو جميع المساجد والمقابر التى تعترض الطريق المزمع إنشاؤها مع العلم بأننا لا نهدف إلا المصلحة العامة المتفقة مع تقدم الكويت ، والتى تستوجب إنشاء وإصلاح الطرق على هيئة تكفل الأمن والنظام .

مدير بلدية الكويت

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ونفيد بأنه قد جاء فى الجزء الثالث من حاشية ابن عابدين على الدر المختار من كتب الحنفية أنه إذا كان الطريق ضيقاً والمسجد واسعاً لا يحتاج إلى بعضه جازت الزيادة فى الطريق من المسجد لأن كلا منهما للمصلحة العامة ، وهذا هو المعتمد وعليه متون المذهب .

مكتبتنا العربية

وجاء فى كتب المالكية أن ما كان لله فلا بأس فيه أن يستعان ببعضه فى بعض ، ومعنى هذا أنه يجوز توسيع الطريق من المسجد والمقبرة ، كما يجوز توسيع المسجد من الطريق والمقبرة وتوسيع المقبرة من الطريق والمسجد ، تراجع حاشية العدوى على الخرشى على متن خليل فى باب الوقف .

وجاء فى اختيارات ابن تيمية الحنبلى أن جمهور العلماء جوزوا تغيير صور الوقف للمصلحة ، وأنه إذا كانت هناك حاجة فإنه يجب إبدال الوقف بمثله ، أما من غير حاجة فإنه يجوز الإبدال بخير منه لظهور المصلحة ، ثم قال : ونقل صالح ، عن أحمد ، أنه ينقل المسجد لمنفعة الناس .

ومن هذه النصوص يتبين أنه متى كانت الحاجة ماسة الى أخذ جزء من المسجد لتوسعة الطريق واستقامته تيسيرا على المارة والسيارات فانه يجوز أن يؤخذ ذلك الجزء من المسجد للطريق العام .

وإذا كانت إدارة البلدية مع هذا قد التزمت فى موضوع السؤال بتعويض المسجد بأكثر مما يؤخذ منه ، والتزمت أيضاً بإعادة بناء المسجد أحسن مما كان عليه فإنه يجوز بالأولى .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

هذا ـ وكما يجوز ذلك فى المسجد أخذاً من هذه النصوص ـ يجوز أن يؤخذ من المقابر ما يوسع به الطريق ولكن بعد أن ينقل رفات الموتى الى المكان الذى يجعل مقبرة ، كما نص على ذلك الفقهاء .

هذا هو الحكم الشرعى فى هذه المسألة على المذاهب التى قدمنا نصوص فقهائها — وعلى ولاة الأمر أن يقدروا هذه المصلحة العامة الواضحة ويعملوا على وفقها بالنظر الى المساجد والمقابر والطرق العامة .

وبهذا علم الجواب عن السؤال ، والله أعلم ؟

٦ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ رئيس لجنة الفتوى

٢٢ يناير سنة ١٩٥٣

مكتبتنا العربية

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

يوجد فى سوريا أيتام وفتيات غرباء ، أصلهم من أبناء المملكة العربية السعودية ، وقد أمر الله البعض من محسنى المملكة بأن يهتموا بالأمر الذى يكفل سعادة هؤلاء الأيتام الفقراء أبناء السبيل ببحث أن يبنى لهم ملجأ فى دمشق يكون مأوى لجمع شمل الفتيات الغريبات اللواتى لا أزواج لهن ولا كاسب يعولهن ، وللأطفال الذكور أيضاً الذين لم يبلغوا سن الرشد ، فهل هناك مانع شرعى من دفع الزكاة الشرعية بهذا السبيل . نرجو الإفادة .

فهد بن مازن
مندوب الحكومة العربية السعودية لمقاطعة إسرائيل بدمشق - بالسفارة السعودية

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن صرف الزكاة فى إنشاء الملاجىء والإنفاق فى مصالحها جائز شرعاً ، لأن ذلك من الإنفاق فى سبيل الله ، الذى جعله الله تعالى مصرفاً من مصارف الزكاة فى قوله سبحانه : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .

وذلك أن « سبيل الله » لم يتناول كل ما هو من وجوه الخير والبر ، وجاء فى كتاب بدائع الصنائع للكاسانى فى فقه الحنفية (وأما قوله تعالى « وفى سبيل الله » فهو عبارة عن جميع القرب ، وقال الفخر الرازى فى تفسيره الكبير ، واعلم أن ظاهر اللفظ فى قوله « وفى سبيل الله » لا يوجب القصر على الغزاة ، فلهذا المعنى نقل القفال فى تفسيره عن بعض الفقهاء أنهم أجازوا صرف الصدقات إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لأن قوله « وفى سبيل الله » لم فى الكل) ا . هـ .

وظاهر أن ذكر تكفين الموتى وما عطف عليه إنما هو لمجرد التمثيل لبعض وجوه الخير التى تتناول هذا وغيره . وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢
٤ فبراير سنة ١٩٥٣

رئيس لجنة الفتوى

مكتبتنا العربية

مملكة تقلى

- ٣ -

انتهينا فى مقالنا السابق ، إلى أن « جيلى أبا جريدة » ترك بعد وفاته ، مملكة راسخة القواعد ، قوية البنيان ، وخلفه على عرش المملكة ، ابنه « سابو Sabo » الذى نقل قاعدة ملكه من « الهوى » إلى « تودم To'dim » ، ومن القاعدة الجديدة ، واصل « سابو » نشر الإسلام ، وتوسيع ملكه ، وسار على سياسته من بعده ، ولداه ، « جيلى عمارة » و « جيلى أبو شهيرا » وكذا حفيده « جيلى عوان الله » ، وقد اعتلى كل منهم العرش على التوالى ، ودفنوا جميعاً ، فى حوش « الهوى » حيث ترقد رفات « جيلى أبو جريدة » ، ويمكن اليوم مشاهدة أطلال مقابرهم ، ومقابر من يلوذ بهم من الأقرباء والوزراء .

ونحن نعرف القليل عن الحياة الشخصية لهؤلاء الملوك الأوائل ، غير أننا نعرف الكثير عن اتساع المملكة فى عهدهم ، وتقلى - مثل روما - لم تشيد فى يوم واحد ، ولقد نما نفوذ هؤلاء الملوك ، أول الأمر بطيئاً ، ثم لم يلبث أن أصبح لهم السلطان المطلق فيما بعد ، وسر نجاحهم كامن ، فى احتضانهم الدعوة ، إلى الإسلام ، وكانت أهداف هؤلاء الملوك مزدوجة ، فهم يريدون نشر العقيدة الإسلامية من جهة ، وهم إذ يفعلون ذلك ، فانما يمكنون لنفوذهم الشخصى من جهة أخرى ، واستطاعوا أن يظلوا بسلطانهم تقلى ، وما جاورها من التلال ، وساروا فى نفس الدرب الذى سلكه « جيلى أبو جريدة » من تشجيع الهجرة إلى بلادهم ، وعن طريق ذلك ، احتكوا بالعالم الخارجى ، وجذبوا إلى تقلى كثيراً من رجال الدين والتجار والمغامرين من كل نوع ، وكانت أيام هؤلاء الملوك ، باختصار ، عصر هجرة عربية إلى السودان ، وعصر عزة وفخر لهؤلاء العرب .

ولقد وفد على تقلى ، بعض مبعوثى ملوك الفنج ، من رجال الدين ، للتعريف بالإسلام وكان من بين هؤلاء « حسن واد حسونة » و « ناج الدين البحارى » ، وزار كلاهما تقلى فى أوائل القرن السابع عشر ، وكان هدفهما من هذه السياحة مزدوجاً : المتعة الروحية بنشر الإسلام فى هذه الأوكار الوثنية ، والحصول على الكسب المادى بالمتاجرة فى هذه الأصقاع .

مكتبتنا العربية

وكان من عادة ملوك تقلى ، إذا قدمهم أحد هؤلاء الدعاة الإسلاميين ، أن يعينوا له منطقة وثنية ، لتكون ميداناً لنشاطه التبشيرى ، وذلك فى مقابل بعض الفوائد المادية ، التى يحصل عليها من السكان دون إكراه ، وكثير من رجال الدين هؤلاء ، ومن التجار ، كانوا يقررون الاستيطان فى تقلى ، وكانوا يمنحون الملك بعض المال ، باختيارهم ، فى نظير حمايته لهم .

وبهذه الوسائل ، استطاع ملوك تقلى ، نشر العقيدة الإسلامية فى ديارهم ، كما استطاعوا بذلك أيضاً توطيد أركان ملكهم ؛ لأنهم أضحوا حماة العقيدة الجديدة ، وأخذوا يضمون لملكهم ، الجبال تباعاً ، وتزاوج المهاجرون الجدد ، مع أهل البلاد الأصليين ، ولا زالت الذرارى الناتجة عن هذه المصاهرات ، موجودة فى كل الجبال الشمالية الشرقية ، فى هيئة قبائل وعشائر ، ومنهم الآن ، مشايخ القرى ، فى تلك الجهات .

وقبل مضى وقت طويل ، قويت مملكة تقلى بادىء ذى بدء ، بهذه الوسائل السلمية لدرجة مكنت الملوك ، فيما بعد ، من توسيع نطاق ملكهم ، بالقوة الحربية ، وبالرغم من أن مملكة تقلى ، قد أصبحت بغير حاجة ، إلى مهاجرين جدد ، إلا أن سيل الهجرة لم يتوقف ، ومن هؤلاء المهاجرين ، تكون الجنس الخليط الذى يقطن تقلى اليوم .

ولم يكد ينتصف القرن السابع عشر ، حتى كان لملوك تقلى ، السيطرة التامة ، على كل الجبال الشمالية الشرقية ، ولما كان هؤلاء الملوك على علاقة حسنة بملوك سنار ، فانهم استطاعوا ، أن يضووا تحت لوائهم المهاجرين من الفُنج ، وكان من هؤلاء مكوك ، رشاد ، و ، ناجوى ، و ، قدير ، ، ويمكن أن نرجع نجاح هؤلاء الملوك فى سياستهم إلى عدة اعتبارات : منها أنهم أظلوا الأرض بظلال القانون والنظام ، وهى عناصر لم تكن موجودة من قبلهم ، ومنها طرقهم فى الاستعمار ، ومنها شجاعتهم الشخصية ، ومنها - وهو أهم هذه الاعتبارات جميعاً - أنهم جاءوا معهم بالإسلام ، واستطاعوا بكل ذلك ، أن يجعلوا لبيتهم مركزاً محترماً مرموقاً ، بين مواطنيهم ، وظل العرش وراثياً فى ذريتهم ، مدة أربعمائة عام ، وقليل من البيوت الحاكمة ، من تهيأت له أسباب العزة والمنعة ، كذلك البيت الذى استطاع بوسائله أن يوجد مجتمعاً متحداً سعيداً .

وخلف ، جيلى عوان الله ، ابنه ، جيلى أبو قرون ، الذى حكم من عام ١٦٤٠ إلى عام

مكتبتنا العربية

١٦٦٥ م . ومعلوماتنا عن هذا الملك قليلة . ولقد تزوج من « أجيم شيلا » ابنة الملك « الرماط ابن بادى » ملك سنار . وقد أحضرت هذه الأميرة معها كثيراً من الأتباع ، أحلتهم فى حوش « بالولا » الى انسحبت إليها عقب وفاة زوجها . ومعظم السُّفنْج فى تقلى من هذه الحاشية وسلالتها (١) . وكان هذا الزواج الملكى سبباً فى تقوية أواصر الصداقة بين سنار وتقلى ، غير أن هذه الصداقة ، ما لبثت أن انفصمت عراها ، عندما هاجم « بادى الثانى أبو ذقن » مملكة تقلى فى عهد « أبى قرون » .

وكان لأبى قرون هذا ، ولدان ، من هذه الأميرة السنارية ، وكلاهما قد اعتلى العرش . وعاشت الأميرة عمراً طويلاً ، ولعبت دوراً هاماً ، فى تاريخ مملكة تقلى ، سنعرض له فيما بعد .

وفى منتصف القرن السابع عشر ، ازداد سلطان ملوك تقلى ، وأصبحوا حكاماً طغاة ، فأخذوا يجبون الضرائب ممن يمر بمملكتهم ، وكل مسافر لا يتفق معهم على هذه الضريبة يكون معرضاً لنقمتهم . وقد عرّض « جبلى أبو قرون » بسياسته الخرقاء ، نفسه ومملكته للخطر ، عندما عامل صديقاً لملك سنار معاملة سيئة ، وزاد على ذلك ، أنه تحدى علناً ملك سنار ، معتقدا أن فى جباله المنعة والعصمة . وقبل ملك سنار التحدى ، وسار هو ورجاله صوب جبال النوبة . فوصلوها ، وذبحوا كثيرين من أهلها ، وأسروا كثيرين ، ثم تقدموا حتى وصلوا تقلى فحاصروها ، وكان الملك « أبو قرون » قد حصنها ضدهم ، غير أنه عامل المحاصرين معاملة كريمة ، مما دفع ملك سنار ، إلى فك الحصار . واتفق الطرفان على جزية سنوية ، تؤديها تقلى إلى سنار . وبذلك أصبحت تقلى تابعة أو خاضعة لسنار ، ولم تعد كما كانت دولة مستقلة ذات سيادة . وساد الوئام بين المملكتين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، على اعتبار أن ملوك سنار سادة لملوك تقلى .

وتوفى الملك « جبلى أبو قرون » ودفن فى « كيريا » ، وخلفه على العرش ابنه الأكبر « محمد » الذى بنى قلعة فى « تاسى » واستقر هو وخلفاؤه فى هذه القلعة مدى قرنين من الزمان . وخلف « محمداً » أخوه « عمر أبو زُنتير » وهو أول ملوك تقلى ، الذين يذكرون ، فتذكر معهم الصفات السيئة . فالظلم والقسوة والطغيان ، كانت السمات العامة لعهده ،

(١) مثل عائلة « اربد » ومنها عمدة « بالولا » .

مكتبتنا العربية

لذا كرهته رعيته . وقد كانت أمه تخشاه ولا تثق به ، فعملت على إقصائه عن العرش ، واستخلاصه لحفيدها « اسماعيل » ابن ولدها « محمد » . ويقال إنها أعدت طبقاً من الطعام ، ودست له فيه سماً ، وقدمته له . ولما اكتشف « عمر » السم ، طار صوابه ، وذبح ثلاثين من عبيده ، ظناً منه ، بأنهم هم الذين دسوا له ذاك السم .

وأثارت هذه المذبحة نيران الثورة عليه ، فى تقلى كلها . وطرد هو وأتباعه عنوة واقتداراً ، ونصب إسماعيل بدله ، ملكا على تقلى . ودارت حروب بين إسماعيل وعمر ، كان عمر الخاسر فيها . وذهب إلى سنار يفشد معونتها . عملا بنصيحة أمه التى كتبت سراً إلى قريبها ملك الفنج ، تطلب منه فيه حجز عمر ومنعه من العودة إلى تقلى ، بل وقتله إذا أمكن .

ولما وصل « عمر » وأتباعه إلى سنار ، استقبلهم الملك « بادى الأحمر » ملك الفنج استقبالا كريماً ، وكان الملك آنذاك مشغولا بثورة إحدى القبائل فى الجهات النائية من مملكته فرغب إلى « عمر » أن يذهب للقضاء على هذه الثورة ، مؤملا الخلاص منه فى هذه الثورة ، ورضخ « عمر » لذلك ، مع إدراكه قلة الفرصة فى النجاح ، ولكنه استطاع أن يخضع الثوار وعاد ظافراً إلى سنار ، فأغدق عليه الملك الهدايا ، ووعده ـ غير صادق ـ بمساعدته على استعادة عرشه المسلوب ، وترك « عمر » سنار بناء على هذا الوعد ، وعول الملك على إغراقه فى مياه النيل الأبيض عند عبوره ، وقد كان ، وأغرق بحارة « بادى الأحمر » القوارب ، فذهب « عمر » وأتباعه إلى قاع أليم ، ما عدا اثنين من أتباعه ، نجوا من الغرق ، وبما شطر تقلى يقصان مأساة « عمر » .

والى مقال قادم ، نعرض فيه بإذن الله حلقة جديدة من حلقات هذا البحث ؟

عبد المنعم محمد الشيخ
مدرس أول الآداب بمعهد الزقازيق

مكتبتنا العربية

قضية فلسطين

وإهمال ألمانيا الغربية بحيادها في اتفاقية التعويضات لإسرائيل

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

قال مندوب « الأهرام » الخاص :

أتيح لى أن أقضى بعض الوقت مع فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين ، شيخ الجامع الأزهر ، وهو رجل أحبه وأوثره المودة والتقدير ، لما جبل عليه من صفات الرجل المؤمن ، وكان على غير عادته ، إذ كان يبدو غضبان أسفا . وقد أعرب حقا عن ألمه البالغ حين تحدث إلى فى مسألة إسرائيل والتعويضات التى رأت ألمانيا الغربية أن تمدها بها . قال الشيخ الأكبر فى عنف وغضب :

لو أن المؤرخين أرادوا أن يؤرخوا أسوأ مثل لأقبح حادث أسيء به إلى الإنسانية ومبادئها فى القرن العشرين ، لما وجدوا أبلغ من تاريخ هذا الحادث المروع الذى تألبت فيه بعض دول الغرب وعاونت على إخراج أهل فلسطين الشرعيين من بيوتهم وبساتينهم وحقولهم ومتاجرهم ومصانعهم ، ليحلوا محلهم فيها أقواما من اليهود الغرباء الذين كانوا أشتاتا فى مختلف أقطار الشرق والغرب ، من بلاد روسيا إلى أقصى أودية اليمن وجبالها .

هذا الحادث الإنسانى الأليم الذى كان من نتائجه أن العنصر اليهودى المتعرب الذى كان تعداده فى فلسطين سنة ١٩١٤ أقل من عشر السكان الشرعيين ، فما زال يتزايد هذا العدد شيئا فشيئا بالحشود التى كانت تنضم إليهم من المهاجرين غير الشرعيين ، الذين حملتهم الحركة الصهيونية بمعاونة المحتلين على مزاحمة أهل البلاد الحقيقيين فى مساكنهم ، وضيقوا عليهم الخناق فى ممتلكاتهم ومعايشهم وحريتهم ، حتى لقد أصبحوا الآن أصحاب الدولة فى البلاد ، بينما أضحى أصحاب البلاد مشردين فيها تحت كل نجم : يعانون آلام البرد والزمهرير شتاء ، ولهب القيظ صيفا ، حتى صاروا فى حالة من الضنك والهوان والبؤس والشقاء توجب الاشفاق والرحمة ، من قلوب تشعر من معانى الرحمة بما لا تشعر به قلوب كبار ساسة الغرب .

مكتبتنا العربية

إن إسرائيل الباغية على أهل فلسطين لا تزال فى حالة حرب مع مصر والدول العربية والأمم الإسلامية ، بسبب تلك الجريمة التاريخية ، وكان ينبغى على الحكومات المحايدة ، وفيها ألمانيا الغربية ، أن تلتزم الحياد التام بين العرب وإسرائيل ، فلا تعين إحداهما على الأخرى ، ولا تبسط يد واحدة لتغل يد الأخرى ، ولكن مما يؤسف له كثيرا أن ألمانيا الغربية قد أخلت بهذا الحياد الذى كان واجبا عليها أن تلزم نفسها به ، فجاءت تمثل فصلا جديداً فى هذه الرواية المخجلة للضمير الإنسانى ، إذ تقدمت بمبلغ ٨٣٠ مليونا من الدولارات تعهدت بأن تسلمه إلى حكومة إسرائيل ، أقساطا مقسطة ، بعضها مال وبعضها عتاد من منتجات مصانعها ، بدعوى تعويض اليهود - الذين قيل إن هتلر قد طردهم من بلاده - عن الخسائر التى تكبدوها . مع أن هؤلاء اليهود الذين طردوا من ألمانيا كانوا رعايا ألمانيين .

والقوانين الدولية لا تلزم أية حكومة بدفع تعويضات من غير طريق القضاء ، فى الدعاوى التى تقام من اشخاص كانوا من رعايا تلك الدولة . وفضلا عن ذلك فإن إسرائيل التى يراد دفع هذه التعويضات إليها ليست هى التى تستحقها ، وكان الوضع السليم يقضى على ألمانيا بدلا من أن تدفع هذه التعويضات ، أن تفتح أبوابها ليعود إليها كل يهودى يثبت أنه أخرج من ملك كان له فى ألمانيا ، وأن يعود إلى فلسطين كذلك كل عربى يثبت أنه أخرج من ملك كان له فى فلسطين ، أما العدول عن ذلك الى أن تعطى ألمانيا الغربية مئات الملايين من الدولارات لاسرائيل ، وهى فى حالة حرب مع مصر والدول العربية والعالم الإسلامى ، فإن ذلك يعد من ألمانيا الغربية إخلالا بقواعد الحياد ، ويصورها فى صورة الضالع مع أحد الطرفين المشتبكين فى حرب ضروس سجال ، وتعده الدول العربية تهديدا لها ، وإطالة لحياة حكومة إسرائيل عشرة أعوام أخرى أو أكثر ، بينما هى تعيش الآن على الصدقة والاستجداء ، وسيكون هذا العمل من ألمانيا الغربية سابقة تستعين بها إسرائيل على أخذ تعويضات أخرى من بلاد يزعمون ان بنى جلدتهم اضطهدوا فيها أيضا ، ومنها النمسا وألمانيا الشرقية وهنغاريا ورومانيا وبولندا . الخ . . .

ويجب أن تعلم ألمانيا الغربية أن مساعدتها هذه لإسرائيل ، ستخل بالتوازن الحالى فى الشرق الأدنى ، وتمكن إسرائيل من القيام بعدوان جديد على البلاد العربية ، بينما الذين يدعون أنهم الأوصياء على السلام العام واقفون يتفرجون على هذه المهزلة التى لم يسبق لها نظير فى العالم .

مكتبتنا العربية

إن إسرائيل ليست وريثة لحقوق اليهود المزعوم أنهم تضرروا من حكومة هتلر ، لذلك لا يجوز أن تعتبر طرفا فى تسوية مع ألمانيا الغربية ، على حقوق يهود لم يكونوا يومئذ من رعايا إسرائيل ، بل لم تكن حكومة إسرائيل هذه موجودة فى الدنيا يوم وقع الاضطهاد المزعوم من ألمانيا على رعاياها اليهود .

وحكومة إسرائيل هذه لا تعترف بحق التعويض فى القانون الدولى ، ولو كانت تعترف بهذا الحق الموهوم بالنسبة لليهود الألمان الذين كانوا قبل وجودها ، لكان ينبغى لها أن تعترف بالحق الأبلج الماثل أمام أعينها وأعين رجال حضارة القرن العشرين للاجئين العرب الذين أخرجوا من ديارهم وبساتينهم وحقولهم ومتاجرهم ومصانعهم ، وقررت الامم المتحدة التعويض لهم ، فهزأت إسرائيل بقرارات الأمم المتحدة ، وألقت بها فى سفط المهملات .

إن يهود ألمانيا الموجودين الآن فى فلسطين وتزعم إسرائيل أنها تتقاضى التعويضات من ألمانيا الغربية باسمهم ، قد هاجر معظمهم إلى فلسطين قبل اضطهاد هتلر لليهود . وقسم كبير منهم جاء الى فلسطين بعد انقضاء حكم النازى فى ألمانيا ، وقد جاءوا الى فلسطين فى الحالتين عند ما كانت فلسطين آهلة بأصحابها الشرعيين من العرب ، فكان مجيئهم الاختيارى إلى فلسطين اضطهادا منهم للعرب وبغياً عليهم واغتصاباً لوطنهم ، حتى بلغ عدد العرب الفلسطينيين الذين شردوا من وطنهم الشرعى تحت ضغط الصهيونية العالمية أكثر من مليون نسمة نساء ورجالا ، أطفالا وشيوخا ، فانتزعت منهم ديارهم فى غير شفقة ولا رحمة ، ولاول مرة فى التاريخ يشرد سكان متوطنون فى بقعة ما ، ليحل محلهم أناس غيرهم يزعم أنهم شردوا من بقاع أخرى .

إن النازى غير موجودين اليوم ، فأعيدوا المشردين الألمان إلى وطنهم فى ألمانيا ، وأعيدوا المشردين من عرب فلسطين إلى وطنهم فلسطين ، وإلا فإن دعوى الإنسانية والحق فى بلاد الغرب المتمدنة تكون من أكبر الأكاذيب التى سيسجلها التاريخ لتخجل منها الأجيال الآتية مادام للإنسانية ومبادئها أنصار صادقون فى العالم .

مكتبتنا العربية

لغو وبيان

اختر بين هذين الأمرين

هذا نمط جديد استحدث فى كلام الكتاب . وفى صحيفة المصرى الصادرة فى ١٩٥٢/٦/٢٣ « على أن يكون للسودانيين حق الاختيار بين الوحدة أو الانفصال فى استفتاء حر خال من كل شائبة » . وقول الكاتب : « أو الانفصال » الصواب فى هـــذا الموطن أن يقال : « والانفصال » بالواو لا بأو ؛ فإن لفظ « بين » لايضاف إلا إلى متعدد ، وأو لأحد الشيئين أو الأشياء : كما هو واضح مستبين .

واستعمال « بين » مع الاختيار ، غير معروف . وإنما يقال : اختر أحد الأمرين ، أو اختر من الأمرين ما تشاء ، أو اختر الأمرين ما تشاء على حذف « من » ؛ وذلك على حد ما جاء فى قوله تعالى : «[1] واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا » والأصل : اختار من قومه ... ، وكما قال الشاعر :

إختر تُـك الناس إذ رثّت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده الـوَل

وقال الفرزدق :

ومنا الذى اختير الرجال سماحـة وجوداً إذا هبّ الرياح الزعازع

وإنما تأتى « بين » مع صيغة التخيير ، تقول : خيرته بين الأمرين ، وكأن ذلك لأن التخيير يتضمن الترديد ؛ فإذا قلت : خيرتك بين أمرين فكأنما قلت : أرددك وأميلك بين الأمرين . فأما الاختيار فجزم بالمختار واقتصار عليه ، فلا موطن فيه للفظ « بين » . وفى المصباح : « خيرته بين الشيئين : فوضت إليه الاختيار ، فاختار أحدهما ، وتخيره » . وقد يقال : أنت بين أمرين فاختر أحدهما ، أو اختر بحذف المفعول ؛ كما قال الأعشى :

فقال : ثكل وغـــدر أنت بينهما فاختر وما فيهما حظ لمختار

---

(١) آية ١٥٥ سورة الاعراف .

مكتبتنا العربية

إنى مقدر لك جهدك وإخلاصك للعلم

يكثر هذا الأسلوب فى معرض عرفان الفضل وتعظيم صاحبه وتبجيله. وفى كلمة وزير المعارف عند افتتاح المجمع اللغوى يخاطب أعضاء المجمع [١] : تشرفت بحضور هذا الاجتماع وإنى أنتهز هذه الفرصة لأحييكم وأرحب بكم، وأهنئكم بثقة حضرة صاحب الجلالة الملك وبتقدير الحكومة المصرية لفضلكم ومكانتكم » .

وقد فرط من قوم الإنكار على هذا الأسلوب، وأوجبوا الأخذ من الثلاثى (قدر) فيقال : إنى قادر لك جهدك وفضل سعيك . وذلك ليكون وفق قوله تعالى[٢] : « وماقدروا الله حق قدره » ، ولأن الثلاثى فى هذا المعنى هو الوارد فى المعاجم التى بين أيدينا .

فقد جاء فى القاموس فى سرد معانى القدر « التعظيم » وزاد التاج : « وبه فسر قوله تعالى : وما قدروا الله حق قدره » والقدر مصدر الثلاثى ، كما هو معروف . وفى اللسان : « وقوله تعالى : وما قدروا الله حق قدره أى ما عظموه حق تعظيمه . وقال الليث : ما وصفوه حق صفته » . وجاء فى اللسان فى موطن آخر ما يوهم ورود قدر — بالتشديد فى معنى التعظيم . وذاك حيث يقول : « وقوله : وما قدروا الله حق قدره خفيف ولو ثقل كان صوابا » فقد يسبق إلى الوهم أنه يريد التخفيف والتثقيل فى الفعل ، وإذن فقد ورد قدر ، وهذا بعيد عن مراد صاحب اللسان ، وإنما يريد التخفيف والتثقيل فى المصدر فى قوله « حق قدره » ويعنى بالتخفيف تسكين الدال ، وبالتثقيل فتحها . وذلك لأن الحركة — أيا كان نوعها — أثقل من السكون . ويدل لذلك قوله عقب هذا : « وقوله : [٣] إنا كل شىء خلقناه بقدر مثقل » ولا معدل عن أن يراد بالتثقيل هنا التثقيل فى القدر .

على أن البحث قد هدى إلى أن التقدير فى معنى التعظيم عربى صحيح لا مجال لإنكاره . ولبيان ذلك يحسن الرجوع إلى المعنى الأصلى لمادة (قدر) الذى تفرع عنه التعظيم . ذلك لأن هذه المادة لا تفيد فى أصلها هذا المعنى ؛ كما هو ظاهر فأصل هذا أن يقال : قدّر [٤] الشىء إذا حزره ليعرف مبلغه ويقول أبو حيان : « أهل [٥] القدر معرفة الكمية . يقال : قدر الشىء إذا حزره وسبره وأراد أن يعلم مقداره » ، وظاهر هذا أن يأتى فيما لا يقع تحت

---

(١) أنظر مجلة المجمع ، صدر الجزء الاول .

(٢) آية ٩١ سورة الانعام ٦٧ سورة الزمر . (٣) آية ٤٩ سورة القمر

(٤) انظر أفعال ابن القوطية ٢٣١ ، ومستدرك التاج فى المادة نقلا عن تهذيب الافعال لابن القطاع

(٥) أنظر البحر ٤٣٩/٧

مكتبتنا العربية

الحس وينالـه الحزر والسبر . وهو يأتى فيما لا يقع تحت الحس من المعقول بالقياس على المحس . تقول : قدرت فلاناً وفضله ، أى عرفت مبلغ أمره ومقداره فى فضله أو علمه . ويستوى فى هـذا بحسب أصله أن يعلم منه الكمال فى ذلك أو النقص والتقصير ، ولكنه تعورف فى معرفة الكمال وكثر إيراده فى مقام المدح والتعظيم ، وصار هذا كما يقال : عرفت قدر فلان ، فى معرض التنويه به والإعلاء من شأنه .

وفى كتابة الشهاب على تفسير البيضاوى فى آية الأنعام ، وقد فسر البيضاوى الآية فى الأنعام بمعنى : ما عرفوا الله حق معرفته ، والآية فى سورة الزمر بمعنى : ما عظموا الله حق تعظيمه : فسره هنا بما عرفوه حق معرفته ، وفى الزمر بما قدروا عظمته فى أنفسهم حق تعظيمه لأنه فى الأصل معرفة المقدار بالسبر ، ثم استعمل فى معرفة الشىء على أتم الوجوه حتى صار حقيقة فيه ، كما قالوا : رحم الله من عرف قدره ـ أى نفسه وحقيقته ـ ومعرفة الله لما لم تكن إلا بصفاته فسر فى كل محل بما يليق به » .

ويرى بعضهم أنه مأخوذ من القدر ، وهو شرف الإنسان ومكانته ، ألا تراهم يقولون : لفلان قدر ، ولفلان لا قدر له بين قومه . فمعنى قدرت فلاناً : عرفت قدره وفضله .

وأعود بعد هذا إلى صيغة «التقدير» فهل جاءت فى معنى حزر الشىء وسبره وتعرف مبلغه ؟ إنها إذا جاءت لذلك ساغ أن تجىء للتعظيم بالاتساع والاستجازة ، كما جاء ذلك فى « القدر » .

والجواب على هذا السؤال بالإثبات والإيجاب ، كما يقولون . فقد قال أبو جعفر النحاس : « معنى [1] قدرت الشىء ، وقدرته : عرفت مقداره » وأيضاً فقد جاء فى معانى التقدير ـ على ما فى اللسان ـ التفكير فى تسوية أمر . وسبر الشىء يرجع إلى هذا ، ومنه قوله تعالى فى سورة المدثر : « إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر » أى قدر فى نفسه قوله وعرف مبلغه .

فإن أراد القارىء استظهاراً على ما ذكرت من تسويغ التقدير فى معنى التعظيم فذلك له ، وحكمه مستمط ، ذلك أنه قرىء فى الآية : « وما قدّروا الله حق قدره » بتشديد الدال فى الفعل ، قرأ ذلك عيسى بن عمر الثقفى والحسن البصرى ، وهما من هما فى بحرى الفصيح والمعنى فى الآية التعظيم .

ويقول أبو حيان فى البحر فى تفسير آية الزمر : «وما قدروا الله حق قدره أى ما عرفوا الله حق معرفته ، وما قدروه فى أنفسهم حق تقديره ، إذ أشركوا معه غيره ، وساووا بينه وبين الحجر والخشب فى العبادة ، وقرأ الأعمش : حق قدره ، بفتح الدال ، وقرأ الحسن

(١) انظر تفسير القرطبى ٣٧/٧ .

مكتبتنا العربية

وعيسى وأبو نوفل وأبو حيوة : وماقدّروا - بتشديد الدال - الله حق قَدْره - بفتح الدال - أى ما عظموه حقيقة تعظيمه » ، وفى الكشاف : « وقرىء بالتشديد على معنى : ما عظموه كنه تعظيمه » ، وفى البيضاوى : « ما قدروا عظمته فى أنفسهم حق تعظيمه ، حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به ، وقرىء بالتشديد » .

البندار — تاجر الجملة

تاجر الجملة فى هذا العصر يراد به التاجر الكبير الذى يأخذ منه السلع تجار دونه فيبيعون وهو يجمع مقادير كثيرة من السلع ويكون كثير المال الذى يقلبه فى التجارة . وقد وقفت على كلمة تؤدى هذا المعنى ، وهو البندار . والبندار كلمة فارسية ، ومن معانيها فى الفارسية الثرى والمحتكر . وقد دخلت هذه الكلمة العربية ، وتصرفت العرب فيها فأدخلوا عليها أل ، وجمعوها على البنادرة . وفى اللسان : « البنادرة دخيل وهم التجار الذين يلزمون المعادن . وفى النوادر : رجل بندرى ومبندر ، ومتبندر ، وهو الكثير المال » .

ونرى فى التاج النص الآتى : « وفى كتاب ابن الصلاح فى معرفة الحديث : البندار : من يكون مكثراً من شىء يشتريه منه من هو دونه ثم يبيعه ، وهذا يثبت ما رأيت من أن البندار معناه تاجر الجملة ، كما يثبت وجود هذا الضرب من التجار فى المدنية الإسلامية فى عصورها الغابرة

هذا الرجل يقتنى الطيور غواية فيها

يستعمل الناس مادة (غ و ى) فى معنى الهوى والميل . فهم يقولون فلان غاو للموسيقى ، أى يميل إليها بطبعه ، وينزع بشوقه إليها . وقد أنكر على هذا الاستعمال ، وأوجب الباحثون أن يستعمل فى مكانها الهوى وما اشتق منه ، وأحب هنا أن أدون نصاً وجدته فى آخر ديوان ابن قزمان الأندلسى صاحب الزجل والمبرز فيه . وفى النسخة أنه « طالعه أضعف عباد الله وأقواهم طمعاً فى رحمته أحمد بن محمد الهراس ، لطف الله به وسامحه سنة ٦٨٣ » وهذا النص هو : « استكتبه لنفسه الأديب محمد بن أبى بكر القطان بصفد المحروسة ، استحسانا له وغواية فيه » ، فتراه استعمل الغواية فى معنى الميل ، كما هى فى الاستعمال الشائع الآن ، وهذه النسخة مطبوعة بالفوتستات عن صورة نسخة مخطوطة ، وقد تم طبعها فى برلين سنة ١٨٩٦ .

محمد على النجار
الأستاذ بكلية اللغة

مكتبتنا العربية

وحدة الأمة سبيلها إلى النصر

حين يفكر الإنسان فى حال هذه الأمة ، وما تفشى بينها من أدواء مهلكة وأمراض قاتلة ، لايلبث أن تملكه الحسرة وتغالبه الدمعة ويحس فى أعماقه بالألم الدفين والهم اللاذع ، فنحن أتباع دين كريم يدعو إلى القوة البانية المشيدة ، ويوصى أصحابه بالعزة ، ويحذرهم من الضعف والاستكانة والذلة . والله تعالى يقول : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، ورسولنا صلوات الله عليه يقول : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

والتاريخ الصادق الأمين حافل بروائع المثل التى ضربها أسلافنا العظام حين تجردوا من مطامع الدنيا وطهروا أنفسهم من رجسها ولم تلههم طيبات الحياة ومفاتن العيش عن الجهاد فى الله والفناء فى سبيله فعزوا وفازوا ، وكانوا قادة الدنيا وسادة العالم .

ومن العجب أننا نطالع فى أسفار التاريخ هذه المثل ، ونؤمن بها ونعتز بما تحوى من صور البطولة والعظمة ، ولكننا لا نحاول أن نأخذ أنفسنا بهذا السلوك ، ولا أن نحملها على التحلى بما كانوا عليه من فضائل . ولذلك ضعف شأننا وهان أمرنا ، وتمزقت وحدتنا وتحللت قوتنا وحل بيننا الخصام محل الوئام والتدابر مكان التآلف ، وأصبحنا لقمة سائغة لا تغص بها الحلوق ، وغنيمة سهلة لا تكلف النهازين المستغلين عناء ولامشقة .

لماذا لا نلتمس الدواء من ماضينا ؟ ولماذا لا نصلح آخر هذه الأمة بما صلح به حال أولها ؟

إن عبر الحياة وأحداثها ناطقة بأن العماد الذى تقوم عليه الدول وتحيا به الشعوب عزيزة الجانب منيعة السلطان نافذة الكلمة ، هو الوحدة : وحدة الجهود ، وحدة المشاعر ، وحدة القلوب وحدة الأهداف والغايات . كما أن التفكك والانحلال واضمحلال الشخصية وفناء المقومات وضياع النفوذ وانهيار السلطان لايتسرب إليها إلا من قبيل الفرقة والتنازع ، ومن هنا حرص الإسلام أشد الحرص على تأكيد الوفاق فى نفوس الناس ، وأنذر المتنازعين بالفشل وذهاب الريح .

مكتبتنا العربية

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » . . « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » . « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » .

فإذا اتحدت الأمة وتآلفت فيها القلوب وتآخت النفوس ، وعاشت متماسكة مترابطة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، استطاعت فى سهولة ويسر أن تعمل وأن تنتج وأن تخيف العدو الطامع وترهب الخصم المساور ، وتسير فى موكب الحياة شامخة سعيدة لا يشغلها توزع النفوس بالخصومات الفاجرة ولا اشتعال القلوب بالأحقاد الثائرة . ولا نزوع الناس إلى الانتقام الغادر .

إذا اتحدت الأمة صفت النفوس من المواجد والأضغان ، وطهرت القلوب من الحسد والتباغض ، وشعر كل فرد بأنه عضو فى هذا الجسد القوى يجب أن يصونه ويحافظ على سلامته .

ولقد ضرب الرسول الأكرم صلوات الله المثل الرائع فى هذا المعنى ليقتدى به كل من يريد أن ينجح فى دعوته ويوفق فى رسالته ، فإنه حين جهر بالدعوة وصدع بأمر ربه لم يغفل المعنى الذى تقوم به الجماعات وينجح به الدعاة . لم يغفل الرابطة التى يجب أن تقوى بين المجاهدين وتتوثق بين العاملين . بل ألف بين قلوب لم تكن تعرف الألفة ، وآخى بين نفوس طالما تمردت على الإخاء ، وربط بالحب بين أفئدة أنكرت الحب حقبا متطاولة من الزمان ، وجعل المسلم يؤمن حقيقة أنه أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ويحب له ما يحب لنفسه .

ولما دخل المدينة قضى على كل ما كان يتسعر فيها من فتنة ، وينشب بين قبائلها من عداوات مد مرة ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وجعل المتخاصمين المتدابرين من الأوس والخزرج جسما واحدا وقلبا واحدا وكتلة واحدة يظلها الحب ويكتنفها الإخاء . فلم يقدر أن يطمع فيهم عدو ولا أن يمشى بين صفوفهم دخيل ، ولم يستطع غريب أن ينقض عليهم دعوتهم أو يكيد لهم فى صفوفهم . وحذرهم أشد التحذير من أن يصيخوا إلى دعاة الفرقة ، وأبواق الشتات الذين يبغون فيهم الفتنة . « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » .

أليست بين أيدينا هذه العظات البالغة هادية لامعة ؟ ألسنا نعتز بأننا سلالة هذه الصفوة التى عرفت ربها فنصرها ، وأعزت دينها فأعزها ، وقامت بحقه فأمدها بالعون والنصر والتأييد . ؟ بلى ولكننا استسلمنا لما يتردد فى نفوسنا من شهوات طاغية ، وخضعنا لما

مكتبتنا العربية

يستبد بنا من أهواء متبعة ودنيا مؤثرة وأطماع خلابة ورغبات متقدة فى اللذة والاستمتاع ، استسلمنا للشياطين المضلة التى توسوس فى صدورنا بالتفرق وتصدع الشمل ، وتدعونا إلى الكيد والختل والتباغض والتحاسد . ومن العجب أننا نقف بعد ذلك متباكين متصايحين .

تمر بنا صور الحياة فلا نأخذ منها العبرة ، وتطوف أحداث الوجود فلا ننتبه إلا على القوارع المدوية والصيحات المجلجلة ، فإذا استفقنا من الغاشية واستيقظنا من السبات العميق وجدنا الركب قد سار ونحن خلف القافلة ، ووجدنا الدنيا كلها مشغولة بالكفاح والعمل ، ونحن ما زلنا ننفض عن عيوننا غبار النوم والكسل .

يجب أن نشق هذه الصدور وأن نغسلها من إدران الضغن والموجدة ، يجب أن نطهرها من الأطماع التى ألحت عليها فأظلمتها ودنست أرجاءها وجوانبها . يجب أن نعودها الطهر والمحبة فقد تعبت من طول ما كرهت ، وشقيت من كثرة ماعانت من البغض والخصام .

لقد جرب الناس الخلاف والشقاق فلم يحصلوا إلا على الضنى والعذاب والشقاء المقيم ، وجربوا العكوف على الشهوات والإقبال على اللذات والحرص على المطامع والغايات ، وجربوا الإثم والعصيان والبعد عن الله والاقبال على الدنيا . أفما آن لهم أن يجربوا الطاعة الخالصة والاخوة الطاهرة والحب فى الله ؟ « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » .

إن العدو لا يأتى المسلمين من قلة عدد ، إنما يهدم بناءهم ويمزق وحدتهم ويفرق جمعهم ويشتت صفوفهم بتنابذهم واختلافهم ، وتفرقهم فى الأهواء والمشارب ، وتوزعهم فى الاغراض والمطامع . فما أحوج المسلمين فى هذه الفترة العصيبة إلى أن يوحدوا صفوفهم ويربطوا بين قلوبهم برباط الإخاء والحب حتى يخرجوا من هذه المعركة الحامية فائزين منتصرين .

عبد الحميد محمود السلوت
المدرس فى كلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

تطهير الأداة الحكومية في تاريخ الإسلام

— ٣ —

العدل فى الحكم :

يقول الله عز وجل : « إن الله يأمر بالعدل » ، ويأمر سبحانه وتعالى : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ، وفى الحديث الشريف : « يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة » .

ولقد كان (الخليفة) يفتح قلبه للشاكين من عماله ، وهو ما يعرف اليوم بالشكوى « بالطريق الإدارى » .

أخرج الطبرى فى التاريخ [١] عن أبى فرامن قال : خطب عمر بن الخطاب فقال : يأيها الناس إنى والله ما أرسل إليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكنى أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فعل به شىء سوى ذلك فليرفعه إلىّ ، فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه منه . فوثب عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين أرأيتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية فأدّب بعض رعيته ، إنك لتقصه منه ؟؟ قال : إى والذى نفس عمر بيده ، إذن لأقصنه منه ، وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه ؟؟ ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجمروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم .

ولقد اعتزم عمر رضى الله عنه رحلة يجوس فيها خلال ديار الإسلام بنفسه ليتفقد أحوالهم ويتسمع شكواهم ، فقال : « لئن عشت إن شاء الله لأسيرن فى الرعية حولا ، فإنى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونى ، أما عمالهم فلا يرفعونها إلى ، وأما هم فلا يصلون إلى . فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين ، والله لنعم الحول هذا » [٢] .

---

(١) ج ٥ (طبعة الحسينية) ص ١٩ - ٢٠ (٢) الطبرى ج ٥ ص ١٨ .

مكتبتنا العربية

ولقد كان الفقه الدستورى القديم فى الغرب يرتضى من العدل صورة سلبية تكفى فى منع الحاكم من الاعتداء على حقوق الفرد ، ولكن الفقه الدستورى الآن لا يقنع إلا باتجاه إيجابى يلزم الحاكم فيه أن يهيىء الظروف للفرد كى يمارس حقوقه . فنصت وثيقة حقوق الإنسان الأخيرة الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة ، مثلا ، على ما لم تتضمنه سابقتها وليدة الثورة الفرنسية ، ففى المواد ٢١ : ٢٤ نُصَّ على حق كل فرد فى أن يجد عملا بشروط عادلة وأجر مجزٍ ، وفى حمايته من البطالة ، وفى تكوين نقابات ، كما نص على حقه فى الغذاء والمسكن والعلاج الطبى والتمتع بمستوى اجتماعى يضمن له ولأسرته الراحة فى الحياة ، والضمان ضد البطالة والمرض والعجز والشيخوخة .

والإسلام قد قرر هذا العدل الاجتماعى ووجّه إلى هذه النزعة الإيجابية قبل أربعة عشر قرناً . روى أحمد والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة عن الرسول ﷺ « ما من مؤمن إلا وأنا أولى به فى الدنيا والآخرة . اقرءوا إن شئتم قول الله : النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم . فأيما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، ومن ترك دَيْناً أو ضياعاً فليأتنى فأنا مولاه » - رواية البخارى . ولقد جاء فى صحيح البخارى وغيره من كتب الحديث أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ يطلب إليه أن ينظر فى أمره لأنه خال من وسائل الكسب ولا شىء عنده يستعين به على القوت . فدعا الرسول ﷺ بقدوم ودعا بيد من خشب سواها بنفسه ووضعها فيها ، ثم دفعها للرجل وأمره أن يذهب إلى مكان عينه له ليعمل لكسب قوته ، وطلب إليه أن يعود بعد أيام ليخبره بحاله ، فعاد الرجل يذكر حسن حاله ويشكر رسول الله عليه الصلاة والسلام . وفى هذا أبلغ دلالة على التزام الدولة التزاماً إيجابياً بكفالة الحقوق الاجتماعية . ولقد ندب الغزالى فى « الإحياء » ولى الأمر أن يزود العامل بآلة العمل ، فللنجار آلة النجارين ، وللحداد مثل ذلك وهكذا [١] .

وكتب خالد بعد فتح العراق « . . . . أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام » .

---

(١) فى هذا تفصيل فى كتاب [الاسلام : لا شيوعية ولا رأسمالية] للاستاذ البهى الخولى صفحة ٧٠ وما بعدها .

مكتبتنا العربية

ومرة ثانية نقول : هكذا كان يحكم المسلمون دولتهم ، ويرعون رعيتهم ولو كانوا على غير دينهم !!!

وحين تلقى عمر شكاية يهودى طاعن فى السن يسأل الناس ليفى بالجزية والحاجة فى شيخوخته ، لم يرفض عمر الشكوى « شكلا » لأنها خارجة عن الاختصاص ، فلم تكتف دولة الإسلام قط بالاتجاه السلبى الذى يقنع بحماية الحقوق من العدوان ، دون العمل على تهيئة السبيل للتمتع بهذه الحقوق . ولذلك بادر عمر بالفرض للشيخ الذمى من بيت مال المسلمين قائلا : « ما أنصفناك . أكلنا شبيبتك وتركناك عن الشيخوخة » !! ووضع عنه الجزية [1] . وعمر أيضاً هو الذى راعى أن يكون الأجر مجزياً ، حين رفض أن يقيم الحد على خادم يجيعه من يعمل عندهم .

ولقد عرف تاريخ الإسلام « القضاء الإدارى » حيث يشكو الرعية من سوء استعمال السلطة .

فقد كانت هناك محكمة علياً هى (محكمة المظالم) ، وكانت تستأنف أمامهم الأحكام القضائية الصادرة من قضاة أول درجة ، كما كان يطعن فى القرارات الإدارية سواء بسواء ، وينقل إلينا أبو الحسن الماوردى اختصاصات هذا النوع من القضاء :

١ — النظر فى القضايا التى يقيمها الأفراد والجماعات على الولاة إذا انحرفوا عن طريق العدل والإنصاف ، وعمال الخراج إذا اشتطوا فى جمع الضرائب ، وكتاب الدواوين إذا حادوا عن إثبات أموال المسلمين بنقص أو زيادة .

٢ — النظر فى تظلم المرتزقة - أى موظفى الدولة - إذا نقصت أرزاقهم ، أو تأخر ميعاد رفعها لهم .

٣ — تنفيذ ما يعجز القاضى والمحتسب عن تنفيذه من الأحكام .

٤ — مراعات إقامة العبادات ، كالحج والأعياد والجمع والجهات[2] .

وهكذا جعلت السلطات الإدارية تحت رقابة المحاكم ، وجعلت العبادات من مهام الدولة العامة التى تسأل عنها قضائياً أمام أعلى قضاء ، ذلك أن دولة الإسلام دولة ربانية

---

(١) الخراج لأبى يوسف

(٢) الأحكام السلطانية ص ٧٢ - ٨١

مكتبتنا العربية

الفطرة السليمة عند ديكارت

يرى ديكارت أن الفطرة السليمة ملكة قادرة على تمييز الحق من الباطل وعلى الاهتداء إلى الحق ، فهى — بعد — لم تحجب فيها بذور المعرفة بالأخطاء . فمن يرد تقرير شيء محقق فى العلوم يجب أن يبدأ من جديد ، فيطرح جانباً كل ماعلق بذهنه من معارف ، ويشك فى جميع مناهج العلوم وأساليبها ، مثله فى ذلك مثل البنّاء يزيل الأنقاض ، ويحفر الأرض ، حتى يصل إلى الصخر الذى يقيم عليه بناءه . وأساسنا هنا ، هو الفطرة السليمة مجردة وخالصة من كل شائبة .

والفطرة السليمة ، واحدة فى جميع الناس ، مقسمة بينهم بالتساوى ، ومحتوية على بذور المعرفة ، وليست صفحة بيضاء كما تصور المدرسيون . فهى تملك بالقوة — منذ البداية — ما سيكون — بعد — فى الفكر بالفعل .

وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت الفطرة السليمة واحدة فى كل الناس ، فما هو السبب فى اختلاف آرائنا ، وتشعب وجهات نظرنا ؟ إن السبب ، جد بسيط : إن الاختلاف ينشأ من توجيه الأفكار إلى وجهات مختلفة ، وعدم اتحاد نظرات كل منا إلى الأشياء . فليس يكفى

عبادية ، تقوم على رسالة لها شعائرها ودعائمها التى تميز شخصيتها . هذه الرسالة هى أن « عبادة الناس لله ، التى قامت عليها الأديان المنزلة ، هى القاعدة الرشيدة التى بها تنصلح أحوال البشر فى سياستهم واجتماعياتهم واقتصادياتهم ، فإن الروح فى ظل دين الله تطمئن بعبادة ربها ، والناس حين يرجون الله واليوم الآخر تمحى من مقاييسهم « الفردية » و « النفعية » و « الإباحية » ، ويغدون مرتبطين بشرع الله ، وهو رحمة للعالمين أجمعين . فكيف لا تكون العبادات بهذه المنزلة فى أنظمة الدولة ، وهذه هى منزلتها فى فكرتها ورسالتها ؟ .

****

بهذا كانت الحكومة الإسلامية طاهرة فى جهازها لأمانة أفرادها ، مطهرة فى إدارتها لسلامة أوضاعها : عدالة فى الحكام ، وعدل فى النظام ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » .

محمد فتحى محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

مكتبتنا العربية

الفطرة السليمة عند ديكارت

يرى ديكارت أن الفطرة السليمة ملكة قادرة على تمييز الحق من الباطل وعلى الاهتداء إلى الحق ، فهى — بعد — لم تحجب فيها بذور المعرفة بالأخطاء . فمن يرد تقرير شيء محقق فى العلوم يجب أن يبدأ من جديد ، فيطرح جانباً كل ماعلق بذهنه من معارف ، ويشك فى جميع مناهج العلوم وأساليبها ، مثله فى ذلك مثل البنّاء يزيل الأنقاض ، ويحفر الأرض ، حتى يصل إلى الصخر الذى يقيم عليه بناءه . وأساسنا هنا ، هو الفطرة السليمة مجردة وخالصة من كل شائبة .

والفطرة السليمة ، واحدة فى جميع الناس ، مقسمة بينهم بالتساوى ، ومحتوية على بذور المعرفة ، وليست صفحة بيضاء كما تصور المدرسيون . فهى تملك بالقوة — منذ البداية — ما سيكون — بعد — فى الفكر بالفعل .

وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت الفطرة السليمة واحدة فى كل الناس ، فما هو السبب فى اختلاف آرائنا ، وتشعب وجهات نظرنا ؟ إن السبب ، جد بسيط : إن الاختلاف ينشأ من توجيه الأفكار إلى وجهات مختلفة ، وعدم اتحاد نظرات كل منا إلى الأشياء . فليس يكفى

عبادية ، تقوم على رسالة لها شعائرها ودعائمها التى تميز شخصيتها . هذه الرسالة هى أن « عبادة الناس لله ، التى قامت عليها الأديان المنزلة ، هى القاعدة الرشيدة التى بها تنصلح أحوال البشر فى سياستهم واجتماعياتهم واقتصادياتهم ، فإن الروح فى ظل دين الله تطمئن بعبادة ربها ، والناس حين يرجون الله واليوم الآخر تمحى من مقاييسهم « الفردية » و « النفعية » و « الإباحية » ، ويغدون مرتبطين بشرع الله ، وهو رحمة للعالمين أجمعين . فكيف لا تكون العبادات بهذه المنزلة فى أنظمة الدولة ، وهذه هى منزلتها فى فكرتها ورسالتها ؟ .

****

بهذا كانت الحكومة الإسلامية طاهرة فى جهازها لأمانة أفرادها ، مطهرة فى إدارتها لسلامة أوضاعها : عدالة فى الحكام ، وعدل فى النظام ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » .

محمد فتحى محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

مكتبتنا العربية

إذن أن يكون للمرء فطرة سليمة بل أن يحسن استخدامها . والتسرع فى الأحكام ، سبب آخر من أسباب اختلاف الآراء .

فالفطرة السليمة صادقة بطبيعتها ، ووجودها معلوم قبل أى وجود ، وكذا علمها أوضح من علم أى وجود ، فهو قائم على البداهة ويهدينا إليه النور الفطرى . ذلك النور الذى تحجبه آثار المجتمع والأخطاء الكثيرة التى تكدست أمامه . فالعلم إذن هو ما اشتملت عليه النفس وما عدا ذلك يعد وهماً خادعاً . وإذا نحن استمعنا إلى صوت الطبيعة فينا تبين لنا الصواب من الخطأ ، وفعلنا ما فعله « أودكس » ذلك الرجل ذو الفهم العادى الذى لم تفسد أحكامه بالاعتقادات الباطلة ، والذى لا تزال فطرته السليمة على حال نقائها الطبيعى .

وما دامت الفطرة السليمة واحدة فى كل الناس ، وأن السبب فى اختلاف مراتب اليقين بين العلوم هو اختلاف المناهج التى يسلكها الباحثون ، أيقن ديكارت أنه لو اتبع كل باحث المنهج الرياضى لبلغت نتائج العلوم حالة مستقرة ثابتة . وانتفى اختلاف العلماء ومجادلاتهم .

وأساس المنهج الرياضى هو الاستنباط ، وتسبقه عملية أخرى هى الحدس ، الذى به يستطيع كل إنسان أن يرى بالبداهة أنه موجود وأنه يفكر ، وأن المثلث محدود بثلاثة خطوط ، وما إلى ذلك من الحقائق المماثلة .

ويضع ديكارت أربع قواعد لتدبير العقل هى : اليقين ، والتحليل ، والتأليف ، والإحصاء التام . أما اليقين فهو « ألا يقبل المرء شيئاً على أنه حق ، ما لم يعرف يقينا أنه كذلك ، فينبغى أن يتجنب التهور والسبق إلى الحكم قبل النظر ؛ وألا يدخل فى أحكامه إلا ما يتمثل أمام عقله فى وضوح ، بحيث لا يكون لديه أى مجال لوضعه موضع الشك » . فالتهور ، إذن ، أحد مصادر الخطأ عند ديكارت ، وهو عبارة عن الجزم بحكم قبل تبين وجه اليقين فيه ، وتصديق النتائج قبل تحقيق المقدمات .

وأما التحليل فهو أن « ينبغى للمرء أن يجزئ كل مشكلة يريد فحصها إلى أكثر ما يمكن من الأجزاء ليتسنى له حلها على أحسن وجه مرضى » ، فعليه أن يرجع إلى الحقائق الفطرية على حال نقاوتها الأولى وبساطتها ، فهى « كامنة كمون النار فى الحجر الصوان » .

والتأليف هو أن « يسير المرء أفكاره بنظام بادئا بأبسط الأمور وأسهلها معرفة ، ثم يتدرج قليلا قليلا حتى يصل إلى حقيقة أكثر تركيبا ، ويفرض — أحيانا — ترتيبا بين الأمور التى لا يسبق بعضها البعض الآخر بالطبع » .

مكتبتنا العربية

أما الإحصاء التام فهو : « أن يعمل المرء فى كل الأحوال إحصاءات كاملة ومراجعات شاملة ليكون على ثقة من أنه لم يغفل شيئا » . والغرض من هذه القاعدة واضح الفائدة فيها يكمل العلم ، وذلك بالمرور — بحركة فكرية متصلة — على كل الموضوعات التى تتصل به ، والإحاطة بها فى إحصاء كاف منهجى .

وهذه القواعد الديكارتية التى وضعت لتدبير العقل تضيف صاحبها إلى طائفة الفلاسفة الاسميين ، الذين ظهروا فى القرن الرابع عشر ، واعتبروا التجربة أساسا للمعرفة ، فكانوا بذلك أول الخارجين على فلسفة أرسطو . فالمعانى الكلية — فى نظره — أسماء جوفاء ، ويجب الاستعاضة عنها بتلك الطبائع البسيطة وعن منطق أرسطو بمناهج الرياضيين .

يلزم من ذلك أن ليس هناك حقائق منطقية ضرورية ولا أحكام مطلقة ، ويكون لدينا سبب آخر للشك فى العقل شكا حقيقيا لا منهجيا . ويستبعد ديكارت بالفعل الحكم الارسطى مثل أسناد محمول إلى موضوع أو وصف شيء بشيء ، ويستعيض عنه بمعنى آخر هو « أن الحكم اعتقاد الإرادة بوجود خارجى لموضوع فكرة ما » ، فليس فى العقل سوى الطبائع البسيطة يضم بعضها إلى بعض أو يفصل بعضها من بعض وليس فى العلم سوى « قوانين » . فالإرادة هى أساس المعرفة عند ديكارت ، ولا يقع الخطأ على الحقيقة ذاتها بل يأتى من الحكم عليها . ويشبه أبو الفلسفة الحديثة فى هذا أفلاطون والأبيقوريين فى مثلهم المشهور وهو أنه إذا رأى إنسان الشمس فى حجم التفاحة فليس هذا خطأ بل الخطأ هو الحكم بأنها كذلك ، أى أن الخطأ يأتى من تدخل الارادة . . . ينتج من هذا أن الأحكام عند ديكارت تتكون من عنصرين : ملكة الذهن التى ترى الصورة الذهنية وتتبينها ، وملكة الارادة التى توافق أو ترفض هذه الصورة الذهنية ... فالذهن المحدود قد يرى الصور الذهنية على غير حقيقتها ، وتسرّع الارادة فى الحكم بأنها كذلك قبل التأمل فى الحقيقة هو الذى يوقعنا فى الخطأ .

وهناك موضوع آخر يعرض للذهن حين يكتب المرء عن الفطرة السليمة ، هذا الموضوع هو النفس . فالطبيعة الإنسانية مؤلفة من نفس وجسم وهما جوهران متضادان بل متمايزان فالنفس روح بسيط مفكر . والجسم امتداد قابل للقسمة ، وقد يشك الإنسان فى وجود جسمه والأجسام جميعاً دون أن يتأثر بذلك الشك وجود فكره ونفسه ، ولم يسبق ديكارت أحد فى هذا البرهان من الفلاسفة اليونانيين الذين قالوا بتمايز النفس عن البدن ، وإن سبقه الفيلسوف الإسلامى ابن سينا فى كتابه الإشارات حين قال : « ولو توهمت ذاتك قد خلقت

مكتبتنا العربية

أول خلقتها صحيحة العقل ، والهيئة وفرض أنها على الجملة من الوضع والهيئة بحيث لا تبصر أجزاءها ولا تلابس أعضاءها بل هى منفرجة ومعلقة لحظة ما فى هواء طلق ، وجدتها قد غفلت عن كل شيء إلا عن ثبوت إنيتها » ، ويرجح أن يكون ديكارت قد اطلع على ترجمة الإشارات اللاتينية .

ولكن ، كيف يفسر قوله باتحاد النفس والجسم اتحادا جوهريا ، مع ماذكرناه قبلا من تمييز النفس والجسم إلى حد التضاد ؟ . . . الواقع أنه يذعن هنا مكرهاً بشهادة الوجدان ، وأن مذهبه ثنائى لا يطيق الوحدة بحال ، فهو فى مواضع كثيرة يتكلم عن النفس والجسم كأن النفس حالة فى الجسم بمجرد حلول ، وهو يعين لها مكانا ممتازاً هو الغدة الصنوبرية ، حيث تقوم بوظائفها ، فكلما أرادت شيئاً حركت الغدة المتحدة بها الحركة المطلوبة ، لإحداث الفعل المتعلق بتلك الإرادة ، أما الجسم فيؤثر فى النفس بأن يبلغ إليها الحركات الواقعة عليه والحادثة فيه فتترجمها هى ألوانا وأصواتاً وروائح وطعوما ورغبات وآلاما ، هكذا رتب الله الأمور لخير الانسان وحفظ كيانه .

يلجأ ديكارت إذن إلى « الله » ليتوج به مذهبه إذ « لا يلوح أن باستطاعة العقل الإنسانى أن يتصور بجلاء وفى نفس الوقت تمايز النفس والجسم واتحادهما ، إذ أن ذلك يقتضى تصورهما شيئاً واحداً وشيئين ، وهذا تناقض » .

يظهر مما تقدم ، أن ديكارت قد حرر العقل من سلطان الوجود ، وأعلن أن الفكر يكفى نفسه ولا يخضع لشيء سواه ، فالعقل فى ذاته هو القانون الأكبر والأوحد « لا يسلم بشيء إلا أن يعلم أنه حق » أى إلا أن يعقله هو ويركبه بأفكار واضحة جلية هى فى الواقع أفكار سهلة ، فإن استعصى عليه شيء أنكره .

وديكارت بذلك قد قلب الوضع الطبيعى الذى يجعل العقل الإنسانى تابعاً للوجود ، ومحتاجاً إلى التعلم ، وأقام الفردية على أساس فلسفى ، وكانت من قبل أقرب إلى التمرد منها إلى الحق ، تلك الفردية التى تجعل الشخص يظن نفسه أهلا للحكم على الأشياء ، كأن ليس هناك عقول غير عقله ، ويجعل من نفسه أيضاً مركزاً تدور حوله الأسرة والمجتمع ، فتورث بذلك الفوضى العقلية والاجتماعية .

سعيد زايد

مكتبتنا العربية

نظم الحكم فى الشرق

نظم الحكم القائمة الآن فى الشرق الإسلامى نظم تجافى طبع الشرق الروحى ، ولا تتفق مع مقررات الإسلام فى الحكم والقيادة الخيرة الرشيدة ، هى نظم تلقفها المخدوعون من بنى الشرق المسلم عن الغربيين ليحكموا بها بلاد المسلمين ، وغاب عن هؤلاء المخدوعين أن الغربيين عند ما يهرتهم مبادىء الإسلام فى الحكم ، تعلقوا بها واستمدوا منها كل ما يقوم مجتمعهم المنحل فى السياسة والاجتماع والاقتصاد : هذه المبادىء التى تضع الأمة فى المحل الأرفع ، وتضع فى قبضتها كل مقدرات الحكم ، إذ هى تعين حكامها عن رضى واختيار ، من ذوى الكفاية والإيمان والصلاحية ، ولها ، بل عليها أن تراقب تصرفات الحكام ، ولها حق إمضائها أو تعديلها أو إلغائها ، ولها أن تقوم الحاكم إذا اعوج ، وتسدده بالنصح إن أخطأ ، وتحمله على الجادة إن مال أو جنح ، ولها عزله إذا لم يرعو لناصح ، ولج فى عتوه وفجوره ، واتصلت حلقات ظلمه ، فإن أبى الاستقامة على المحجة والعدالة ورفض أن يعتزل ، عزلته بقوة السلاح ونصب الحرب له ، ما دامت ترى ذلك فى مصلحتها .

ولا غرو ، فالحكم فى الإسلام خدمة عامة ، لا سيادة على العامة ، والحاكم مجرد وكيل عن الأمة فى القيام بقيادتها وتدبير مصالحها ، ومباشرة كل سلطاتها التى لا تستطيع الأمة أن تقوم بها مجتمعة ، وبالضرورة ليس للوكيل سيادة على الموكل ، ولا من حقه الافتيات عليه ، واغتصاب حقه ، أو استعباده واستغلاله ، ضرورة أنه خادم رفيع الشأن له أجر خدمته ، وبالجملة فقد وضع الإسلام أنظمة الأمة فوق رأس الحاكم ، وسلطها عليه ، وكلفها بمراقبته وقرر مسئوليتها عن كل تصرفاته [1] .

وجد الغربيون ذلك وأكثر منه فى الإسلام ، فأدركوا سر قوته ، وسر قوة المسلمين الذين يتبعون شرعيته بإحسان ، وآمنوا بأن نهضتهم ، وإصلاح مجتمعهم ، مقرونان بالعمل بهذه المبادىء القويمة .

---

(١) راجع بحوثنا [الفقه السياسى للاسلام] فى أعداد السنتين الماضيتين من هذه المجلة .

مكتبتنا العربية

ولكن ليس دن المستساغ عند أوربا المسيحية المتعصبة ، أن تنقل إليها مبادىء الإسلام على أنها مبادىء الإسلام ، وإلا كان ذلك كفراً ، أو إلحاداً على الأقل ، فى نظر رجال الكنيسة والعامة الذين يتأثرون بهم ، ولم يقف ذلك فى وجه المفكرين من رجال العلم السياسى والدستورى ، الذين وجدوا منقذاً لهم فى نظرية التعاقد الإغريقية التى تقرر أن الحكم فى الأصل تعاقد بين الحاكم والمحكومين ـ على وجه ما من أوجه التعاقد ـ ؛ وهنا دسوا مبادىء الإسلام القوية ، فى نظريات التعاقد ، بل هم فى الواقع خلقوا بها نظريات تعاقدية جديدة ويظهر ذلك بوضوح فى فلسفات السياسيين المتحررين الذين دعوا إلى هدم الملكية القائمة فى بلادهم كنظام للحكم ثبت فساده وظلمه ، وخلقه للمشاكل بين المحكومين ، وتفريق وحدتهم بجعلهم طبقات يتمايز بعضها على بعض بالألقاب والأحساب ، ويجعل الشرف وراثياً ، لادخل لعمل الشخص وسلوكه فى تحصيله ؛ ونخص بالذكر من هؤلاء الفلاسفة المتحررين « روسو » الفرنسى صاحب كتاب « العقد الاجتماعى » الذى قرر : أن الأمة هى مصدر السلطات ، وهى سيدة الحاكم الذى يستمد منها قوته وعزته وسلطانه ؛ ثم يقرر فى نفس الكتاب : « أن محمداً قد أقام نظاما سياسيا بارعا لحكم دولته ، وقد كان ذلك سر قوة خلفائه الذين اتبعوه فى حكم المسلمين ما داموا ملتزمين لنظامه » . ولو علم أولئك المخدوعون أن مبادىء « روسو » التى حطمت عرش البربون ، مبادىء قاصرة بالنسبة لمبادىء الإسلام الحقيقية فى الحكم على الأقل لأن « روسو » يعتبر أن أفراد الأمة قد تنازلوا عن شىء من حرياتهم وحقوقهم ليجعلوا من مجموع هذه « التنازليات » سلطة ممتازة للحاكم . بينما الإسلام لم يعترف بشىء من هذا التنازل إطلاقا ، إذ التعاقد فيه قائم على أساس الوكالة ، فالحاكم وكيل خاضع لسلطان الأصيل ، وسيادة الموكل على وكيله ثابتة ، والحاكم خادم للأمة لا سيد عليها ، وشرط دوام حكمه ، أن يتوجه به إلى صالح المحكومين ؛ فإن جعل نفسه سيدا ، أو وجه الحكم لصالحه وصالح خواصه ، فسد الحكم ، وزالت عنه صفة الوكالة ، أو أزيلت عنه . وفى هذا يقول عمر رضى الله عنه : « مثلى ومثلكم كمثل والى اليتيم منه ومن ماله . . » وواضح أن ولى اليتيم لا سيادة له عليه ، ولا ماله ، وإنما هو راع وموجه للخير ، وناصح أمين ، يأخذ أجر رعايته وتنميته للمال إن كان فقيرا ، وعمر أيضاً هو القائل : « إن من استرعاه الله على المسلمين فقد وجب عليه ما يجب على العبد لسيده » الخ

مكتبتنا العربية

أقول : لو علم المخدوعون بالغرب من رجالنا ما فى مبادىء الإسلام من قوة وجمال وحيطة لصالح الشعوب ، لسعوا إلى الإسلام وينابيعه الصافية الطاهرة قبل أن يذهبوا إلى الاستجداء من موائد الغربيين وهى من فتات موائد الإسلام ! ولكنه الجهل بالإسلام ، وحب تقليد أهل المدنية . .

وإن من أهم ما يشترطه الإسلام لصلاحية الحكم قيام الانسجام بين الحاكم والمحكوم ، وتحقيق التجاوب العاطفى بينهما ، وتبادل الشعور بمسئولية كل منهما عن الآخر ، فإذا لم يكن هناك توافق وانسجام بين الحاكم والمحكومين ، وإذا لم يتحقق التجاوب العاطفى بينهما ، وإذا فقد الطرفان الشعور بالاشتراك فى المسئولية عن الصالح العام للدولة ، فسد الحكم وتوزعت الميول ، وتعددت الأهداف ، فيستبد الحاكم بالحكم ، ويحقد المحكوم على الحاكم ومن هنا تقوم الثورات نتيجة لفساد الحكم وضياع الغاية منه ، وهى تحقيق الصالح العام للدين والدولة ؛ ولهذا أوجب الإسلام التضامن الجماعى بين كل فرد وفرد وبين كل فرد والجماعة ، وحمل كلاهما من مسئولية الحكم مثل ما يحتمله الآخر . وفى ذلك جاء قول الرسول الكريم صلوات الله عليه : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ، ويحبونكم ، وتصلون عليهم ، ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » وقوله : « من ولى من أمور المسلمين شيئاً ثم لم يحطهم بنصحه ، كما يحوط أهل بيته ، فليتبوأ مقعده من النار » .

ولتحقيق الانسجام بين الحاكم والمحكوم ، يجب أن يكون الحاكم واحداً من الشعب الذى يراد حكمه ، غير غريب عنه ، لأن ابن الشعب أعرف بتقاليده ، وأدرى بمصالحه ، وهو أعطف عليه من الغريب ، وهو أرحم به منه ، لأن الغريب لا يهمه من الشعب إلا أن يحكمه ، ويستعبده ، ويستغل كل إمكانياته ؛ ثم إن همة الغريب عن الشعب تتجه حتما إلى تدعيم حكمه ، وتثبيت مركزه . واصطناع الأعوان والأنصار ، ولا يتأتى له ذلك إلا بتفرقة وحدة الشعب ، وضرب بعض المحكومين ببعض ، وغالباً ما يضحى بمصلحة الدولة والصالح العام فى سبيل الوصول إلى غايته هذه ؛ وكثيراً ما يعتمد الرشوة وشراء الذمم ، فتفسد الأخلاق تبعاً لفساد الحكم ، ولا يهم الحاكم الغريب كل هذا ما دام يسيطر على الجميع ! .

وإلى هذا المبدأ الجميل يرشد القرآن الكريم عن طريق الإيحاء ، فالقرآن يتحدث عن

مكتبتنا العربية

أولى الأمر فيقول : « . . . أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » . ولما كان الحاكم معدوداً من أولى الأمر فى نظر العلماء، وجب أن يكون من المحكومين ، وهذه إشارة قوية لها دلالتها ، ولقد كان المسلمون الأولون يتركون حكم الأقاليم لأهلها ، ويكتفون بالأشراف العام ، ومراعاة تنفيذ أحكام الإسلام .

ولدينا إشارة إرشادية تعليمية ، فيما قصه الله علينا من أنباء الرسل عليهم السلام « وإلى عاد أخاهم هوداً » ، « وإلى ثمود أخاهم صالحاً » ، « وإلى مدين أخاهم شعيباً » ، « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين » . هذه سنة الله فى إرسال الرسل . وهم الهداة المعصومون ، المرعيون بعناية الله ، وتأييد الوحى . وقد اقتضت حكمته جل شأنه أن يختار الرسل من أبناء الشعوب الذين يرسلهم إليها ، لأنهم أعرف بأحوالها ، وأدخل من غيرهم على عواطفها ، والرسل قادة ربانيون ، ونماذج يبعثهم الله للاقتداء بهم وجرياً على هذه السنة الربانية فى اختيار الرسل يجب أن يكون حكام كل شعب من الشعب نفسه ، لأن ذلك أدنى إلى تحقيق المصلحة ، وأوقع فى نفوس المحكومين ، وهو طريق تحقيق الانسجام والتفاعل الوجدانى بين الشعب وحاكمه .

وكذلك يجب أن يكون الحاكم مؤمناً بما تؤمن به أغلبية المحكومين ، ليتوحد الهدف ، وتتماثل الميول ، وتتجه فى اتجاه واحد ، وعندئذ يمكن التعاون بين طرفى الحكم فى سبيل تحقيق صوالح المجموعة كلها ؛ وتوفير أكبر قسط من السعادة للمحكومين وهو هدف الحكم .

فإذا كان الحاكم غير مؤمن بما تؤمن به الأغلبية ، كأن يأتى مثلا من صفوف الأقلية أياً كان لونها ؛ أو كان مؤمناً بمالا تؤمن به الأغلبية ، فإن حكمه لا بد أن يكون قائما على التجبر والقهر وكبت الحريات ، وإشاعة المظالم ، مضيعا لحقوق الشعب ، اعتماداً على بطش السيوف ، وضغط الحديد والنار ، وزحمة الجيوش .

ومثل هذا النوع من الحكم الذى ينعدم فيه الانسجام والتعاطف بين الحاكم والمحكومين حكم فاسد لا يقره الإسلام بأى حال من الأحوال ؛ إذ الحكم فى الإسلام - كما قررنا من قبل - خدمة عامة ، تهدف إلى تحقيق أكبر قسط من السعادة للمحكومين : وطريقه الحق

مكتبتنا العربية

والعدل ، وهو يعتمد على الإيمان العميق بمقدسات واحدة ، يلتزم ما تفرضه الحاكم والمحكوم على السواء ؛ ثم هو يستند إلى التقاء القلوب على حب الخير للجميع ، وقوة التعاطف الأخوى فى ظلال الشعور بالمسئولية المشتركة عن صالح الدين والدولة ...

وطبعى أن الحكم فى الشرق الإسلامى لا يقوم على هذا النمط الإسلامى ، فهو إما حكم ملكى أوتوقراطى ، أو ملكى دستورى ، أشبه بالديكتاتوريات التى تقوم على الغلبة وقوة السيف ؛ أو هذه الديكتاتوريات ، أوحكم أوليجاركى يقوم به جماعة من التجار الذين يسمون أمراء فى بعض البقاع ؛ أو حكم جمهورى ديكتاتورى ، أو حكم فى الجملة يستند إلى ما يسمى فى العصر الحديث « الديكتاتورية البرلمانية » التى يقولون إنها شر أنواع الحكم .

وفى كل لون من هذه الألوان الحكومية ، تختنق أصوات الشعوب ، وتضيع مصالحها ، وسط ضجيج الجيوش ، وجور السلطان ، وضغط المظالم ؛ ولا يتصل لون منها بأى سبب بالإسلام من قريب أو بعيد .

وقد آن لنا ـ نحن علماء المسلمين ـ أن نتحسس شيئاً من ماء الحياء فى وجوهنا ، حتى نكف عن تأييد هذه النظم الباغية ؛ وقد آن أيضاً لزعماء العلماء ، وكبار قادة الفكر الإسلامى ، أن يطلبوا فى إلحاح من المشرفين على مقدرات الحكم فى الشرق الإسلامى ـ كل فى محيطه ـ أن يديروا حكمهم على منهج إسلامى .

يا قوم : إن الوعى الإسلامى قد استوى اليوم على سوقه ، وروحه تسرى فى الشرق الإسلامى قوية ، تدفع إلى التحرر من جمود الدعاة ، وظلم الحكام ، وأقسم إن لم تسرعوا إلى العمل الجدى المنتج ليجرفنكم التيار ، وليفلتن من أيديكم الزمام ، فسارعوا إلى تحصين التحرر بالدين الصفى الخالص من شوائب الأهواء ، وأهواء الطوائف ، واهتفوا بالناس جميعا : حكموا الإسلام فى مشاكلكم وحياتكم ، فإن الشرق فى حاجة إلى حكمه الصالح ، ولقد أفلح من تزكى ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

محمود قياصه
مدرس التاريخ الإسلامى
بكلية أصول الدين

مكتبتنا العربية

ما أشبه الليلة بالبارحة

دماء مهراقة تفور فوق رمال الصحراء ، وأجسام مبعثرة تشهد على ظلم الإنسان نجوم السماء ، وأشلاء مزقتها قذائف الطغاة ، ورءوس عبثت بها الأهوال ، ونفوس شواها سعير النضال .

إنها دماء التونسيين أحفاد طارق وجند طارق ، إنها أجسام الذين أفزعت صيحات جدودهم فرنسا فتمنت فى الأرض نفقا يقيها سيوف الغزاة وبأس الغزاة ، إنها أشلاء أبناء الفاتحين الذين أترعوا لجاج الأرض عدلا وحرية .

فماذا دهى المسلمين ؟ أهم قلة حيث تداعت عليهم الأكلة ؟ أم هم كثر كغثاء السيل ؟

إن النفس لتتمزق حسرات كلما سمعت أنّات الشعوب الإسلامية وقد جرح الطغاة عزتها ، وطعن الغدر كرامتها ، وسحق البغى سلامتها وحق لها أن تتمزق ويدميها الأسف على تلك العزة الإسلامية التى انهارت فى المغرب واستسلمت للطغيان منذ قرون ، منذ هزت الدسائس والفتن عرش غرناطة رويداً رويداً ، حتى انكفأ وسقط تاج أبى عبد الله آخر ملوكها ، وخرج منها متعثراً يلم فى يده المرتعشة أذيال الخيبة ووراءه رنات الأسى تشيع ذلك الأمل المتهدم .

إن ما يعانيه المغرب اليوم صدى لأحداث الماضى البعيد ، اختفى فى غضون الزمن حيناً ليظهر عاصفاً يجتاح من لم توقظه العبر .

لقد نسى المسلمون خروج أبى عبد الله من غرناطة ووقوفه متحسرا يلقى على (الحمراء) نظرات الأسف ثم يسترجعها مبللة بالدموع .

لقد نسى المسلمون منظر أبى عبد الله حين أغمض عينيه ليعيش لحة بين ذكريات (الحمراء) وقصرها المنيف وظلها الوارف ، ثم فتحهما فإذا رماح الأعداء حوله ، وإذا السيوف تظلل رأسه التى بجها التاج ، وإذا النذر تصيح فيه : إلى صحراء المغرب ، إلى صحراء المغرب ...

مكتبتنا العربية

لقد نسى المسلمون وقفته حزيناً على تلك الصخرة التى وثب عليها طارق من قبل معتزاً بإيمانه وإيمان أصحابه الذين مزق بهم تاج (لذريق) وداس بهم لآلئه ، وقد لمعت فيها قطرات دم الشعب الأسبانى التى استنزفها الطاغية واستنزف معها حيوية شعبه ، فلما رفرفت عليهم رحمة الإسلام أعادت إليهم حيويتهم المسلوبة .

لقد نسى المسلمون وقفة أبى عبد الله على تلك الصخرة التى فقدت صلابتها تحت قدميه ، فلانت ، ثم ذابت ، فانساخ فى ذراتها ذلك الطريد الذى أسلمته ظروفه إلى حالة ، ظلمات القبر أهون منها على نفوس الآباة .

إن أمواج الزمن تحمل إلينا من أغوار الماضى البعيد تلك الصيحة التى أرسلها أبو عبد الله بين يديه إلى أحد ملوك أفريقية :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم ... رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن ... جار الزمان عليه جور منتقم
هى الليالى وقاك الله صولتها ... تصول حتى على الآساد فى الأجم
كنا ملوكا لنا فى أرضنا دول ... نمنا بها تحت أفنان من النعم
فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا ... وأى ملك بظل الملك لم ينم

حقاً لقد أيقظته مهام الردى ، وأفاق على سقوط ملكه وتداعى عرشه ، وانتبه على أجراس الكنائس تدق فتمحو صلصلتها صوت الأذان الذى دوى فى الأندلس ثمانية قرون .

لقد صك المسلمون فى الماضى البعيد أسماعهم عن صرخات النجدة وأصوات الاستغاثة التى هتف بها الأندلسيون ، فلم يستجب لهم شعب إسلامى ، ولم تتيقظ الحمية فى نفس ملك من ملوك المسلمين حين نادته الأندلس الجريحة .

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ... إن السبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست ... فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وفى بلنسية منها وقرطبة ... ماينسف النفس أو ماينزف النفسا
مدائن حلها الإشراك مبتسما ... جذلان ، وارتحل الإيمان مبتئسا

ولم يلبها أحد من أصحاب التيجان المزيفة حين دعته وأهابت به أن ينتشلها من بطش العتاه :

مكتبتنا العربية

نادتك أندلس فلب نداءها واجعل طواغيت الصليب فداءها

وهكذا أخذت تستنجد بمن ماتت فى نفوسهم حب النجدة حتى مضت من الوجود تاركة وراءها سحائب من الدموع لن تجف أبداً .

ما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أشبه المذابح التى تلطخ دماؤها أرض تونس بمذابح محاكم التفتيش فى الأندلس ، وما أشبه استنجاد مسلمى المغرب اليوم باستنجاد مسلمى الأندلس بالأمس . فهل هى صرخات ضائعة فى أودية كما ضاعت صرخات الأمس ؟ وهل ماتت أحاسيسنا ففقدنا النخوة ، وأودعنا فى بطون التاريخ القديم الشهامة والرجولة .

إن شجاعة أقلامنا حين نكتب ، وقوة منطقنا حين نخطب ، وجرأتنا فى أقطارنا على الثورة ونحن بمنأى عن رحى المعارك الدائرة ، كل ذلك لا يحسب له العدو حساباً ، وكل ذلك لا يعيد للصريع حياته ، ولا يضمد الجريح جروحه ، ولا يرد كيد الطغاة فى نحورهم .

لقد ضيع مسلمو الأمس الأندلس حين قعدوا عن الكفاح وقد استنفرتهم أخوة العقيدة وازورت أعناقهم عن تلبية ندائها وهى مثخنة بالجراح . وكأن الله عاقب الأحفاد بجريمة الأجداد ، جريمة إيثار الحياة على حب الله ، جريمة خذلان المسلم للمسلم ، جريمة السكوت على عدوان اللادينيين على أرض كانت محاريب لعباد الله ثمانية قرون .

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية وأين شاطبة أم أين جيان
قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركان
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن إلا نواقيس وصلبان
يا من لذلة قوم بعد عزهم أحال حالهم كفر وطغيان
بالأمس كانوا ملوكا فى منازلهم واليوم هم فى بلاد الكفر عبدان
يارب أم وطفل حيل بينهما كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت كأنما هى ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان فى القلب إسلام وإيمان

مكتبتنا العربية

هذه صورة أندلسية دامية يصورها أحد شعرائها فيصور ذلك الانقلاب الذى أتى على المسلمين وعلى آثار المسلمين وعلى أعراض المسلمين .

إنها صور الماضى التى ظلت حية فى التاريخ ، حتى انعكست على المغرب اليوم مكبرة تكشف عن الانسانية المعذبة بين أهوال التنكيل والعسف ، فكم من رضيع مسلم حرمته وحشية الفرنسيين صدر أمه التى جادت للموت بروحها ، وضنت على الفرنسيين بكرامتها . وكم من كهل أدمت القيود أعقابه ، وحطمت الاغلال أصلابه ، فلم يرحمه أولئك الذين أسبغ عليهم منذ سنوات رحمته .

لو أن لفرنسا ضميراً لتمزق حين رأى جنودها يتنكرون بل يقتلون من حموم وقذائف الألمان تحصدهم وأطعموهم حين استولت النازية على أقواتهم وآووهم وغوائل برد الصحراء تلتهمهم .

وأخيراً ماذا يكون موقف مسلمى اليوم من تلك الأحداث ؟ أهو موقف الاسترجاع ؟ أهو موقف القاعد الذى ينتظر دوره وهو مؤمن بأنه سيؤكل كما أكل الثور الأبيض .

أيها المسلمون ، أفيقوا قبل هبوب العاصفة ، وأجمعوا شتاتكم لتردوا عن كيانكم التآمر الدنىء ، تآمر الاطماع ، وتآمر الاستغلال ، تآمر القضاء على الحريات .

أيها المسلمون :

إن الأخوة الاسلامية هى السلاح الوحيد الذى يقضى على ذلك التآمر ، ويمزق نيات المتآمرين ، على أن تكون الأخوة قلبية تجمع بين هذه الشعوب المتباعدة الأقطار ، وتكتل قواها أمام كل من تسول له نفسه النيل من ضعيفها أو قويها .

أيها المسلمون :

إذا فاتكم أن تعيشوا فى الدنيا أعزة كراما ، فلن يفوتكم أن تموتوا بين معامع الحرب سادة أشرافا تكتبون بدمائكم الطاهرة أعظم صفحات من البطولة الخالدة .

أيها المسلمون :

إذا كانت قد أيقظتكم صيحات تونس فلتهتف قواكم وجميع ألوان أسلحتكم : لبيك يا تونس . ثم أذنوا فى الوجود : لقد تيقظنا ، ولن نسمح بعد اليوم لقوة فى الدنيا أن تمس قداسة أرضنا .

محمد خليفة

المدرس فى الأزهر

مكتبتنا العربية

الدعـــــوة
إلى عقد المؤتمر الاسلامى فى القاهرة
حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

كتب مندوب الاهرام يقول :

يعد اجتماع المؤتمر الإسلامى فى مدينة القاهرة حدثا تاريخيا له دلالته وأهميته ، ولعل أولى نتائجه أن الأمم الإسلامية سوف يتاح لها أن تجتمع فى صعيد واحد ، لتتدارس ما يعتورها أو ما كان يعتورها من مختلف العوامل لتقول كلها كلمة واحدة ، ولتضع نظاما واحداً من شأنه توحيد الجهود لمقاومة العدو المشترك ، سواء أكان هذا العدو مرضا وفقرا وجهلا ، أم كان مستعمرا يجثو فوق رءوسنا وصدورنا بعدده وعدته وخيله ورجله .

وقد رجعت إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لأقف منه على ماقد يعرض على هذا المؤتمر فى اجتماعه المقبل من امهات المشكلات المشتركة بين الأمم الاسلامية . والحق أن فضيلته قد تردد كثيرا فى إجابتى الى ما طلبت ، وذكر لى أن من الخير أن لا نتحدث عن مثل هذه المشكلات قبل أن يتخذ المؤتمرون فيها قرارا عمليا قد يكون له أثره المرتقب . ولكنى شرحت له أن هذا الاعتبار وإن كان اعتبارا له قدره إلا أنه لا يصح أن يقف حائلا دون الاعداد والتمهيد ، فقال فضيلته .

زعماء المسلمين

لقد تقرر أن يجتمع كبراء المسلمين ، وزعماؤهم فى مؤتمر عام يعقد فى القاهرة ، كما عقد فى مدينة كراتشى فى العام الماضى ، للتفاهم أو للتفكير والبحث فى « التعاون » على البر والتقوى . واستطرد فضيلته فقال متسائلا : فهل لنا أن نمهد لذلك بالتفكير فى أنفسنا ، ثم فى بحوثنا عن سبل الانتفاع الصادق بهذه الرابطة التى عقدها الله بين قلوب خمسمائة مليون مسلم على الحق والخير ، وأباح بها لهم جميعا سبل التعاون على الانتفاع بكل مافى أوطانهم من نعمة مدخرة .

إن التفكير فى ذلك من مصلحتنا ، ومن أسباب سعادتنا . ولا سيما إذا استلهمناه من روحنا الأصيلة ، ومن مبادىء ميثاقنا الأقوم ، معتبرين الأخوة التى عقدها الاسلام بيننا خطوة الى الإنسانية التى تنشدها الأمم اليوم وتتمناها ، ولكن العصبيات القومية ، والاختلافات الوطنية والتنافس على توافه المتع وسفاسف الرغائب تحول بينهم وبين ذلك .

مكتبتنا العربية

ولو وقفنا نحن إلى شيء من ذلك لضربنا المثل به لأمم الأرض ، فتستكشف بضوئه مسالكها إلى السعادة والتعاون في أسمى معانيه .

وهنا سكت فضيلته قليلا ثم عاد يقول :

المسلمون أسرة واحدة

كانت الإنسانية في بدء تكوينها أسرة واحدة ، تتعاون كما تتعاون الأسرة الواحدة ، وتتراحم كما تتراحم . ثم تكاثرت واتسعت . فطرأت عليها العصبيات والاختلافات والتنافس على توافه المتع وسفاسف الرغائب .

وما زالت هذه العصبيات والاختلافات تنمو وتستفحل حتى نشأت عنها العداوات والإحن بين الأسر ، فالمجازر والمذابح بين القبائل ، حتى إذا تمكنت الأثرة والأنانية من النفوس ، وانتقلت من القبائل إلى الشعوب ، جاء الاسلام وهذا المرض الانساني في مقياس واسع بين الروم والفرس ، فكان من أعظم رسالات الله إلى الإنسانية على لسان خاتم النبيين دعوة الأمم للرجوع بالإنسانية إلى وحدتها الأولى متآلفة بميثاق جديد ، وهو ميثاق الحق حيثما كان والخير كيفما يكون .

رسالة الاسلام

جاء الإسلام بهاتين الكلمتين ، الحق ، و ، الخير ، باسطا يده إلى أمم الأرض لا فرق بين أصفر وأحمر وأبيض وأسود ، فكل من دخل منهم في ميثاق الحق والخير ، كان أخا للداخلين فيه ، لافضل في ذلك لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بقدر مبادرته في الاستجابة لهذا الميثاق الانساني ، وتجنبه كل ما يخالفه أو يخل به .

روى الحسن بن أبي الحسن البصري ، أن خطيب قريش سهيل بن عمرو أحد بني عامر ابن لؤي ، وأبا سفيان بن حرب بن أمية ، والحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وغيرهم من أشراف قريش كانوا بباب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وكان في بابه أيضاً بعض الموالي كصهيب وبلال وغيرهما ممن شهد بدراً فخرج إذن عمر للموالي ، وأخر عنهم أولئك الأشراف ، فامتعض بعض هؤلاء وقال أبوسفيان لم أر كاليوم قط ، يأذن لهؤلاء العبيد وتركنا على بابه لا يلتفت إلينا . فقال سهيل بن عمرو وكان من ذوي أحلامهم : أيها القوم ، إني أرى والله الذي في وجوهكم ، إن كنتم غضاباً فعلى أنفسكم فاغضبوا . دعي القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم .

هذه هي أخوة الإسلام التي رفعت الضعفاء جزاء مبادرتهم في الاستجابة لدعوة الحق والخير ، وساوت بلالا وصهيباً وأمثالهما بإشراف قريش وساداتها ، بل قدمتهم عليهم .

مكتبتنا العربية

الاخاء فى الاسلام

وفى ظل هـذا الميثاق الإنسانى الأعظم كان الإسلام قد عقد الإخاء بين الاوس والخزرج ، فكانوا جميعاً أنصار هذا الحق ، ودعاة هذا الخير ، ثم عقد الإخاء بين الأنصار والمهاجرين بما لم يسبق له نظير فى تاريخ الإنسانية لما تتمناه الإنسانية من التواسى والتراحم والتعاون فى أسمى معانيها . وأن هذا المثل الإسلامى الأعلى لا يزال مضروباً للناس جميعاً - وفى مقدمتهم المسلمون - ليعودوا إليه فيعظموا به ، وليأخذوا بمبادئه فيقووا ويسعدوا .

الحق والخير من مبادىء الإنسانية الأولى فى الأزل ، وسيبقيان جديدين إلى الأبد ، وميثاق الحق والخير مدعو إلى الأخذ به كل إنسان يعرف قدر الإنسانية ، والذى يستجيب لدعوته التى نادى بها الإسلام يضمن بذلك السعادة لنفسه وذويه ، والإسلام لا يطلب منه جزاء على ذلك . وأول من ينبغى لهم أن يستجيبوا لدعوة الحق والخير وإحياء ميثاقهما هم المسلمون ، وسيجدون أنفسهم وبلادهم وأممهم بعد ذلك قد استحالت خلقاً آخر غير الذى كانت فيه .

وتعال نتساءل

وتعال نتساءل : ما بالنا نحن المسلمين لا نفكر فى ذلك ، وما بالنا لا نحسن إلى أنفسنا بالرجوع إلى مبادىء الإسلام الطيبة ، وأساليبه الحكيمة الطاهرة فى الأخوة والتعاون ، ألسنا نعلن فى كل يوم أن الناس بخير ما تعاونوا ؟

لماذا نستحسن التعاون على قروش فى مواد البقالة ، ولا نجرب التعاون على السعادة بحذافيرها فى مواد الحياة ومبادئها ؟ ! !

لقد دعانا الإسلام لنكون إخوة متعاونين ، لا على الأمور الصغيرة كفتح دكاكين البقالة وحسب فإن هـذا التعاون مطلوب بعد الإيمان بمبدأ التعاون الإسمى فيما هو أسمى من ذلك وأوسع نطاقاً وأعظم آفاقاً .

نحن الآن أمة لا يقل عددها عن خمسمائة مليون أو تزيد ، فما أقوانا وما أسعدنا لو تعاونا على كل ما نشترك فى الانتفاع به من معادن نفوسنا ومرافقنا ومدخراتنا ، وما أكثرها وأعظمها وأثمنها ! بل لماذا لا نتعاون فى آلامنا وأوصابنا ، وأوجاعنا ، وما أشدها ! وفى آمالنا لحاضرنا ومستقبلنا ، وما أوسع آفاقها !

لقد أنعم الله علينا بدولتين جديدتين مستقلتين الباكستان وأندونسيا وفيهما أكثر من ربع

مكتبتنا العربية

عدد المسلمين فى العالم ، وأنعم علينا بتطهير أرض الكنانة من أسوأ نظام وأبشعه ، وأنعم علينا باليقظة فى كل مكان ، والاستعداد للأخذ بما هو أحسن ، حتى نصل إلى الاستقرار والطمأنينة والرضا بالحق والإقبال على الخير ، وفى ميثاقنا الإنسانى الأول الذى أنعم الله به علينا فى أكرم رسالاته ما يحقق ذلك كله لنا على أتم الوجوه وأجلها ، فلماذا لا نمد يدنا إلى هذا الماء النمير العذب الصافى فنغترف منه ؟ وفى أوطاننا الإسلامية من أقصى أندونسيا إلى آخر دنيا المسلمين كل أنواع المعادن والمحصولات والمنتجات والمواد الأولية ، فلماذا لا نتعاون مع إخواننا من أهلها على تبادل هذه المنافع ، وإكمال ما ينقصنا من أوطان إخواننا الذين يكثر ذلك عندهم ؟ لماذا لا نعتبر الوطن الإسلامى وطناً واحداً فى تبادل منافعه بالحق والخير ، مع الاعتراف لأهل كل بقعة بان الأقربين لها أولى بالمعروف ، وأن عليهم أعباءها فى مقابل ذلك ، ثم علينا معاونتهم ولنا عليهم أن يكونوا فى عوننا ؟ ولماذا لا نفتح لهم قلوبنا ليفتحوا لنا قلوبهم ، وبذلك نحصل على مفاتيح الخير كلها فى السماوات والأرض ؟

ميثاق الانسانية

إن عقبة واحدة واقفة فى طريق تحقيق ذلك ، وهى أننا تناسينا ميثاق الإنسانية الذى عقدته رسالة الإسلام بين الأصفر والأحمر والأسود والأبيض ، وقد علمنا الاستعمار فى داخل فصول مدارسنا التى ننفق عليها من أموالنا بأن المسلمين أجانب عن المسلمين ، وإن الإسلام نفسه شبح مخيف يجب أن نتنكر حتى للأخلاق التى جاء يدعو إليها ، وللمثل العليا فى التاريخ التى ضربها أبطال التاريخ الإسلامى للعالم بما بنوا من أمجاد ، وبما أقاموا من حق ، وبما نشروا من دعوة الخير ، فنشأ أبناؤنا ومعاصرونا غرباء عن هذا الجو ، متخوفين من فتح نوافذهم إلى ناحيته ، ولهذا بقى المسلمون متقاطعين فيما بينهم ، ومقاطعين لميثاقهم الإنسانى الأعظم ، ومتجافين عن أخلاق دينهم التى بعث الله نبيهم ليتمم مكارمها ويجعل الإنسانية بها .

مدارسنا وروح الاسلام

وإذا كانت مدارسنا لا تحب أن تعلم هذه الأشياء لابنائنا ، فلماذا لا يقوم سليمو النية من أفاضلنا وأذكيائنا ومثقفينا بدراسة روح الإسلام من ناحيتها التعاونية والتعاملية ، ويحاولون استنباط معادن الخير منها لننتفع بها فى أزماتنا الحاضرة ؟

مكتبتنا العربية

اختيار الزوجة في الشريعة الإسلامية

جاء الإسلام فوضع لنا قواعد لبناء هذا المجتمع على أساس صالح ، ليخرجنا من ظلمات التعاسة والشقاء إلى نور السعادة والهناء ، قال تعالى « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » وقال « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

ومن هذه القواعد ما جاءت به الشريعة الغراء لتنظيم الأسرة ، لأنها أساس المجتمع ونواته ، فإذا صلحت صلح المجتمع كله وسار قدما نحو التقدم والرفاهية .

وأول لبنة فى بناء الأسرة وتكوينها هى الزوجة الصالحة التى تسعد زوجها وتوافقه وتطيع رغباته وتشاركه أفراحه وأحزانه وتجعل من بيتها جنة فينانة وعشاً جميلا يأوى اليه الزوج فينسى همومه وآلامه ومتاعبه وأسقامه هذه الزوجة هى التى عناها الله بقوله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ، « وهو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها »

ولكن أين هى هذه الزوجة المثالية ، وما مقياس هذه السعادة الزوجية ؟

هل هو الثراء ، أم الجاه ، أم الجمال ، أم الأخلاق الفاضلة ؟

أفكار تختمر وتتردد فى ذهن كل إنسان يرغب فى الزواج ، فالبعض يفضل الغنى لأن الثراء فى نظره هو كل شىء فى الحياة ، فيعتقد أن زواجه من غنية سيسعده ويؤدى به إلى العيش الرغيد من غير جهد أو تعب ، والبعض الآخر يرى فى الجمال مبتغاه وغاية مناه لأنه رجل شعوزى يسمع بعشينوس تمثال الجمال فيريد أن يراها فى بيته تقدم له الطعام الشهى وتجاذبه أطراف الحديث الطلى وتسرد له العبارات المزوقة والألفاظ المنمقة ، وفريق ثالث يرى أن سعادته هى فى الزواج من كريمة أحد (الباشاوات) أو الوزراء أو من عائلة معروفة الحسب والنسب ليصل إلى غرضه كترقية أو تعيين فى إحدى الوظائف أو افتخار على غيره من الأقران الذين ينقصهم هذا الجاه الجديد والمصاهرة السعيدة ، وهناك فريق رابع لاينظر إلى هذه الاعتبارات جميعها فيجعلها دُبر أذنه وتحت قدمه ، ويفضل عليها الزوجة ذات الخلق والعقل والدين ويرى فيها المثل الأعلى للزوجية الصالحة التى يسعد بها ويعيش فى ظلالها الوارفة .

مكتبتنا العربية

أوضح لنا الإسلام أى هذه الطرق أولى بالسلوك ، وأى هذه الاعتبارات أحق بالنظر ، فبين لنا أن الجمال طلاء زائل وعرض حائل ، وأنه إن لم تزينه الأخلاق الفاضلة كان نكبة نكباء وطامة كبرى تدفع الزوجة إلى الطغيان والفساد والاستهتار بالحياة الزوجية ، ولذا حذرنا منها الرسول ﷺ وشبهها بالنبات الأخضر الجذاب وسط الدمن والأوساخ والقاذورات فقال : « إياكم وخضراء الدمن . قيل : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء » . كما بين لنا أن الغنى وحده — من غير أخلاق تحد من طغيانه — لا يصلح أساسا للزوجية ، فهو يدفع الانسان إلى البطر والغرور والكبرياء ، والتعالى على الزوج وامتهان كرامته ، قال تعالى : « إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » .

وكذلك الجاه يفسد الزوجة إن لم يكن لها من عقلها ودينها وأخلاقها رادع يقفها عند حدها ، ويشعرها بأنها وإن كانت أنسب وأحسب من زوجها ، إلا أنها صارت زوجته ، وواجب عليها طاعته ورضاؤه ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا تزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يرديهن . ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن . ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل » . وقال : « ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء : المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته ، وإذا غاب عنها حفظته ، وإذا أمرها أطاعته » . وقال : « الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة » ، « تنكح المرأة لأربع : لمالها وجمالها وحسبها ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

وروى أن سيدنا عمر رضى الله عنه نهى الباعة عن مذق اللبن بالماء ، فخرج فى إحدى الليالى يتفقد الرعية ، وإذا به يسمع امرأة تقول لابنتها : ألا تمزقين اللبن بالماء فقد أصبح الصباح ؟ فقالت البنت : كيف ذلك وقد نهى عنه أمير المؤمنين ؟ قالت : قد فعل الناس فافعلى مثلهم ، فما يدرى امير المؤمنين ؛ فقالت : إن كان عمر لا يعلم ، فإله عمر يعلم . ما كنت لأفعله وقد نهى عنه .

فسر سيدنا عمر لذلك ، فلما أصبح دعا عاصما ابنه وقال له : يا بنى اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية ووصفها له . فذهب عاصم فإذا جارية من بنى هلال ، فقال له عمر : اذهب يا بنى فتزوجها فما أحراها أن تأتى بفارس يسود العرب . فتزوجها عاصم بن عمر فجاء من نسلها عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين .

مكتبتنا العربية

فعمر رضى الله عنه قد اختار هذه الفتاة زوجا لابنه لصلاحها وتقواها ، ولمراقبتها الله فى سرها ونجواها ، وهى صفة قلما توجد إلا فى ذوى الضمائر الحساسة والنفوس العالية التى عرفت الله حق معرفته فخافته فى السر والعلن ، وأحست به فى تصرفاتها ، وأدركت أنه مطلع عليها ، وهو ما قصده المصطفى ﷺ بقوله « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

فالإسلام إذن قد جعل أساس اختيار الزوجة هو تقواها وصلاحها وتمسكها بدينها ومراقبتها الله وتحليها بالأخلاق الفاضلة والطباع الكريمة ، وهذا لا يعنى ألا تجمع الزوجة مع الأخلاق الكريمة الجمال أو الغنى أو الجاه قال ﷺ « إن أفضل المؤمنين إيمانا هو أحسنهم خلقا » ، « خير ما يعطى العبد خلق حسن » ، « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

محمد فهمى الطماوى
مفتش تحقيقات بالشئون الاجتماعية

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الجزائر فى سنة أشهر

بلغ عدد الذين اعتقلتهم السلطات الفرنسية فى الجزائر فى السنة الاشهر الأخيرة ٨٩٠ من أنصار حزب الشعب ، وحكم فيها بالسجن لمدة سنة على ٣٢٥ متهماً سياسياً ، وأبعد ١٨٥ لمدة سنة ، وحرم ٣٠٥ من الحقوق المدنية والسياسية لمدة سنة ، وهذه الاعتقالات قاصرة على المحكوم عليهم ولا تشمل الوطنيين المسجونين بلا محاكمة أو حكم .

مكتبتنا العربية

الكتب

تاريخ مدينة دمشق

للإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١ هـ)

نشره المجمع العلمي العربي بدمشق . بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد

المجلدة الأولى ٨٥٩ ص . ك

الحافظ أبو القاسم بن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١) إمام من كبار حملة العلم الإسلامي ، ولد في دمشق في بيت من أكبر بيوت الحديث والفقه والقضاء ، فتضلع وارتوى من العلم منذ نشأته الأولى إلى أن كان - كما قال عنه السبكي في طبقات الشافعية - رأس بيت معمور بالأئمة والمحدثين ، بل كانت أمه كذلك من آل القرشي وكان منهم قضاة دمشق مدة طويلة . وفي سنة ٥٢٠ بدأ رحلته إلى العراق في طلب الحديث ، ثم حج في السنة التالية ، واستأنف رحلته بعدها إلى العراق وخراسان ونيسابور حتى بلغ سرخس في أعماق المشرق ، ولقي علماء الأقطار وكتب عنهم ما تفردوا به حتى بلغ عدد شيوخه الذين سمع منهم ألفا وثلاثمائة شيخ ، والذين أخذ عنهم الشعرستة وأربعين ، ومن شيوخه بضع وثمانون امرأة . ثم عاد إلى العراق فدمشق وقد أوفى على الثالثة والثلاثين من سنه فتبوأ أريكة التحديث في تلك العاصمة المليئة بالعلماء والحفاظ ، واستمر بعد ذلك قرابة أربعين عاماً يؤلف ويدرس ويملي على طالبي المعرفة حتى ملأ الدنيا علماً من مؤلفاته الكثيرة ، ونبغ على يده طائفة كبيرة من العلماء الذين تتلمذوا له في تلك العشرات من السنين . ولما دخل السلطان المجاهد الفاتح نور الدين محمود ابن زنكي مدينة دمشق ، بلغه خبر (تاريخ مدينة دمشق) الذي اشتغل ابن عساكر بتأليفه ولم يكن قد أتمه فكان السلطان متشوقا لإكماله ، وحثه على ذلك فراجع العمل فيه إلى أن أتمه ، فجاء حافلا بتراجم أعلام الإسلام الذين أنجبتهم دمشق أو دخلوها من صدر الإسلام إلى

مكتبتنا العربية

القرن السادس الهجرى . وهو بلا ريب أوسع تاريخ كتب فى الإسلام لأية عاصمة من عواصمه ، ولا نعلم كتاباً أكثر منه تخليداً لمآثر خلفاء هـذه الملة وأئمتها ونوابغ عظمائها فى الحرب والسياسة والعلوم والآداب والرواية والصلاح ومكارم الأخلاق . والمرجح أنه ألفه فى عشرين سنة ، مع اشتغاله بالتدريس والتأليف وغيرهما . وطريقته فيه كطريقة الإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى فى إيراد كل خبر بسنده إلى مصدره ، وابن عساكر كالطبرى حريص على تزويد قارئه بوجهات النظر المختلفة ـ حتى ما يعتقد المؤلف نفسه أنه من الأخبار الضعيفة ، أو من روايات المخالفين له فى النحلة . وعنده أن إيراد الخبر بسنده يفيد من بعض الوجوه حتى لو كان ضعيفا ، ثم على من يريد أن ينتفع بأى خبر أن يقف أولا على منزلة رواته ليعرف درجة الخبر الذى جاءوا به . وابن عساكر استمد أخبار كتابه من مصادر ذهب الدهر بكثير منها فحفظ لنا تاريخ دمشق ما اقتبسه منها .

وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر معجم تراجم لعظماء الإسلام مرتبة أسماؤهم على حروف الهجاء بدقة ، إلا أنه بدأ بمن اسمهم أحمد تيمناً باسم النبى ﷺ ، ثم تابع إثبات التراجم مرتبة مسلسلة ، حتى أنه راعى الترتيب فى أسماء الآباء والأجداد . والذين اشتهروا بكنيتهم ولم تعرف أسماؤهم أفرد لهم قسما مستقلا ، وبعده قسم للذين اشتهروا بنسبتهم ، ثم خصص قسما للنسوة والإماء والشواعر . والذين ترجم لهم ذكر ما عرفه لهم من ثناء ومدح ، وما فيهم من هجاء وقدح ، وما ذكره العلماء فيهم من تعديل وجرح ، وحكى ما نقل عنهم من جد ومزح ، وأورد بعض ما وقع له من رواياتهم ، وتعريف ما عرفه من مواليدهم ووفياتهم .

وهذه المجلدة التى تم طبعها الآن من تاريخ مدينة دمشق بلغت ٨٥٩ صفحة بالقطع الكامل ، ومع ذلك فإنها استوعبت نحو نصف مقدمة التاريخ ، وقد أورد فيها المؤلف الأحاديث والأخبار عن أولية دمشق وفضائلها والثناء على أهلها ، وأنها صفوة الله من بلاده ، إليها يجتبى خيرته من عباده ، وفيه أخبار جهاد الصحابة فيها ، وتاريخ فتحها ، وما يتعلق بذلك . وفى المجلدة الثانية التى لم تنتشر بعد بقية المقدمة عن خطط دمشق ووصف مسجدها وما كان عليه من قبل وبناء الوليد بن عبد الملك له ، وما فى دمشق من مساجد ومآثر ومعالم . ثم يأتى بعد ذلك معجم التراجم وسيكون بمجلدات كثيرة .

مكتبتنا العربية

وقد عهد المجمع العلمى العربى بدمشق فى إخراج هذه المجلدة الأولى وتصحيحها وتحقيقها إلى الأستاذ الفاضل السيد صلاح الدين المنجد مؤلف (خطط دمشق) المطبوع فى بيروت سنة ١٩٤٩ ، وكتاب (دمشق القديمة) المطبوع بدمشق سنة ١٩٤٦ ، و (مخطط دمشق القديمة) الذى نشرته مديرية الآثار العامة بدمشق سنة ١٩٤٧ . فقام بهذا العمل خير قيام ، واستعان فى بعض مواطنه بأهل العلم والتخصص ، وقد أحضر له المجمع العلمى صورة شمسية لخمسة الأجزاء الأولى من النسخة المقروءة على المؤلف ابن عساكر سنة ٥٧١ والمحفوظة فى مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة برقم ٧١٤ تاريخ (١٠٦٧٠ ع) إلا أن تصويرها كان غير جيد فضلا عن أن أصلها فيه آثار الرطوبة والأرضة والترميم ، وهذه الأجزاء الخمسة الأولى تبلغ النصف الأول من هذه المجلدة الأولى التى تم طبعها . ومن حسن الحظ أن خمسة الأجزاء التالية لها والمتممة للمجلدة الأولى من مطبوعة المجمع العلمى بدمشق توجد الآن فى المتحف البريطانى ، وقد سعى المجمع العلمى بدمشق بتصويرها فى فلم تم تكبيره بدمشق ، وهى جيدة واضحة الخط ، فتم بالاعتماد عليها تحقيق المجلدة الأولى مع المقارنة بمخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق ومكتبة كمبردج وغير ذلك .

وكان الشيخ عبد القادر بدران رحمه الله قد بدأ باختصار تاريخ دمشق هذا ، وطبع منه فى دمشق سبعة مجلدات إلى ترجمة عبد الله بن يسار ، كما أن الشيخ أبا الفتح الخطيب (والد رئيس تحرير هذه المجلة) قام باختصاره وتوجد منه فى المكتبة التيمورية خمسة مجلدات مذكورة فى فهرسها الخاص بكتب التاريخ ، ومنه جزء فى مكتبة جامعة برنستون مذكور فى فهرس مخطوطاتها ص ١٩٢ ، وفى مكتبة دار الفتح بالروضة جزآن من أوله برقم ٧٤٥ ، ونعتقد أن هذا المختصر لم يتم .

أما هذه الطبعة التى قام على تحقيق المجلدة الأولى منها الأستاذ صلاح الدين المنجد فقد بلغت العاية من الجودة والإتقان ، وقدم لها الأستاذ العلامة محمد كرد على رئيس المجمع العلمى بمقدمة قال فيها : « قد يكون تاريخ دمشق أوسع تواريخ المدن ، وهو أيضاً من أوسع المصادر فى تراجم الرجال ، حتى ليجرد منه كتب على حدة فى موضوعات مختلفة ، كولاة دمشق مثلا ، وقضاتها . وشعرائها ، ومنه يستخرج أحسن تاريخ لبنى أمية سكتت معظم التواريخ عنه . . . الخ » . وبعد مقدمة الأستاذ كرد على تأتى مقدمة الأستاذ المنجد ،

مكتبتنا العربية

وفيها سلسلة نسب أشهر رجال بنى عساكر ، وسلسلة بنى القرشى أخوال الحافظ ابن عساكر ، وخريطة للعالم الإسلامى فى زمن المؤلف مشار فيها إلى المعروف الآن من المدن التى رحل إليها فى طلب العلم إلى ما وراء خراسان من البلاد التى تقع الآن فى حكم روسيا ، وذلك فى خلال ترجمة كتبها الأستاذ المنجد للمؤلف فوقعت فى نحو أربعين صفحة كبيرة .

ثم زين محقق الكتاب هذه المجلدة بالسماعات العلمية التى وجدها فى آخر الأجزاء الباقية من النسخة المقروءة على المؤلف ، وألحق بها فهرساً هجائياً لشيوخ ابن عساكر الذين سماهم بأول كل خبر من أخبار هذه المجلدة ، وفهرساً للأحاديث مرتبة بحسب أوائلها ، وفهرساً للأمم والقبائل والأرهاط والجماعات ، وفهرساً للأشعار ، وفهرسا للبلاد والمدن والقرى والأماكن والجبال والأنهار ، وفهرساً للأعلام من الرجال والنساء ، وفهارس أخرى متعددة غير ما ذكرنا . ويقول الأستاذ المنجد : « لقد بذلنا الجهد فى إخراج هذه المجلدة ، ومع ذلك فما استعسر علينا كثير . وكان علماؤنا الذين لجأنا إليهم يحارون أو يتوقفون مثلنا . وهـذا التاريخ من مفاخر التراث العربى ، فليتفضل من يجد فيه خطأ أو خللا بتصحيحه ، فإنما هو ملك للمسلمين والعلماء عامة » .

فشكراً للمجمع العلمى العربى بدمشق ، ولمحقق هذه المجلدة الأستاذ صلاح الدين المنجد . ونرجو الله أن يوفقهم إلى الإسراع فى إصدار المجلدات التالية ، فإن الناس فى تعطش إلى ما فى الكتاب من تراجم ، ولا سيما ما لم يسبق نشره من مختصره . وماذا يضير لو أنهم سارعوا ببقية حرف العين وما بعده على أن يعودوا بعد ذلك إلى المجلدة الثانية أو الثالثة فما بعدهما ؟ .

ما وراء الآيات ـ للأستاذ أحمد محمد جمال

مطبعة مصطفى الحلبى ، ١٨٠ ص جاير

الأستاذ أحمد محمد جمال من أفاضل أدباء الحجاز ، وقد انتشرت له قبل الآن مؤلفات فى التاريخ والشعر والأدب . وكتابه هذا (ما وراء الآيات) مجموعة أحاديث له أذاعها من محطة الإذاعة السعودية اقتبسها من قصص القرآن ، وأدارها فى الغالب على ما اشتهر

مكتبتنا العربية

فى كتب التفسير عن أسباب النزول ، ثم استخلص منها ما يقتضيه المقام من فوائد وعبر وملح وإرشاد . غير أن أسباب النزول التى يوردها المؤلفون فى التفسير يتساهلون فيها كتساهل بعضهم فى إيراد الإسرائيليات ، وحتى الذين يذكرون أسباب النزول مروية بأسانيدها التى وصلت إليهم رأينا أكثر ما أوردوه من هذه الأسانيد منقطعاً ومنها ما بين وقت النزول وأعلى راو لها نحو مائة سنة أو أكثر ، ومع انقطاع هذه الأسانيد فإن فى بعض رواتها ضعفا . والمفسرون الذين يوردون أسباب النزول بأسانيدها يكلون أمرها إلى من يقف عليها ليحكم على تلك الأخبار بما تستحقه فى قواعد الجرح والتعديل . ونضرب المثل لذلك بآية الحجرات التى قيل إنها نزلت فى بنى المصطلق ، فقد اجتمع فيما رووه من أخبار سبب نزولها انقطاع السند وضعف الرواة كما نبه عليه القاضى أبو بكر بن العربى فى العواصم من القواصم (ص ٩٠ — ٩٣) وترى أدلة ذلك فى التعليق عليه . وطريقة السلف فى التحدث عن مثل هذه المسائل إما نقل سبب النزول بسنده ليتبين الواقفون عليه درجة صحة الخبر من ذلك ، أو أن يتولى المؤلف ذلك بنفسه على طريقة أهل الجرح والتعديل حتى إذا تبين له أن سبب النزول الذى ذكروه لا يثبت على طريقة علماء الحديث صرف النظر عن بناء الاحكام عليه وإيهام القارىء أنه صحيح ثابت .

وعلى كل حال فان النية فى هذه الأحاديث حسنة ، وما استخلصه الأستاذ أحمد محمد جمال من إرشاد وعبرة نافع مفيد وهو مشكور عليه . وكما أحسن فى أحاديثه من محطة الأذاعة أحسن كذلك فى جمع هذه الأحاديث فى كتاب مستقل ، فشكراً له .

التربية فى القرآن ـ للأستاذ محمد عبد الله السمان

مطبعة دار الكتاب العربى ، ٧٧ ص نصف القالبين

يقول مؤلف هذه الرسالة فى خاتمة المقالة الأولى منها : إن آيات القرآن من أولها إلى آخرها دستور شامل للتربية الصحيحة والتوجيه السليم ، وهذا ما حدا بالمستشرق (كارليل) أن يقول :

« إن الإحساسات الصادقة الشريفة ، والنيات الطاهرة الكريمة ، تظهر لى فضل القرآن ، الفضل الذى هو أول وآخر فضل وجد فى كتاب نتجت عنه جميع الفضائل على اختلافها » .

مكتبتنا العربية

ثم استعرض المؤلف آيات القرآن فى تربية الأمم ، وفى تربية الدعاة ، وفى تربية النفس ، وفى الفضائل — ومنها السمو الخلقى ، والاتزان ، والتروى ، والاعتدال ، ويقظة الضمير ، وآداب السلوك ، وضريبة الإنسانية . وفى الرذائل — ومنها : الغرور ، والمكابرة ، والتمادى فى الغى ، والأنانية ، والنفاق : وكفران النعمة . ثم دروس فى الحياة ، والتربية العامة .

وهى رسالة لطيفة يجدر بشباب الأمة وجمهورها أن يتدبروا ما فيها من آيات الله فى تربية النفس الإنسانية ليزدادوا بها علما ، بل ليتمرنوا على التربية الإسلامية عملا ، إلى أن تكون من صميم سجاياهم وأصيل فطرتهم ، ثم ليكونوا بعد ذلك قدوة فيها لكل من يتصل بهم ، وبهذا يكون المسلم المتأدب بأدب القرآن كتابا معروضا على أنظار الناس يقرأون به حقائق الإسلام فى أسواقهم وبيوتهم ومجتمعاتهم .

تفسير جزء عم

لخصه من التفاسير المعتمدة الأستاذ محمد توفيق عبيد

المكتبة العربية بدمشق ، ٤٤ ص قالبين

إن السور التى تضمنها جزء عم هى السور القصار التى تتلى فى الصلوات غالباً . وقد آثر الأستاذ محمد توفيق عبيد تقديمها بتلخيص تفسيرها تلخيصاً وسطا بين الإيجاز والإسهاب ، مستمداً ذلك من تفاسير البيضاوى والجلالين والشيخ محمد عبده ، ثم قابله على تفسير الرازى وغيره . وقد جعل السور بخط جلى من خطوط المصاحف فى وسط التفسير مشكولة الآيات مرقمة ، فجاءت جميلة الطبع ، مصقولة الورق ، تفى بحاجة الجمهور ، جزاه الله خيراً .

رد على كتاب السقيفة

للأستاذ عبد الله الحضرمى ، مطبعة دار الكتاب العربى بمصر ، ٢٣٨ ص جاير

قال الله عز وجل مخاطبا أصحاب رسول الله ﷺ : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، فألف رجل من أهل النجف اسمه محمد رضا المظفر كتابا عنوانه (السقيفة) ليقول فيه لاصحاب محمد ﷺ : كنتم شر أمة أخرجت للناس . وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال :

مكتبتنا العربية

« خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، فأراد النجفى مؤلف كتاب (السقيفة) أن ينقض هذه الحقيقة التى أيدها الواقع والتاريخ فكانت من أعلام النبوة ، فجاء محاولا إقناع قرائه بأن شر القرون قرن أصحاب رسول الله ﷺ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

إن أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا معصومين ، فإنه لا معصوم بعد رسول الله ، ولكنهم كانوا بأجمعهم عدولا أخياراً بشهادة الله ورسوله لهم ، وكانوا أفضل جيل عرفته الإنسانية من آدم إلى هذا اليوم ، وقد مضى فى طريقهم التابعون وتابعو التابعين فكانوا المثل العليا للحق والخير ، ولذلك استجابت لدعوتهم الأمم ، ودخلت فى الإسلام على أيديهم ، وهذا العالم الإسلامى كله من ثمرات دعوتهم وبركتهم وجهادهم فى الله حق جهاده وقيامهم بتبليغ رسالات الله على ما يرضى به الله .

وقدصدر فى الرد على كتاب النجفى هذا الكتاب للأستاذ عبد الله الحضرمى ، وتكرم فأهداه إلينا فى هذا الشهر . وفى اعتقادنا أنه خير من الرد على هذه الكتب السخيفة تأليف كتب مختصرة ومتوسطة ومطولة فى تاريخ عصور الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان ، ونشر رسائل فى تراجم أعلامهم مستمدة من كتب الثقات وأئمة السنة وأعلام الدين ، وبذلك يرد الحق إلى نصابه ، وينشأ شباب الإسلام عارفين بفضل الصحابة والتابعين على العالم الإسلامى وعلى الإنسانية كلها ، ولو كره الذين فى قلوبهم مرض .

الرسالة الجامعة — المنسوبة للحكيم المجريطى

نشرها المجمع العلمى بدمشق ، بتحقيق الأستاذ جميل صليبا ، جزءان ١١٦٤ صفحة قالبين

الحكيم المجريطى المنسوبة اليه هذه الرسالة الجامعة هو أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطى القرطبى الأندلسى ، ومجريط هى (مدريد) عاصمة اسبانيا الآن ، وكان المجريطى إمام الرياضيين بالأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، وقد ترجم الأوربيون كتابه فى الاسطرلاب باللاتينية ، وكتابه فى الفلك الذى نقله عن بطليموس — وهو يبحث فى الكرة السماوية المسطحة — ترجمه باللاتينية هرمان سكوندوس ، وقد اشتهر المجريطى بكتابيه (رتبة الحكيم) فى الكيمياء و (غاية الحكيم) فى السحر والطلسمات .

مكتبتنا العربية

والرسالة الجامعة المنسوبة اليه بقيت منها نسخ مخطوطة : إحداها فى دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وثانية فى المكتبة التيمورية ، وثالثة فى طهران ، ورابعة فى المكتبة الوطنية بباريس ، وخامسة فى دار الكتب المصرية ، وسادسة فى مكتبة أحد الإسماعيليين فى السليمية من بلاد الشام .

والظاهر أن نسبة هذا الكتاب إلى المجريطى نشأت عن وهم توهمه مؤلف كتاب كشف الظنون ، وأسلوب الكتاب أشبه بأسلوب رسائل إخوان الصفا منه بأسلوب كتب المجريطى ، وأبوابه هى أبواب رسائل إخوان الصفا ، وعدد الرسائل فى الكتابين واحد وإن اختلفت الفصول فيهما . بل قد وردت عبارات من إخوان الصفا فى هذا الكتاب متفقة بالحرف ، ونبه على ذلك محقق الكتاب فى مواضعه . . إلى غير ذلك من القرائن الكثيرة على أن (الرسالة الجامعة) متممة لرسائل إخوان الصفا .

والذى نقل رسائل إخوان الصفا من المشرق إلى الأندلس هو الكرمانى تلميذ المجريطى كما يقول القاضى صاعد فى طبقات الأمم ، والكرمانى توفى سنة ٤٥٨ والقاضى صاعد توفى سنة ٤٦٢ ، فيحتمل كثيراً أن تكون (الرسالة الجامعة) التى قلنا إنها متممة لرسائل إخوان الصفا قد جاء بها الكرمانى إلى الأندلس مع ما جاء به من الكتب الفلسفية عند رحلته إلى حران وبلاد الجزيرة والعراق .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وتتفق الرسالة الجامعة مع رسائل إخوان الصفا فى أنهما يتضمنان صورة ما بلغ إليه العلم بالرياضيات والطبيعيات والفلسفة فى القرن الرابع ، ولو كان الغرض من رسائل إخوان الصفا والرسالة الجامعة هو العلم المحض لما كان هناك داع إلى خفاء اسم مؤلف هذه الرسائل ، سواء أكان واحداً أو أكثر ، غير أن دراسة هذه الرسائل تدل على أن لكاتبها ـ أو لكاتبيها ـ أغراضاً أخرى دينية تخالف رسالة الإسلام فى صميمها ، وسياسية تضمر ما تنكره الدولة القائمة فى ذلك الحين ، والشر يدعو دائماً إلى التستر ، والخير لا يتستر أحد منه .

وان الدكتور حسين الهمدانى ـ أحد دعاة الاسماعيلية المعاصرين لنا ، وقد كتب محقق الرسالة الجامعة اسمه محرفاً بالحاء : الحمدانى ـ كان يقول قبل نحو ربع قرن « إن رسائل إخوان الصفا كتاب الأئمة ، والقرآن كتاب العامة ، والظاهر أن مؤلفى رسائل إخوان الصفا والرسالة الجامعة كانوا يدعون إلى هذا المعنى القبيح ولذلك تستروا وكتموا أسماءهم .

مكتبتنا العربية

وعلى كل حال فنحن فى هذا العصر نستفيد من الرسالة الجامعة ورسائل اخوان الصفا أمرين اثنين : أحدهما معرفة المستوى العلمى فى القرن الرابع الهجرى ، والثانى التنقيب عن المرامى الالحادية والسياسية التى كان يضمرها مؤلفو الكتابين ويدسونها فى مطاوى القضايا العلمية فيفسدون العلم بذلك من حيث يريدون افساد الدين .

ومن حسن حظ الرسالة الجامعة — مع أنها الآن فى طبعتها الأولى — أن تحظى من العناية والتحقيق بمالم تحظ بمثله رسائل إخوان الصفا على شهرتها وتكرر طبعها فى الهند أولا وفى مصر آخيرا ، وقد جاءت الرسالة الجامعة فى مجلدين كبيرين أولهما فى ٧٣٠ صفحة والآخر فى ٤٣٣ صفحة من قطع صفحات هذه المجلة ، وموضوعات المجلدين كموضوعات رسائل إخوان الصفا ، والغرض فى الكتابين واحد ، وأهل المذهب الإسماعيلى يرفعون مقام هذين الكتابين فوق مقام كل كتاب آخر فى الأرض ، أما غيرهم من علماء الشرق والغرب فلا يرون لهما فائدة أكثر من الدلالة على تطور التاريخ العلمى والفكرى فى حقبة من الزمن .

مجمل تاريخ حاضرة الصعيد (أسيوط)

اطلع فضيلة الأستاذ الشيخ سيد على الطوبجى من علماء أسيوط على بحث فى إحدى الصحف الكبرى عن ماضى أسيوط وأعلامها ، فبدا له أن يتوسع فى الموضوع لتدارك ما فات تلك الصحيفة ، لكنه اقتصر فيما نشره على الجزء الأول فى ٥٧ صفحة واعداً بأن يرجع إلى ذلك فى أجزاء أخرى . وما سرده فى هذا الجزء لم يتعمد فيه الترتيب ، بل أورد فيه من خواطره المتعلقة بماضى أسيوط البعيد والقريب وأبنائها المعاصرين والذين سبقوهم . وقاعدته فى السرد أن الواو لا تقتضى ترتيبا . والمعلومات المشحونة فى الجزء الأول تفيد الباحثين فى تاريخ أسيوط ، ولعل المؤلف عند نشره الأجزاء الأخرى يلتزم فيها التبويب والتقسيم بحسب التسلسل الزمنى والموضوعى ، فتكون الفائدة به أتم ، والانتشار له أعم .

هداية المرشدين الى طرق الوعظ والخطابة

للشيخ على محفوظ ، مطبعة دار الكتاب العربى ، ٥٤١ ص قالبين

كان العلامة المخلص الصالح الشيخ على محفوظ رحمه الله أبا الوعاظ ومؤسس الوعظ السليم فى الديار المصرية . ولقد رحمه الله فى محلة روح من أعمال طنطا وتلقى علومه

مكتبتنا العربية

فى الجامع الأحمدى ثم فى الأزهر الشريف ، وتخرج منه سنة ١٩٠٧ ، ثم اشتغل بالتدريس ونال عضوية جماعة كبار العلماء سنة ١٩٣٩ ، وانتقل إلى رحمة الله يوم ٣ ذى القعدة ١٣٦١ (١١ نوفمبر ١٩٤٢) وله كتب نافعة من أهمها (هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة) ولا يزال الوعاظ والمرشدون ينتفعون به إلى يومنا هذا وبين أيدينا الطبعة الخامسة منه قام أنجاله بنشرها .

وفى هذا الكتاب التعريف بالدعوة والحاجة اليها ، والسنن العامة فى دعوة الرسل إلى الدين ، وهديه صلوات الله عليه فى الدعوة وفى تربية أصحابه ، وواجب العلماء فى الوعظ والإرشاد ، وقد ألم بتاريخ الوعظ الدينى قديما ، وبآداب الداعى ، وبالكثير من المواعظ الدينية ، وبطرق الوعظ من ترغيب وترهيب ، وبنماذج من مواعظ القرآن والسنة النبوية ، وفى الكتاب محاضرات وخطب علمية ودينية وخلقية واجتماعية ، وما ينبغى أن يراعى فى وضع خطب المنابر ، مع إيراد نماذج جيدة منها . فالكتاب كما ترى سفر نفيس جدير بما حظى به فى طبعاته السالفة من إقبال عليه من جميع الطبقات .

نظرية الأنساب فى الميزان

هو بحث قيم قام به العالم المحقق الأستاذ عبد الوهاب حمودة ونشره فى مجلة كلية الآداب ، ثم فصل منه نسخاً مفردة أهدى إلينا نسخة منها . وقد بحث فيه عن معنى كلمة « النسب » فى اللغة وما بينها وبين لفظ « سبب » من علاقة ، وما كانت تطلق عليه فى أول استعمالها وكيف تطورت بعد ذلك . وانتقل إلى موقف المستشرقين من أنساب العرب وآراء كل فريق منهم ، وأفاض فى بيان مذهب من ذهب منهم إلى أن الأمومة هى الأصل فى الأنساب ، وهو مذهب نقضه وأثبت خطله كثير من علمائنا قبل نحو نصف قرن لمناسبة انتشار رسالة بندلى صليبا الجوزى . وانتهى الأستاذ حمودة بعد استعراض أدلتهم إلى القول بأن الأمومة « لم تكن قانونا شائعاً عند جميع القبائل ، ولكن لا مانع فى رأينا من أن يكون العرب قد مروا قديما فى هذا الدور ، وكان للأم عندهم اعتبار ومركز ممتاز » . وأنت ترى أن الأستاذ على تسامحه مع القائلين بالأمومة عند العرب بنى رأيه على الظن والاحتمال فى دور قديم ليس لدينا ما نقطع فى حقيقة ما كان عليه .

ثم عقد فصلا ذكر فيه رأيه فى الأنساب معتمداً على آراء لبعض المستشرقين وعلماء

مكتبتنا العربية

الإسلام ، وافتتح هذا الفصل بالإشارة إلى ما فى بعض كتب الأنساب من تخليط ووهم واختلاف . وفى اعتقادنا أن هذا الحكم على كتب الأنساب كان ينبغى أن يتناوله التفصيل والتمييز ، ولعلنا نقترب من الصواب كثيراً إذا علمنا أن الأنساب لا تتناول كل أفراد القبائل ، وإنما يقتصر نسب القبيلة على أعمدته من بيوتها المشهورة دون المغمورة . وما أثبته علماء النسب من أنساب البيوت المشهورة قريب جداً من الواقع ، وليس لأعيان أمة من أمم الارض ما لأعيان الأمة العربية من المعرفة بأنسابها ، وإذا وقع الخطأ فى ذلك فإنما يقع فى النقص لا فى الزيادة ، لأن التاريخ والوعى القومى يحفظان أسماء المشهورين بالرياسة أو الفروسية أو الكرم أو الشعر والخطابة والحكمة ، وقد تخفى عنهما أو تسقط من حفظهما أسماء المغمورين من رجال سلسلة النسب فتجىء السلسلة ناقصة عما هى عليه فى الواقع ، ومن المستبعد وقوع الزيادة بتسمية رجال لم يكونوا فى الواقع من آباء تلك السلسلة . أما جمهور العامة ممن ينتمى إلى قبيلة من القبائل فإنهم يكتفون باتتمائهم إليها فى الجملة ولا يعرفون لبيوتهم سلسلة أنساب كما يعرف الأعيان ذلك لآبائهم وسلفهم .

وما أشار اليه الأستاذ حمودة من تخليط أو اختلاف فكثيراً ما ينشأ عن وفاة أب من آباء بيت معروف النسب ، فتتزوج زوجته فى قبيلة أخرى وينشأ ابنها الصغير من زوجها الأول فى بيت زوجها الثانى فينسبه من لا يعرف ذلك إلى زوجها الثانى ، كما نسبوا قضاعة إلى معد مع أن نسبه متصل عند قومه من حمير الذين يعرفون أباه مالك بن عمرو بن مرة ابن زيد بن مالك بن حمير . وقد يقع الاختلاف بسبب نزوح قبيلة عن ديار القبائل التى تجمعها بهن صلة النسب إلى ديار قبائل أخرى غريبة عنها ، فتنسجم بها وتشاركها فى سلمها وحربها ، فينشأ أبناء المتحالفين ممتزجين كامتزاج المتسلسين من أصل واحد ، فينسبهم من يعرف نسبهم إلى أصلهم الأول ، ويلحقهم من يجهل ذلك بالقبائل التى طرأوا عليها . وعلى كل حال فإن هذا الاضطراب يكون فى جمهور العامة ، أما أعيان القبيلة فيحفظون أنسابهم حيثما ارتحلوا .

وفى رأينا أن نسب كل قبيلة يرجع فيه إلى العلماء من أبنائها إن بقيت لهم مؤلفات تحفظ أنسابهم ، فقبائل حاشد وبكيل من همدان حفظ لنا الهمدانى أنسابها فى الجزء العاشر من كتابه (الاكليل) بدقة وأمانة لانظير لها ، وما اطلعنا على نسب همدانى فى كتاب من الكتب وعارضناه بما ذكره الهمدانى فى الأكليل إلا وجدناه عند الهمدانى صحيحاً مضبوطاً لا غبار عليه وأنساب قبائل كلب القضاعيين توسع فيها ابن الكلبى فى جمهرة النسب

مكتبتنا العربية

التى اختصرها ياقوت ، وفى دار الكتب المصرية نسخة من هذا المختصر . وإنك لا تعارض ما نسبه ابن الكلبي لبيت من بيوت قومه فى الجمهرة بما حفظه العلماء ودونوه فى كتبهم الأخرى إلا ظهر لك علم ابن الكلبي وجودة حفظه إلى أقصى غاية .

ولو حفظ لنا الدهر كتبنا القديمة فى الأنساب - وفى طليعتها مؤلفات الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ومؤلفات الهيثم بن عدى الطائى ، ومؤلفات أبى الوزير محمد بن مطرف العبدى ، ومصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيرى ، ومحمد بن حبيب البغدادى ، وكتب ابن خداع ، والمفقود من أجزاء كتاب أنساب الأشراف وأخبارهم للبلاذرى ، لحصلنا من هذا التراث العظيم على تحقيق دقيق فى أنساب العرب نحل به أكثر ما يشكل علينا من تخليط ووهم واختلاف .

هذا فى القبائل المعروف أعيانها بالرئاسة والفروسية والبلاغة والكرم فى الأدوار التاريخية من ماضى العرب . أما العصور العريقة فى القدم فالعلم بأنسابها علم إجمالى ، وما يجهله التاريخ من أسماء آباء النسب فى تلك العصور أكثر بكثير من الذى حفظه لنا . ثم إن الأمم التى أباد الله سلطانها وأزال ملك رؤسائها كعاد وثمود وقوم شعيب والعمليقيين والسبأيين ، فإن جماهير عامتهم انغمرت فى الأمم التى نهضت بعدهم وورثت السيادة عليهم ، فهم موجودون بدمائهم وأنسالهم ، ومنقرضون بأنسابهم وأصولهم منذ انقرضت دولهم واضمحل سلطانهم .

ونظن أن المفقود من أمهات كتب الأنساب ، إذا جاد الدهر بظهور شىء منه وتناولته يد البعث والنشور بالطبع والتحقيق ، ستتمحص به أنساب العرب وتعرف قيمتها وتتبوأ مكانها فى تراثنا من آداب العرب وتاريخهم .

قصة المولد النبوى — لنافع الجوهرى الخفاجى

العلامة نافع بن الجوهرى الخفاجى التلبانى (١٢٥٠ — ١٢٣٠) من أفاضل رجال الأزهر المتأخرين ، كان كثير التأليف ، ومن مؤلفاته هذا المولد الشريف الذى سعى بنشره فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى عن نسخة بقلم المؤلف ، وتولى تصحيحه وكتابة مقدماته ، وهو من مطولات الموالد فقد بلغت صفحاته ١٢٨ صفحة فشكراً لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى على مجهوداته فى سبيل نشر العلم .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم في شهر

اللغة الاجنبية في التعليم الابتدائي

استقر الرأى فى اجتماع اللجنة العليا للتعليم على إلغاء تعليم اللغات الأجنبية خلال المرحلة الابتدائية الإجبارية ، على أن يكون للتلميذ الذى يرى فى نفسه الكفاءة والمقدرة للالتحاق بعد ذلك بالمرحلة المتوسطة أن يتقدم لامتحان يجيز للناجحين فيه الالتحاق بها إذا كانت سنه بين العاشرة والثانية عشرة .

رسالة الجامعة :

يرى الدكتور محمد محفوظ وكيل جامعة الإسكندرية أن رسالة الجامعة لا تقتصر على تخريج باحثين ومستنبطين ومستغلين لجميع قوى الطبيعة وخباياها .

قلنا : ولن يتيسر ذلك للجامعات المصرية ، حتى لو أرادته وحرصت على تحقيقه ، ما لم يتحول طلبة المدارس الثانوية من ببغاوات يحفظون نصوصاً وأعلاماً وأرقاماً ليرددوها فى الامتحان بحروفها ، تحقيقاً لخطة وزارة المعارف التى لا يرضى مفتشوها بغير ذلك . فإذا سمحت لهم وزارة المعارف بإطلاق أرجلهم من قيود الحفظ الحرفى لمواد مناهجها ، وصارت تعتبر الفهم والتصرف فى التعبير من أسباب النجاح لا من أسباب السقوط ، فإن من يتخرج من هؤلاء الطلبة الثانويين بعد ذلك ويدخل الجامعات يصبح مستعداً للبحث والاستنباط ، لأن البحث والاستنباط من ثمرات الفهم والتحرر من قيود وزارة المعارف فى مدارسها .

الجامعى الصالح

يقول الرئيس السابق على ماهر فى حديث له مع جريدة المصرى : « إن السبيل إلى إيجاد الجامعى الصالح هو أن ننمى فى نفوس أبنائنا الطلاب الاستعداد الذاتى للتربية الذاتية ، وأن نحبب إليهم مواصلة الدرس ومتابعة الحياة فى تطورها ، وأن ندربهم على الملاحظة والتجربة ، والانتهاء من امتثال المعارف إلى خلق الجديد المبتكر . وأن نغرس فى نفوسهم التمسك بالواجب ، ونحصنهم بالمعانى الروحية السامية والمبادئ الخلقية القويمة » .

وفى اعتقادنا أن هذه الأمنية لا تتحقق إلا بانقلاب أساسى فى الأساليب الجامعية المتبعة الآن فى مصر ، وأن تتغير النية التى ينويها الطالب عند التحاقه بالجامعة كما تتغير

مكتبتنا العربية

النظرة التى ينظر بها المدرس بالجامعة إلى مهمته كما كان متبعاً حتى الآن . فجامعتنا لم تخرج فيما مضى الجامعى الصالح لأنها لم تكن تعلم أنها أقيمت لذلك وفتحت أبوابها لتحقيقه .

الدراسات الاسلامية فى الصومال :

يقول الشريف محمود عبد الرحمن رئيس الرابطة الإسلامية فى مدينة مقديشو عاصمة الصومال الإيطالى : إن الجهد الموفق الذى بذله العلماء مبعوثو الجامع الأزهر إلى بلادنا ظهر أثره الطيب فى نفوسنا جميعاً ، فقد رفعوا مكانة بلادهم فى روعنا وفى قلوبنا ، وفى ضوء السعى المشكور والعمل الدائم تم افتتاح معهد الدراسات الإسلامية الذى كان أمنية جميع سكان الصومال منذ أمد طويل ، وأقيمت لهذه المناسبة حفلة كبيرة حضرها نائب الحاكم العام الإيطالى والأستاذ محمود حماد العضو المصرى فى المجلس الاستشارى للأمم المتحدة وقناصل الدول وأعضاء البعثة الأزهرية وجميع ذوى المكانة .

وقد خطب نائب الحاكم الإيطالى العام فقال : « إن تأسيس هذا المعهد كان تنفيذاً لمشروع السنوات الخمس المتعلق بنشر الثقافة فى الصومال ، وكان مقدراً أن يفتتح فى العام الدراسى القادم ، غير أن معونة الحكومة المصرية وجهود حضرات العلماء مبعوثى الأزهر الشريف قد بكرت بافتتاح المعهد ، وهيأت لأبناء هذه البلاد الفرصة للتزود بقدر من الثقافة يدفع بعجلة حياتهم دائماً إلى الأمام .

ولا شك أن معهد الدراسات الإسلامية سيهيىء لشباب هذا القطر أيسر السبل إلى التسلح بذخيرة الإيمان وفضيلة العمل ، فتسند إليهم مناصب القضاء والتدريس والوعظ . وليكن شعارهم دائما قول الله تعالى « وقل رب زدنى علما » وان الله القدير « يرفع الذين أوتوا العلم درجات » .

وخطب الأستاذ محمود حماد فكان مما قاله : « إن الإسلام ليس ديناً فحسب ، إنما هو دين ومدنية وحضارة . وما من شك فى أن حضارتنا القائمة الآن مدينة للإسلام بنصيب وافر » .

مدرسة اسلامية فى كارديف :

ينتظر أن يساعد الأزهر فى تشييد مدرسة إسلامية للجالية الإسلامية الكبيرة التى تقطن فى كارديف بانجلترا . وستكون هذه المدرسة بجوار مسجد (نور الإسلام) وقد صمم بناؤها من طابقين على الطراز العربى ، وقدر لنفقات البناء ٣٥ ألف جنيه استرلينى تجمع من التبرعات التى يشرف عليها الشيخ عبد الله الحكيمى . وستكون المدرسة ذات خمسة فصول تتسع لنحو ١٢٠ إلى ١٥٠ تلميذا وتستغرق عملية البناء أربعة عشر شهرا .

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

قواعد الحكم
فى فترة الانتقال

أعلن القائد العام للقوات المسلحة وقائد ثورة الجيش - باسم الشعب - أن حكم البلاد فى فترة الانتقال سيكون وفقاً للأحكام الآتية :

جميع السلطات مصدرها الأمة .

المصريون لدى القانون سواء فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات .

الحرية الشخصية وحرية الرأى مكفولتان فى حدود القانون ، والملكية حرمة وللنازل وفق أحكام القانون .

حرية العقيدة مطلقة . وتحمى الدولة حرية القيام بشعائر الأديان والعقائد طبقاً للعادات المرعية ، على ألا يخل ذلك بالنظام العام ولا ينافى الآداب .

تسليم اللاجئين السياسيين محظور .

لا يجوز إنشاء ضريبة إلا بقانون ، ولا يكلف أحد بأداء رسم إلا بناء على قانون ، ولا يجوز إعفاء أحد من ضريبة إلا فى الأحوال المبينة فى القانون .

القضاء مستقل لا سلطان عليه بغير القانون وتصدر أحكامه وتنفذ وفق القانون باسم الأمة .

يتولى قائد الثورة بمجلس قيادة الثورة أعمال السيادة العليا ، وبصفة خاصة التدابير التى يراها ضرورية لحماية هذه الثورة والنظام القائم عليها لتحقيق أهدافه ، وحق تعيين الوزراء وعزلهم .

يتولى مجلس الوزراء سلطة التشريع .

يتولى مجلس الوزراء والوزراء - كل فيما يخصه - أعمال السلطة التنفيذية .

يتألف من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء مؤتمر ينظر فى السياسة العامة للدولة وما يتصل بها من موضوعات ، ويناقش ما يرى مناقشته من تصرفات كل وزير فى وزارته .

واللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة وقائد ثورة الجيش قد أعرب بعد إعلان هذه القواعد عن إيمانه بضرورة قيام نظام دستورى ديمقراطى كامل الأركان أثر فترة الانتقال ، وبضرورة توفير حياة حرة كريمة ومستقبل مشرق باسم للجميع وعلى الجميع أن يساهموا فى بنائه .

الجمعيات التعاونية وأراضى القرية :

يدرس كبار التعاونيين فى مصر مشروعا يهدف إلى أن تتولى الجمعيات التعاونية سلطات المجالس القروية فى القرى التى ليس لها مجالس ، وذلك لأن للتعاونيين وأنظمتهم من المقدرة على الاضطلاع بهذه المهمة ما ليس لغيرهم فى القرى المصرية .

مكتبتنا العربية

السودانيون يقررون مصيرهم

إذا كان ميلاد الدولتين الإسلاميتين باكستان وإندونيسيا ، وخروج الفرنسيين من بلاد الجمهوريتين الشقيقتين سوريا ولبنان ، سيكون فى نظر الأجيال الآتية أعظم الأحداث فى تاريخ الإسلام والعروبة فى هذا العصر ، فان نجاح قائد مصر إلى الخير الرئيس « محمد نجيب » فى خطواته السديدة التى كان آخرها حل معضلة السودان بتوقيع الاتفاق عليها بين الجانبين المصرى والبريطانى فى يوم الخميس ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ هـ (١٢ فبراير سنة ١٩٥٣) ، لن يكون أقل شأناً ولا أهون خطراً من ميلاد دولتى باكستان وإندونيسيا فضلا عن جلاء القوات الفرنسية عن سوريا ولبنان . ولا ريب أن الفوز المتواصل الذى يلقاه رئيس مصر فى أعماله إنما هو انتصار للأخلاق ، ومعجزة من معجزات الحكمة عند ما يحسن أصحابها استعمالها ، ويعالجون المشاكل بهدايتها وعلى ضوئها .

إن القصة التى بدأت بمغامرات غوردون وكتشنر ، وحبكت باتفاقية سنة ١٨٨٩ م ، انتهت أخيراً فى يوم الخميس ١٢ فبراير من هذا العام ، فلم يبق على إخواننا السودانيين إلا أن يستعرضوا خاتمتها فى ثلاثة أعوام ، والاعوام الثلاثة فى حياة الأمم كلمح بالبصر ، ثم يصدر البرلمان السودانى إن شاء الله قراره التاريخى الذى يعرب فيه عن رغبته فى اتخاذ التدابير للشروع فى تقرير المصير ، فتنسحب حينئذ القوات العسكرية ـ المصرية والبريطانية ـ من السودان فور صدور ذلك القرار ، فى مدة لا تتعدى ثلاثة أشهر . وإن التدابير التفصيلية لعملية تقرير المصير ـ بما فى ذلك الضمانات التى تكفل حيدة الانتخابات وأى تدابير أخرى تهدف إلى تهيئة الجو الحر المحايد ـ ستخضع لرقابة دولية ، وستقبل الحكومتان ـ المصرية والبريطانية ـ توصيات أية هيئة دولية تنشأ لهذا الغرض . وبعد انسحاب القوات المصرية والبريطانية من السودان فى خلال الأشهر الثلاثة التى تلى الأعوام الثلاثة تقوم الجمعية التأسيسية بتقرير مصير السودان (الشمالى والجنوبى) بوصفه وحدة لا تتجزأ ، كما تقوم بإعداد دستور جديد للسودان يتوائم مع القرار الذى يتخذ فى هذا الصدد ، وتسن معه قانونا جديداً لانتخاب برلمان سودانى دائم .

وسيتقرر مصير السودان إما بأن تختار الجمعية التأسيسية ارتباط السودان بمصر على أية صورة ، وإما باختيار الجمعية التأسيسية الاستقلال التام . وقد تعهدت الحكومتان المصرية والبريطانية من الآن باحترام قرار الجمعية التأسيسية فيما يتعلق بمستقبل السودان ، وستقوم

مكتبتنا العربية

كل منهما باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا القرار .

والفترة التى تمر بين هذا الحادث التاريخى الجديد (١٢ فبراير ١٩٥٣) ونهاية السنوات الثلاث تعد (فترة انتقال) يمهد فيها لتصفية الإدارة الحاضرة فى السودان وإنهائها إنهاء فعلياً ، ويحتفظ إبان فترة الانتقال بسيادة السودان للسودانيين حتى يتم لهم تقرير مصيرهم بإرادتهم واختيارهم .

وفى إبان فترة الانتقال يمارس الحاكم العام سلطاته الدستورية وفقاً لقانون الحكم الذاتى بمعاونة لجنة خماسية تسمى « لجنة الحاكم العام » ، وهى تشكل من اثنين من السودانيين ترشحهما مصر وبريطانيا بالاتفاق بينهما ومن عضو مصرى وآخر بريطانى ، واتفق على أن يكون العضو الخامس باكستانيا ، ويتم رسمياً تعيين هذه اللجنة بمرسوم من الحكومة المصرية .

وقد اتفقت الحكومتان المصرية والبريطانية على أن لا يمارس الحاكم العام السلطات المخولة له بمقتضى قانون الحكم الذاتى على أية صورة تتعارض مع المبدأ الأساسى للسياسة المشتركة للحكومتين فى الاحتفاظ بوحدة السودان بوصفه إقليما واحدا .

وسيظل الحاكم العام للسودان مسئولا مباشرة - أمام الحكومتين المتعاقدتين - فيما يتعلق بالشئون الخارجية ، وأى تغيير يطلبه البرلمان السودانى بمقتضى المادة ١٠١ من قانون الحكم الذاتى فيما يتعلق بأى جزء من ذلك القانون . وكل قرار تتخذه اللجنة ، ويرى فيه الحاكم تعارضا مع مسئولياته يرفع أمره إلى الحكومتين المصرية والبريطانية ، وعلى كل منهما أن تبلغ ردها على ذلك فى خلال شهر واحد من تاريخ الإخطار الرسمى ، ويكون قرار اللجنة نافذا إلا إذا اتفقت الحكومتان المصرية والبريطانية على خلاف ذلك .

وهنالك لجنة أخرى مختلطة للانتخابات تشكل من سبعة أعضاء : ثلاثة منهم سودانيون يعينهم الحاكم العام بموافقة لجنته ، وعضو مصرى ، وآخر بريطانى ، وعضو من الولايات المتحدة الأمريكية ، والسابع هندى . ويكون تعيين الأعضاء غير السودانيين بمعرفة حكومة كل منهم ، ويرأس اللجنة العضو الهندى . ويعين الحاكم العام هذه اللجنة بناء على تعليمات الحكومتين المصرية والبريطانية .

ولتهيئة الجو الحر المحايد لتقرير المصير ، تشكل لجنة للسودنة تتألف من عضو مصرى وآخر بريطانى ترشح كلا منهما حكومته ، ثم يعينهما الحاكم العام ، وثلاثة أعضاء سودانيين يختارون من قائمة تتضمن خمسة أسماء يقدمها إليه رئيس وزراء السودان ، ويكون اختيار هؤلاء الأعضاء السودانيين وتعيينهم بموافقة سابقة من لجنة الحاكم العام ، وفى هذه اللجنة عضو أو أكثر من لجنة الخدمة العامة السودانية للعمل بصفة استشارية بحت دون أن يكون له حق التصويت .

وهكذا سيمضى العمل فى فترة الانتقال ، إلى أن تنقضى السنوات الثلاث بتوفيق الله وعونه على أحسن حال إن شاء الله .

مكتبتنا العربية

مذبحة الدار البيضاء

هى المذبحة الشنيعة التى دبرها مع دار الإقامة الفرنسية العامة فى مراكش الفرنسيون المتوطنون هناك ، فقتل فيها يومى ٧ و ٨ ديسمبر الماضى أكثر من ألف مراكشى مسلم راحوا ضحية التعصب والحقد والطمع والانحطاط فى المبادىء الإنسانية .

ولما وصل خبر هذه المذبحة إلى باريس عقد فريق من أصحاب الضمائر من الفرنسيين اجتماعاً خطيراً فى « دار المثقفين الكاثوليك » ، وحضر هذا الاجتماع مئات من الساسة والصحفيين والأساتذة والطلاب ، ورأس الاجتماع الكاتب الفرنسى الشهير مسيو فرانسوا مورياك فخطب منددا بالاستعمار الفرنسى فى مراكش ، ونادى بضرورة إنعام النظر فى مذبحة الدار البيضاء وقال : يجب على الفرنسيين أن يصرحوا بالحقيقة مهما كان ثمنها .

وخطب مسيو أندريه دوبيرتى المستشار السابق للاتحاد الفرنسى فقال : لم يبق فى شمال أفريقية من أثر لسياسة فرنسا الغاشمة غير الخوف والحقد والتعصب العنصرى . وإن أفراد الجالية الفرنسية فى شمال أفريقية قطعوا علاقتهم بفرنسا التى لم تهمهم فى شىء ، كما أنهم لا يرون فى المغاربة أصحاب البلاد إلا أنهم أداة للاستغلال .

وخطب مسيو بيير كورفال أحد مستشارى الاتحاد الفرنسى سابقا فأفاض فى استنكار السياسة الفرنسية . ثم تلاه مسيو روبير بارا سكرتير الجمعية فقدم للجمعية ملفا بوثائق خطيرة عن مذبحة الدار البيضاء التى بلغ عدد القتلى فيها ألف مراكشى ، وقد استخدموا رجال المطافىء لغسل الشوارع من الدماء الغزيرة ، لطمس معالم هذه الجريمة .

ثم خطب القسيس الأب ديوم الذى عاش ١٥ عاما فى المغرب ، والمسيو شارل أندريه جوليان الأستاذ بجامعة السوربون ثم مسيو فرانسوا ميتيران الوزير السابق فنددوا بهذا الاستعمار الهمجى وجرائمه الشنيعة .

التعويضات الألمانية لإسرائيل

أوفدت ألمانيا الغربية وفداً إلى مصر ليعبر عن شعور بلاده بالأسى والحزن لما حل باللاجئين العرب ، وليفاوض ذوى الشأن فى مصر للوصول إلى الوسائل التى تؤدى إلى استمرار العلاقات الودية بين ألمانيا ودول الجامعة العربية ، والتقليل من أثر التعويضات الالمانية لإسرائيل .

وقد اجتمع الوفد الألمانى بممثلى الدول العربية ، وكان الاجتماع فى وزارة الخارجية المصرية ، وأعلن وزير الخارجية المصرية فى الاجتماع الاول أن « العرب من جانبهم

مكتبتنا العربية

قرروا الوقوف فى وجه اتفاق ألمانيا مع إسرائيل على التعويضات » .

وأجاب رئيس الوفد الألمانى معبراً عن شعور بلاده وما ترجوه من توثيق العلاقة العظيمة مع البلاد العربية ، واعتذر بأن ألمانيا تواجه بعد الحربين العالميتين كثيراً من المصاعب والمتاعب لكنها رغم ذلك مستعدة لمساعدة العرب فى كل ما يقوى صناعتهم وينشط اقتصادياتهم ، وأن تزود العالم العربى بالمشورة الفنية فى جميع الميادين مع ما تتطلبه هذه المشورة من أمور أخرى .

وقد استقر الرأى على تأليف ثلاث لجان فرعية لبحث التفصيلات الفنية ، المتعلقة بالصناعات والمشروعات والتمويل على أن يشترك فى كل لجنة أعضاء يمثلون الفريقين .

والسائد فى الجانب العربى أنه فى حالة الوصول إلى اتفاق فإن قرار المقاطعة العربية سيطبق على كل هيئة أو شركة ألمانية يثبت للعرب أنها تتعامل مع إسرائيل .

دستور باكستان الجديد

تحدث سفير مصر فى الباكستان الدكتور عبد الوهاب عزام إلى مندوب جريدة البلاغ عن دستور باكستان الجديد ، والنحو الذى نحته تلك الدولة فى ذلك فقال :

« فى عام ١٩٤٩ نشرت (لجنة الأصول) فى الباكستان تقريرها متضمناً (القواعد) التى يوضع عليها دستور الباكستان ، وقد أقرت تلك القواعد الجمعية الدستورية ، ونشرت اللجنة تقريرها فى ديسمبر عام ١٩٥٢ وأعطيت مهلة ليتسع الوقت لبحث ذلك الدستور حتى ٢١ يناير ١٩٥٣ ، وقد قام الدستور الجديد على أساس (الصلة بين القوانين الباكستانية والشريعة الإسلامية) ، ونص فيه على أنه : « لا يجوز إصدار تشريع مخالف للكتاب والسنة » ، وجعل لأعضاء المجلس التشريعى الاعتراض على أى قانون يخالف الإسلام . ونص الدستور على أن تؤلف اللجنة من أعضاء عالمين بالشريعة الإسلامية لا يزيدون عن خمسة ، فإن اختلفت اللجنة فلرئيس الدولة الخيار فى إصدار القانون أو رده للمجلس ، وإن أجمعت اللجنة على أن القانون مخالف للإسلام وجب على رئيس الدولة إعادته إلى المجلس مقترحا النظر فيه على وجه يبينه .

فسأله مندوب البلاغ :

هل رجع الباكستانيون عند وضع الدستور إلى الدساتير المختلفة للأمم ، واستعانوا بها على إنشاء دستورهم ؟ أم أنشأوه كله جديداً مستمداً من روح الباكستان والإسلام ، ومن التقاليد والعادات والخلق الباكستانى ؟

فقال السفير :

« لقد رجعوا بالطبع إلى دساتير الأمم المختلفة ، واستعانوا فوق ذلك بخبراء من الأجانب . ولكن للروح الإسلامية ، وللطابع الإسلامى ، وللمبادئ الإسلامية فى دستور الباكستان مكانا كبيراً ومنزلة تكاد تسيطر عليه وتسوده » .

مكتبتنا العربية

محطة للحجر الصحى بجدة

كان حجاج الشرق الذين يقصدون جدة من طريق باب المندب تفرض عليهم المراقبة الصحية ذهابا وإيابا فى محجر صحى أقيم فى جزيرة كمران تجاه ثغر الحديدة اليمنى من أيام الدولة العثمانية . فلما زال الحكم العثمانى عن اليمن احتل الإنجليز جزيرة كمران وأصبح محجرها الصحى خاضعا لهم وللهولنديين .

وقد أنشأت الحكومة العربية السعودية الآن محجرا جديدا فى جدة لحجاج الشرق ، ليحل محل محجر جزيرة كمران الذى كان يستقبل زهاء مائة ألف حاج . والمحجر الحجازى الجديد يتألف من محطة حجر صحى ، ومستشفى للأمراض المعدية ، ومستشفى عام ، ومعمل . وستساهم الهيئة الصحية بتزويده بالأجهزة والمعدات الإكلينيكية . وسيشرف على هذه المحطة الدكتور صبرى الفار الخبير المصرى فى شئون الحجر الصحى موفدا من المكتب الصحى الإقليمى .

ومحطة جدة الجديدة ستكون أول محطة من نوعها خاضعة لسلطة الحكومة السعودية .

الخطر الاسرائيلى

قالت جريدة المصرى فى مقالها الافتتاحى :

« لقد آن للدول العربية أن تعترف بالحقيقة التى طالما صعب عليها الاعتراف بها ، وهى أن إسرائيل أصبحت خطراً حقيقيا علينا ، وأن هذا الخطر يزداد يوما بعد يوم ، ويتراءى فى صور شتى وأساليب مختلفة . وإن أعظم مظهر لهذا الخطر ما تؤديه شهادة الأرقام والإحصاءات من أن هذه الدولة تعمل ليل نهار ، وتقيم عملها على ضوء العلم والنظام ، وتجند قواها كاملة استعداداً لعدوان جديد على نمط واسع . ولا يستطاع قمع هذا الخطر على حقيقته إلا إذا قورن جهد إسرائيل الدائم المنظم بمثله فى الدول العربية . وعلى كل عربى أن يكلف نفسه عناء هذه المقارنة ويستخلص منها - ولو لنفسه خاصة - النتائج المنطقية الصحيحة ، فهو إن فعل ذلك استيقن من حقيقة الخطر الإسرائيلى الذى أسلفنا الإشارة إليه ، وأخشى ما نخشاه أن يستنيم العرب إلى كثرة عددهم وموافقة بعض الظروف الحاضرة لهم ، فى حين أن الكثرة العددية لا خطر لها إذا كانت جاهلة ، أو غير منظمة ، أو غير معدة للعمل . أما الظروف فإنها قد تتغير فجأة من النقيض إلى النقيض ، وعلى كل حال فإن القوة تهيىء الظروف الملائمة ، والضعف يحرم صاحبه من الظروف الحسنة ويحيلها إلى ظروف سيئة » .

رئيس لبنان يزور الرياض

زار رئيس الجمهورية اللبنانية الملك عبد العزيز آل سعود فى عاصمته الجديدة (الرياض) فاستقبل بحفاوة عظيمة . ولما اجتمع الرئيس اللبنانى بالملك السعودى بعد ظهر اليوم الأول من وصوله إلى الرياض لبثا معا ما يقرب من ساعة ، وتناول الحديث العلاقات بين

مكتبتنا العربية

الدول العربية ، وضرورة توثيق الروابط الاقتصادية والثقافية والدفاعية بين دول الجامعة بشرط أن يكون فى ذلك مايصون استقلال الدول العربية وما لا يتعارض مع حريتها وابتعادها عن الخضوع لهذا المعسكر أو ذاك .

جزائر مالديف

نشرنا فى جزء ربيع الآخر من هذه السنة (ص ٥١٧) خبر إعلان الحكم الجمهورى فى جزائر مالديف الإسلامية ، ونزيد الآن أنها دخلت فى الإسلام فى سنة ٥٤٨ للهجرة على يد رجل صالح من المغاربة اسمه الشيخ الحافظ ابن البركات ، وكان حاكم هذه الجزائر بوذياً فدعاه هذا الشيخ إلى دين الإسلام وعرفه بمحاسنه وحقائقه فاستجاب له ، وأسلم معه سائر سكان هذه الجزائر التى يبلغ عدد الآهل بالسكان منها ٢١٥ جزيرة ويتبعها أكثر من ألف جزيرة أخرى خالية من السكان . وظلت هذه الجزائر مستقلة حتى احتلها البرتغاليون فى سنة ٩٦١ هـ ثم أجلاهم عنها السكان المسلمون فى شهر ربيع الأول سنة ٩٨١ بجهاد زعيم من زعمائهم ولوه بعد ذلك عليهم وهو السلطان الغازى محمد تكرفان ، والمالديفيون يعتبرون يوم تحررهم من الاحتلال البرتغالى عيداً قومياً . وفى سنة ١١٦٦ احتل هذه الجزائر قوة من بلاد مالابار ، ثم تحررت منهم بعد سبع سنوات بقيادة السلطان حسن عز الدين . وقبل ٢٢ سنة تحولت حكومتها إلى حكومة دستورية ، ثم ألغى فى هذا العام نظام الحكم الوراثى وأعلنوا الحكم الجمهورى كما ذكرناه فى جزء ربيع الآخر ، وكان آخر رؤسائهم الزعيم المصلح الحاج عبد المجيد ديدى رحمه الله ، ثم كان الآن أول رؤساء جمهوريتهم الزعيم الوطنى محمد أمين ديدى الذى يجمع بين العلم والأدب ومزايا الحكم الصالح .

قانون حماية الآداب

تبحث وزارة العدل الآن فى تعديل القانون الخاص بحماية الآداب بحيث يحقق الغاية التى سن لبلوغها وأنشىء مكتب الآداب من أجلها . وقد طلبت من بعض رجال الأمن موافاتها بنتائج خبرتهم فى هذه الناحية حتى يجىء التعديل المطلوب محققا لما يستهدفه العهد الجديد من رفع مستوى الأخلاق إلى أقصى حد ممكن .

تحريم الخمر فى ايرانه

كما تعتنى حكومة مصر الآن بمكافحة المخدرات ومطاردة من يبيعها أو يشتريها أو يحملها ، فكذلك يحاول مجلس النواب الإيرانى مطاردة الخمرة ، فوافق ٨٨ من أعضاء المجلس على اقتراح قدمه ١٦ نائباً يقترحون فيه منع استعمال وشراء واستيراد وبيع وصنع المسكرات التى لعن الإسلام شاربها وصانعها وبائعها ومشتريها ومن يرضى بها . وكذلك طلبوا فى اقتراحهم تحريم الأفيون ، والمنتظر أن تصدر الحكومة الإيرانية مشروع قانون بذلك فى خلال ستة أشهر .

مكتبتنا العربية

فهرس

الجزء السادس ـــ المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بقلم
٦٤٩	حقائق	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٦٥٥	بماذا نبدأ	« محمد عرفة مدير المجلة
٦٦٢	نفحات القرآن	« عبد اللطيف محمد السبكى
٦٦٨	السنة : التطهير فى الاسلام	« طه محمد الساكت
٦٧٣	أزمة الفقه الاسلامى	الدكتور محمد يوسف موسى
٦٧٩	علم التوحيد	الأستاذ على الطنطاوى قاضى دمشق
٦٨٤	خير نظام للحكم	حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
٦٨٧	نشأة كتب الأمالى	الأستاذ عبد الوهاب حمودة
٦٩٤	صدى قاصمق مجلة دار التقريب	رئيس تحرير المجلة
٧٠١	فصل الدين عن الدنيا	الأستاذ محمد عبد السلام القبانى
٧٠٥	الحزبية فى القرآن الكريم	« أحمد الشرباصى
٧٠٩	آراء وأحاديث : علوم البلاغة	« محمود النواوى
٧١٥	الفتاوى	لجنة الفتوى
٧١٨	مملكة تفلى	الأستاذ عبد المنعم محمد الشيخ
٧٢٢	قضية فلسطين وتعويضات الالمان لاسرائيل	حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
٧٢٥	لغويات	الأستاذ محمد على النجار
٧٢٩	وحدة الأمة ـ سبيلها إلى النصر	« عبد الحميد محمود المسلوت
٧٣٢	تطهير الاداة الحكومية	« محمد فتحى محمد عثمان
٧٣٥	الفطرة السليمة عند ديكارت	« سعيد زايد
٧٣٩	نظم الحكم فى الشرق	« محمود فياض
٧٤٤	ما أشبه الليلة بالبارحة	« محمد خليفة
٧٤٨	الدعوة إلى عقد المؤتمر الاسلامى	حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
٧٥٢	اختيار الزوجة فى الشريعة الاسلامية	الأستاذ محمد فهمى الطماوى
٧٥٥	الكتب	قلم التحرير
٧٦٧	الأدب والعلوم فى شهر	«
٧٦٩	أنباء العالم الاسلامى	«